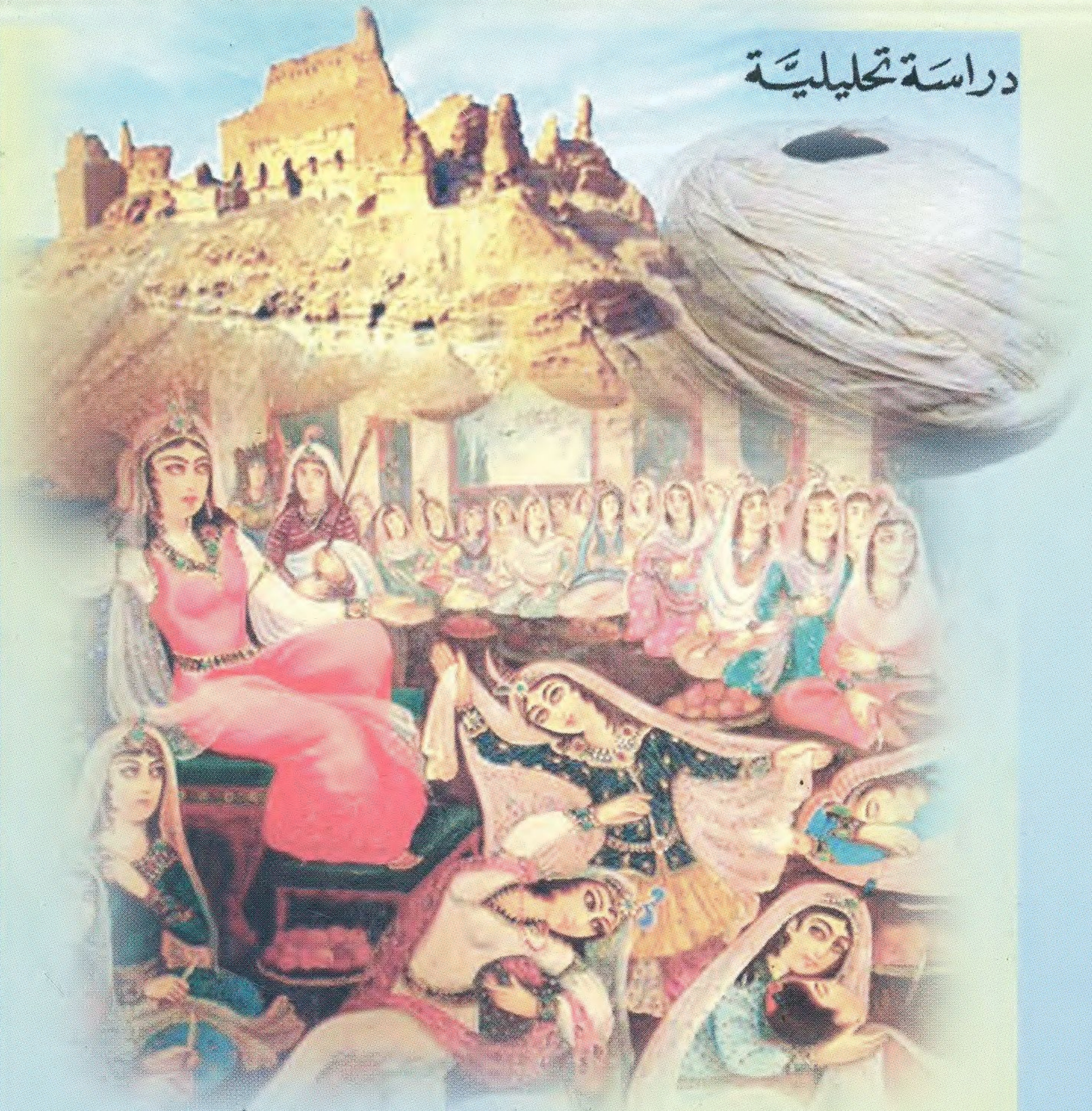


# قصة يوسف وزليخا

في الأدب الفارسي ومصادرهما في التوراة والقرآن الكريم

دراسة تحليلية



دكتور رمضان رمضان متولى

راعي الكتاب ووثق مصادر الفارسية والعربية

الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي

أستاذ اللغات الشرقية بأداب القاهرة





<http://al-maktabeh.com>

# قصة يوسف وزليخا

في الأدب الفارسي ورسائلها في التوراة والقرآن الكريم

متولى، رمضان رمضان.  
يوسف وزليخا فى الأدب الفارسى ومصادرهما  
فى التوراة والقرآن الكرىم: دراسة تحليلية/  
رمضان رمضان متولى: راجع الكتاب ووثق  
نصوصه ومصادره الفارسية والعربية السباعى  
محمد السباعى. - القاهرة : الهيئة المصرية  
العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

٢٧٢ ص : ٢٤ سم .-

تدمك ٣ ٥١٩ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القصص الدينية .

٢ - الأدب المقارن.

(أ) السباعى، السباعى محمد (مراجع)

(ب) العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧١٢٨ / ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 519 - 3

ديوى ٢٨٧٢٩، ٨٠٨.

# قصة يوسف وزليخا

في الأرواب الفارسيّة ومصادرّها في التوراة والقرآن الكريم

دراسة تحليليّة

تأليف

الدكتور رمضان رمضان متولى

راعي الكتاب ووثق مصادرّه الفارسيّة والعربيّة

الأستاذ الدكتور السّباعي محمّد السّباعي

أستاذ اللغات الشّرقية بأرواب القاهرة



الهيئة المصريّة العامّة للكتاب

٢٠٠٨

الإشراف الفنى

سبرى عبد الواحد

تصميم الغلاف: الحبيبة حسين

**إهداء**

**إلى أولادى.. قرة عيني**

**محمد والسباعي وشريف**



**المفتدين**





## بسم الله الرحمن الرحيم

### شكر خاص

إلى السيدة الفاضلة الأستاذة ميرفت عبد العزيز وكيل أول وزارة الثقافة تقديراً  
واعزازاً واعتراضاً بفضلها في صدور هذا الكتاب فجزاها الله عنى وعن أسرته وعن  
طلبة العلم في كل زمان ومكان خير الجزاء وأثابها وأهلها من فضله وعفوه وعافيته.

إنه نعم المولى ونعم المجيب

المؤلف

د/ رمضان رمضان متولى



## مقدمة

تتبعوا قصة يوسف عليه السلام منزلة مهمة وطابعا خاصا فى القرآن الكريم وفى سائر كتب التنزيل. فبينما يرد القصص القرآنى فى حلقات تناسب كل حلقة فيها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهاتها، نرى سورة يوسف محتوية على القصة كاملة، وحتى القصص الذى ورد كاملا فى سورة واحدة - كقصص هود وصالح وشعيب ورد مختصرا مجملا - أما قصة يوسف فقد وردت بتمامها ويطولها فى سورة واحدة، وصيغت فى بناء فنى محكم يؤلف بين الغرض الدينى والغرض الفنى فيما يعرضه من الصور والمشاهد كما يجعل الجمال الفنى فيها أداة مقصودة للتأثير الوجدانى فيما يخاطب حاسة الوجدان الفنية بلفة الجمال.. كما كان لقصة يوسف وضعاً متميزاً فى كتاب التوراه حيث انفردت بسفر كامل فى مقدمة أسفار التوراه وهو سفر التكوين..

ومنذ بدأ الاشتغال بتفسير القرآن الكريم نرى القصة تستحوذ - على جانب كبير من اهتمام كافة علماء التفسير وعدد كبير من العلماء المشتغلين بدراسة الأديان والذين أفردوا لها فصولاً غزيرة من كتبهم ودراساتهم وأبحاثهم..

ثم كانت - وما تزال - موضع اهتمام وعناية من الأدباء والكتاب فى مشارق الأرض ومغاريها كمادة درامية صاغوها فى قوالب أدبية وفنية اصططبت بلون شعبى قريب من قلوب الخاصة والعامة على السواء..

أما فى مجال الشعر فقد حظيت القصة بقدر كبير من عناية الشعراء واهتمامهم حتى صارت من أحب الموضوعات إلى شعراء إيران .. فقد كان من أثر

تغلغل الإسلام في نفوس الإيرانيين طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة واضطراب الأوضاع وعدم الاستقرار في أمور البلاد أن سادتها روح إسلامية صوفية أخذت معها معالم الأدب الفارسي تتضح رويدا رويدا، وبدأ شعراء الفرس يتحررون من رق التقليد فاصطنعوا نوعا من الشعر عرف بالمشوى .. يتفق ذلك مع ما ذهب إليه مؤرخو الأدب الفارسي - قديمه وحديثه<sup>(١)</sup> - أن الأدب الفارسي الحديث - إلا أقله - أدب قصصي حكيم وأخلاقى وأن شعراء الفرس ومتصوفتهم وحكمائهم ومؤلفي كتب النصيحة والأخلاق - بل وكتاب الأدب والسياسة والتاريخ كذلك استعانوا على إبراز معانيهم وتوضيح مراميهم وتقوية قضاياهم بالحكايات، وأن جمهرة شعراء الفرس العظام كالفردوسي والدقيقي والطار والجامي كانوا شعراء قصة.

كل ذلك يؤكد في وضوح - دور القصة في هذا الأدب وأنها غدت أوسع جوانب هذا الأدب - قديمه ووسيطه وحديثه، وأكثرها إشراقا وأرسخها أركانها وأقواها تعبيرا عن الحياة الفارسية، وأنها تشغل الحيز الأكبر من هذا الأدب في مختلف أدواره<sup>(٢)</sup> ..

يضاف إلى ما سبق ما ذكره المؤرخون من أن الفرس مولعون بالإطناب في شعرهم كلفون بالقصص والإسهاب فيه، لذلك رأيناهم يتجهون إلى قصص القرآن الكريم ينهلون من منابعه الفياضة وما يحتويه من معان وحكم وعظات بليغة.

وكان لقصة يوسف تأثير عظيم في نفوسهم فراح الواحد تلو الآخر يتخذ منها مادة وموضوعا وإطارا لمنظومات طويلة اشتهرت على مر الأزمان وتعاقب العصور ووضعت أسماءهم في سجل الخالدين ..

هذا .. وقد بلغ عدد الآثار المنظومة لهذه القصة ثمانية وعشرين أثرا، اندثر معظمها مع الزمن وبقي منها ثمانية منظومات هي منظومات: الفردوسي

(١) أمين بدوي : القصة في الأدب الفارسي ص ٧٢ الى ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٥.

والجامى وناظم هروى وآذر بيكدلى وشعله كلبايگانى وجوهر تبريزى وشهاب  
ترشيزى وخواورى .

وهذه المنظومات الثمانية هى مجال دراستنا فى هذا الكتاب الذى شرفت منذ  
ما يزيد على ربع قرن بتقديمه كرسالة حصلت بها على درجة الدكتوراه فى آداب  
اللغات الشرقية بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب جامعة القاهرة..

هذا .. وقد بذلت قصارى جهدى لأصل بهذه الدراسة حد الكمال، ولكن  
الكمال لله وحده. فإن كنت قد وفقت فيها ونعمت، وإن كانت الأخرى فحسبى  
اننى إجتهدت - ما وسعنى الجهد - ولمن اجتهد وأصاب أجران. أجر اجتهاده .  
وأجر إصابته..

والله أسأل التوفيق والسداد

وعلى الله قصد السبيل



# الباب الأول





## الفصل الأول

### «مصادر يوسف وزليخا في التوراة والقرآن الكريم»

أولاً: مصادرهما في التوراة<sup>(١)</sup>

ترد قصة يوسف في سفر التكوين وهو أول أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين وتبدأ القصة مع بداية الاصحاح الثلاثين<sup>(٢)</sup> بمولد يوسف عليه السلام آية من آيات الحسن والجمال والبهاء وروح مشرقة تضيء عليه من أنوارها ما يزيده روعة وجمالاً وتكسبه جاذبية روحية قوية التأثير فكان لذلك أثراً عند أبيه يخصه بقسط كبير من عنايته لأنه توسم فيه أن سيكون له شأن عظيم وخطر كبير، فكان يحذب عليه ويمنحه من ذات نفسه ما لم يمنحه لآخوته ويؤثره بالرعاية عليهم جميعاً. وكان الكبار من أخوته يلمسون من أبيهم ذلك العطف الذي آثره به دونهم ويعلمون أنه احتل جنبات قلبه وأستأثره بمشاعره ووجدانه.. وتأججت نار حقدهم عليه يوم أن علموا برؤياه الأحد عشر كوكبا مما حملهم على إلقائه في هاوية جب بالصحراء، ولكن العناية الالهية أدركته فحملته إحدى القوافل وباعته عبداً إلى فوطيفار قائد جند فرعون، ولما اشتد عوده وازداد جماله راودته زوج فوطيفار عن نفسه فلما استعصم وأبى - خوفاً من الله - كان مصيره السجن.. والتقى يوسف في السجن بساقي الملك وخبازه وفسر لكل منهما رؤياه وبعد عامين رأى ملك مصر رؤيا فشل عرافوه في تفسيرها، وحينئذ تذكر

(١) للتوراه: طبع جمعية الكتاب المقدس بالقاهرة.

(٢) عدد الأسفار: تسعة وثلاثين وجملة اصحاحاته تسعمائة وتسعة وعشرين.

انساقى يوسف فأبلغ الملك بما كان من أمره معه، فأمر فرعون باحضاره اليه،  
غلبنا مثل فى حضرته عبر له رؤياه بأنه ستمر بمصر سبع سنين عظيمة الخير،  
وستعقبها سبع أخرى مجدبة لاخير فيها ولانماء وكان لتفسير يوسف وما ألحقه  
به من تدبير محكم أثر طيب فى نفس فرعون فنصبه واليا على مصر.. ولما عمّت  
المجاعة أرض كنعان جاء إخوة يوسف إلى مصر طلبا للزاد، فعرفهم يوسف وهم  
له منكرون. فدبر لهم يوسف مكيدة حصل بموجبها على وعد منهم باحضار  
شقيقه بنيامين. ولما عاد الركب إلى كنعان وعرضوا الأمر على يعقوب إضطر  
تحت ضغط المجاعة إلى الموافقة على إرسال بنيامين إلى مصر. ومرة ثانية يدبر  
يوسف مكيدة لاستبقاء بنيامين لديه، فيأمر عماله فيضعون صواع الملك فى رحل  
بنيامين، وتنجح المكيدة، لكن أخاه يهوذا يتوسل إليه لاستبقائه بدلا من بنيامين  
وحينئذ يرق قلب يوسف لإخوته فيكشف لهم عن حقيقة شخصيته فيخر الجميع  
أمامه ساجدين.. ويعود الركب فرحا إلى أرض كنعان فيستقبلهم يعقوب حامدا  
وشاكرا لله، بعد أن أخبره بنوه بما صار إليه أمر يوسف من شأن عظيم. ويتوجه  
يعقوب وبنوه إلى مصر، ويستقبلهم يوسف فرحا... وفى مصر عاش يعقوب حتى  
أكمل مائة وسبعة وأربعين عاما.

واستمر يوسف فى الحكم حتى وافته المنية.. فحمله بنو إسرائيل ودفنوه بجوار  
آبائه وأجداده فى أرض كنعان.

ثانيا: مصادرها فى القرآن الكريم:

تبدأ أحداث القصة فى القرآن الكريم ويوسف عليه السلام حدث يقص على  
أبيه رؤيا الأحد عشر كوكبا فينصحه أبوه بالألا يقص رؤياه على إخوته تجنبيا  
لكيدهم وحسداهم. وتمضى الأحداث بعد ذلك فنرى إخوة يوسف وقد أجمعوا  
أمرهم فيما بينهم على طرح يوسف فى مكان بعيد ليخل لهم وجه أبيهم  
ويستأثرون بحبه ورعايته، وحينما أتموا ما أجمعوا عليه أمرهم عادوا إلى أبيهم  
عشاء يبكون زاعمين أنهم ذهبوا للعب وتركوا يوسف عند متاعهم فأكله الذئب  
وهم عنه غافلون... وتتطور الأحداث سريعا إلى حيث يوسف فى الجب، وإذا

بسيارة من المسافرين تأسره بضاعة ثم تحمله عبدا وتبيعه إلى عزيز مصر... ويوصى العزيز زوجته بأن تكرم مثواه عسى أن ينفعهم أو يتخذونه ولدا... وفي بيت العزيز وبعد أن بلغ يوسف مبلغ الرجال راودته التي هو في بيتها عن نفسه وتهم به، ويهم بها لولا أن رأى برهان ربه... وحينما يبلغ الأمر مسمع العزيز اتهمت الزوجة يوسف، لكن شاهدا من أهلها شهد ببراءته وطهارة ذيله.. ويذيع أمر الحادثة وتشيع بين نسوة المدينة، وتعلم امرأة العزيز بمكرهن لها، فتتهى لهن مجلسا حافلا لاستمالتهن. لكن الأمر ينتهى بشهادتهن ليوسف بأنه ملك كريم. وتضيق السبل بيوسف فاستحب السجن ملاذا من محنة القصر وصاحبته.. وفي السجن ينطلق يوسف في الدعوة إلى وحدانية الله.. ويصادق ساقى الملك وخبازه ويفسر لهما مارأياه في منا مهما. فأما أحدهما فيسقى ربه خمرًا، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه.. وتمر السنون ويحدث التحول العظيم في حياة يوسف، وذلك حينما يلجأ إليه ساقى الملك الذى نجا من السجن ليفسر له رؤيا ملك مصر تلك التى حار الجميع فى تأويلها واعتبروها أضغاث أحلام.. ولا يكتفى يوسف بتأويلها بل إنه يقدم له التدبير المحكم الذى ينجى مصر من كارثة القحط.. وحينما علم الملك بذلك أرسل فى طلب يوسف، إلا أنه أبى أن يستجيب لدعوته قبل أن يحقق الملك فى حادث القصر، فيجمع الملك النسوة ويقف منهن على الحقيقة وتتجلى براءة يوسف، فيرسل الملك فى طلبه ويوليه خزائن مصر.

ولما حلت المجاعة بأطراف الأرض، كانت مصر بفضل تدبير يوسف قد أخذت لهذا الأمر أهبتة، وأصبحت لذلك محط رحال الوافدين ممن حولها من الأمصار، وجاءها إخوة يوسف فيمن جاء من شتى البلاد.. ولما دخلوا على يوسف طلبا للزاد عرفهم يوسف وهم له منكرون، ولما فرغ من أمرهم طلب اليهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم، كما أمر عماله فندسوا لهم بضاعتهم فى رحالهم.

ومرة ثانية يعود أبناء يعقوب إلى مصر، حاملين معهم بنيامين هذه المرة، بعد أن أخذ عليهم يعقوب عهدا وموثقا بأن يعودوا به ويلتقى يوسف بشقيقه، فيخلو به ويخبره عن حقيقة شخصيته.. ثم يدبر مكيده لاستبقائه لديه فيأمر عماله بوضع قدح الملك فى رحل شقيقه... وعندما يهيم ركب أبناء يعقوب بمفادرة مصر

يعلن عمال الملك عن سرقة صواعه، ثم يمضون في تفتيش رجال الجميع إلى أن ينتهى الأمر باستخراجه من رحل بنيامين.. فيستبقيه يوسف رهينة عنده. وتذهب توسلات إخوته سدى لا طلاق سراحه فيرى كبيرهم أن يبقى بمصر على أن يعود الجميع إلى كنعان ليتدارسوا الأمر مع أبيهم.

ويغتم يعقوب فور سماعه الخبر ويكظم حزنه حتى أبيضت عيناه حزنا على فراق ولديه. ويعود أخوة يوسف إلى مصر للمرة الثالثة، بعد أن أخذت المجاعة بهم فجاءوا ببضاعة رديئة ودخلوا بها على يوسف يسترحمونه.. وهنا تحدث المفاجأة حينما يسألهم يوسف عما فعلوه به وبأخيه من قبل وينتهى الموقف بوقوف الإخوة العشر على حقيقة شخصيته مستشعرين الندم على ما كان منهم من قبل.. ويصفح عنهم يوسف، فيسعد الأب ويرتد إليه بصره... ويعود الجميع إلى مصر، فيستقبلهم يوسف ويرفع أبويه إلى العرش الذى يجلس عليه احتفاء وتكريما، فيسجد الجميع له سجود شكر وحمد.

**وهكذا تحققت رؤيا يوسف**

**\*\*\*\*\***

## الفصل الثانى

### المنهج القرآنى لقصة يوسف عليه السلام

نلتقى بسورة يوسف فى القرآن الكريم بعد سورة هود عليه السلام. ويأتى موقعها فى القرآن الكريم السورة الثانية عشرة فى ترتيب المصحف.. وتمثل قصة يوسف كما جاءت فى السورة النموذج الكامل للمنهج القرآنى فى الأداء الفنى الصادق.. ومع أن المنهج القرآنى يمثل وحدة موضوعية فى كل سورة، إلا أن قصة يوسف تبدو وكأنها النمط الفريد والمتخصص فى عرض هذا المنهج<sup>(١)</sup>، فالقصص القرآنى - غير قصة يوسف - يرد حلقات تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها، وحتى القصص الذى ورد كاملا فى سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب ورد مختصرا مجملا، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها فى سورة واحدة، وهو طابع متفرد فى السور القرآنية جميعا. وقصة يوسف قصة إنسانية تلعب فيها العواطف البشرية الدور الأول، فتؤثر فى سير الأشخاص وتوجههم نحو الخير أو الشر فى حياتهم<sup>(٢)</sup> ثم هى قصة رحبة واسعة تتعدد فيها الشخصيات وتتلون الأحداث وتتوزع فيها العناصر التوزيع الذى يطلبه الفن القصصى فهى موزعة بمقدار وتظهر وتختفى حسب الظروف الطبيعية وحسب ما يحوط الشخصيات من أحداث. ويحرص المنهج القرآنى أن يكون تسلسل الأحداث فى القصة خاضعا للفرض الذى من أجله

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج ١٢ ص ١٩٤٩: بيروت ١٩٧٢م.

(٢) عبد الكريم الخطيب: الفن القصصى فى منطوقه ومفهومه، القاهرة ١٩٧٢م.

انزلت القصة.. فلقد نزلت هذه السورة بين عام الحزن بموت أبى طالب وخديجة  
سندى رسول الله وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية<sup>(١)</sup>.. ففى الوقت الذى كان  
الرسول يعانى من الوحشة والغربة والانقطاع فى جاهلية قريش.. منذ عام الحزن  
.. كان الله تعالى يقص على نبيه الكريم قصة أخ كريم هو يوسف بن يعقوب وهو  
يعانى صنوفا من المحن والابتلاءات.. وقد حرص المنهج القرآنى على ابراز كافة  
الابتلاءات التى تعرض لها يوسف عليه السلام.. محنة كيد الأخوة، ومحنة الجب  
والخوف والترويع فيه ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير  
ارادة منه ومحنة كيد امرأة العزيز ومحنة السجن ثم محنة السلطان وهو يتحكم  
فى أقوات الناس، ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقي بعد ذلك اخوته الذين ألقوه  
فى الجب وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والابتلاءات كلها.. هذه المحن  
والابتلاءات التى صبر عليها يوسف وزاول دعوته إلى الاسلام من خلالها يخرج  
منها كلها متجردا خالصا، آخر اهتماماته فى لحظة الانتصار على المحن جميعا  
وفى لحظة لقاء أبويه ولم شمله وفى لحظة تأويل رؤياه وتحققها كما رآها: «إذ  
قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى  
ساجدين» آيه ٤ «آخر توجهاته هو التوجه المخلص المتجرد المنيب إلى ربه. منخلعا  
من هذا بكلية<sup>(٢)</sup> يصوره القرآن الكريم: «فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه  
وقال ادخلوا مصر انشاء الله آمنين، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا  
وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بى إذ  
أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين  
إخوتى إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتنى من الملك  
وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة  
توفنى مسلما والحقنى بالصالحين»<sup>(٣)</sup>. وهكذا كان طلبه الأخير بعد ذلك كأنه  
وهو فى غمرة السلطان والرخاء ولمة الشمل أن يتوفاه ربه مسلما وأن يلحقه

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج ١٢ ص ١٩٥٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥١.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج ١٢ ص ١٩٤٩، بيروت ١٩٧٢م.

بانصالحين وذلك بعد الابتلاء والمحنة، والصبر الطويل والانتصار... فلا عجب أن تكون سورة يوسف بما احتوته من قصة ذلك النبي الكريم ومن التعقيبات عليها بعد ذلك مما يتنزل على رسول الله وصحبه والجماعة المسلمة معه في مكة في هذه الفترة بالذات تسلية وتسرية وتطمينا كذلك<sup>(١)</sup> وتثبيتا لقلب النبي.....

ويحرص المنهج القرآني على استخدام كل عناصر الفن القصصي ولهذا نراه وقد استفاد من عنصر الزمن. فإن الخيوط الزمنية تمسك بكل جزئيات القصة. ولهذا نراه يذكر «العشاء» لأنه جزء من الليل يمكن فيه تدبير الجريمة. ولذلك تستر أخوة يوسف في ظلامه وسواده، وجاءوا فيه إلى أبيهم يخبرونه هذا الخبر المشئوم المكذوب: «وَجَأَوْأَ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ»<sup>(٢)</sup>، فهذه الجزئية من جزئيات الزمن حرص القرآن الكريم على ذكرها لأن لها مكانها في سير أحداث القصة<sup>(٣)</sup> ذلك لأن ظلام الليل الذي أظلم هذا الكذب الذي وصفه الله تعالى بقوله: «وَجَأَوْأَ عَالِي قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ».

هو نفسه الظلام الذي نم على الكذب ودل عليه وألقى في خاطر الأب أن أبناءه لو كانوا صادقين فيما أخبروا لسارعوا إلى أبيهم بالحدث في وقته. وقد يكون الزمن عدة سنين فيذكره الله جل وعلا ليبين فيها ناحية العبرة، وكما جاء في قوله تعالى: «فَلْيَبِثْ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» ليبين على أن نبيه الكريم كان ذو عزم متين وصبر عجيب.

ويحرص المنهج القرآني كذلك على إبراز عنصر المكان، فهو يحدد المكان الذي حُمِلَ إليه يوسف وأنه «مصر». وفي هذا يشير إلى تلك الغربة النائية التي فصلت يوسف عن أهله. ويحرص المنهج القرآني كذلك على التعمق في النفس البشرية وإبراز ما يعتريها من لحظات ضعف وقوة بما يتناسب وما تحمله من قوة الإيمان مستخدما في ذلك عبارات شديدة الإيجاز، غزيرة الإيحاء بما تحمله من معنى

(١) المرجع السابق ص ١٩٥٢.

(٢) سورة يوسف آية ١٦.

(٣) السيد حافظ عبد ربه: بحوث في قصص القرآن ص ٥٨، ٥٩ بيروت ١٩٧٢م - و: سيد قطب: في ظلال

القرآن: ج ١٢ ص ٧١١.

ومضمون. ومثالا على ذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» «آية ٢٤» وهو نهاية موقف طويل من الإغراء بعدما أبى يوسف واستعصم، وهو تصوير واقعي لحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله فى النهاية والنجاة. لكن السياق القرآنى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة لأن المنهج القرآنى لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة<sup>(١)</sup>، وفى النهاية يحرص المنهج القرآنى على أن يجرى الحوار فى القصة هينا لينا رقيقا. ومثالا على ذلك قوله تعالى: «هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ»<sup>(٢)</sup>. فلقد استدعوا أخاهم بأسلوب لبق حكيم: «ونمير» فلقد جعلوا أخذ أخيهام مطلباً ثانياً بعد المطلب الأول وهو «الميرة» وربطوه به بحيث لا تكون الميرة إلا أخذهم معه، ثم هم من جهة أخرى يقولون: «ونحفظ أخانا» ولا يقولون وناخذ أخانا «كأن أخذه مفروغ منه لا مراجعة لأبيهم فيه فهم آخذوه وحافظوه»<sup>(٣)</sup>. وهكذا ومن خلال هذا المنهج الواضح المتكامل تحققت الموعظة والعبرة التى أرادها الحق سبحانه وتعالى من هذه السورة .

(١) المرجع السابق..

(٢) عبد الكريم الخطيب: الفن القصصى فى منطوقه ومفهومه ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج ١٢ ص ١٩٥٠.



## **الباب الثاني**

**قصة يوسف**

**بين القرآن الكريم والتوراة**

**والإسرائيليات والأدب الفارسي**



## الفصل الأول

### مقارنة عامة للقصة بين التوراة والقرآن الكريم

كان من الطبيعي أن يكون مصدر قصة يوسف فى التوراة والقرآن الكريم واحدا استنادا إلى الاعتقاد الإسلامى فى وجود توراة أصلية منزلة من عند الله سبحانه وتعالى. ولكن علماء المسلمين اتفقوا على أن التوراة الحالية محرفة، والتحريف يعنى أولا اختلاف المصدر. فبينما مصدر القصة القرآنية الهى، أصبح مصدر القصة التوراتية إنسانياً وهذا هو السبب الأول والحقيقى وراء الاختلافات الواضحة بين القصتين وهى اختلافات جوهرية تمس أمور العقيدة والدين والأخلاق فى كل من القصتين التوراتية والقرآنية.

ومن أول وجوه الاختلاف الواضحة اهتمام قصة يوسف فى التوراة بالتفاصيل التاريخية . وهو اختلاف أساسى بين التوراة والقرآن الكريم. فبينما تعتبر التوراة كتابا فى التاريخ، بل ويعتبرها كثير من المؤرخين مصدرا من مصادر التاريخ القديم، نجد أن القرآن الكريم يعطى فلسفة للتاريخ تتفاضى عن ذكر التفاصيل التاريخية وتهتم بالدروس التاريخية المستفادة من التاريخ . كما يركز القرآن الكريم على المبادئ والقيم الموجهة للتاريخ الإنسانى. كما يربط سيرة التاريخ الإنسانى بالدين والأخلاق.

بخلاف التوراة التى رغم اهتمامها بالتاريخ، إلا أنها وَجَّهَتْ وَجْهَهُ عَنْصَرِيَّةً تخدم التاريخ اليهودى فقط. ويأتى ذلك كله استجابة للطبيعة الإسرائيلىة التى تحفل بأدق التفاصيل والجزئيات فى حياة الإنسان وتعدو وراءها فى كل صوب

على أمل أن تخرج منها بأثر أو فائدة هي في طبيعتها أقرب ما تكون إلى الجانب المادى وأبعد ما تكون عن الجانب الروحى...

ومن أمثلة الاهتمام بالجزئيات التاريخية اهتمام القصة التوراتية بتحديد موقع وَسُكَنَى يعقوب في أرض كنعان، وكذلك الاهتمام بتحديد مواليد يعقوب عليه السلام والاهتمام بتحديد عمر يوسف زمن وقوع القصة حيث تذكر التوراة أنه كان ابن سبع عشرة سنة. وكذلك الاهتمام بذكر الأماكن التي شهدت أحداث القصة مثل ذكر بلدة شكيم التي كان يزعى فيها اخوة يوسف وبلدة حبرون، وهو موقع آخر رعى فيه الأخوة . ودوثان وهو الموقع الذى ذهب إليه يوسف ووجد إخوته عنده.

ومن الجزئيات الأخرى الاهتمام بذكر الشخصيات المشتركة فى الأحداث وعدم اهتمام القرآن الكريم بذكر هذه الأسماء، فبخلاف اسم يعقوب ويوسف - وهما الشخصيتان الرئيسيتان فى القصة - يرد ذكر روبين، وهو الأخ الذى حاول انقاذ يوسف من برائن إخوته، واقترح عدم قتله والقائه فى الجب كما يرد اسم يهودا الذى اقترح بيع يوسف للاسماعيليين أصحاب القافلة. وكذلك تذكر التوراة بعد ذلك اسم «فوطيفار» خصى فرعون ورئيس الشرطة الذى اشترى يوسف...

بالإضافة إلى هذا هناك التفاصيل السابقة على وقوع القصة، وهى الخاصة بذكر مواليد يعقوب وأسماء إخوة يوسف وأيضا تحديد المواقع الجغرافية لسكنى كل منهم. وهناك أيضا ذكر جماعات من الأشخاص لها دور ثانوى فى القصة . مثل ذكر بنى بلهة وبنى زلفة «امراتى يعقوب» وكذلك ذكر الاسماعيليين أفراد القافلة التى كانت مقبلة من جلعاد نازلة مصر والتي اشترت يوسف من إخوته استنادا إلى اقتراح يهودا. كما يرد ذكر الميديانيين، وهم التجار الذين سحبا يوسف من البئر وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة..

ومن جوانب الاهتمام بالتفاصيل التاريخية نجد التوراة تذكر لنا أن يوسف عليه السلام ذهب لإخوته حيث مرعاهم ليتفقد أحوالهم وسلامتهم بطلب من يعقوب، وعندما رآه إخوته وعلموا منه تفاصيل رؤياه تفاوضوا معا وتآمروا على

التخلص منه.. فقال اسرائيل ليوسف اليس اخوتك يرعون عند شكيم، تعال فارسلك إليهم . فقال له ها أنذا فقال له أذهب انظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لي خبراً»<sup>(١)</sup>.

كما أننا نلاحظ في القصة التوراتية في نطاق اهتمامها بجزئيات الأحداث أن يوسف عليه السلام لا يقص رؤياه على أبيه - كما جاء في القصة القرآنية - بل إنه يتعدى ذلك إلى إخوته جميعاً . إذ قالت التوراة " فقصه على أبيه وإخوته»<sup>(٢)</sup>.

ومن جوانب الاهتمام بالتفاصيل التاريخية نجد التوراة تهتم بذكر بعض الوظائف التي كانت موجودة في مصر زمن وقوع القصة. مثل ذكر وظيفة رئيس الشرطة ورئيس السقاة ورئيس الخبازين وساقى الملك وكل هذه التفاصيل تحفل بها التوراة وهي تشير إلى الاهتمام بالحدث التاريخي من حيث مكوناته الأساسية. وهي تحديد الزمان والمكان والإنسان. كما يتمثل في الشخصيات المتعددة التي ورد ذكرها في القصة التوراتية . هذه العناصر تجعل من قصة يوسف في التوراة قصة تاريخية زاخرة بالأحداث التي بدأت بسيطة ككل بداية تاريخية ثم تشابكت مع نمو الحدث وتعقدت من خلال هذه التفاصيل الدقيقة. وبمقارنة هذا بالقرآن الكريم نجد أنه على الرغم من كمال القصة القرآنية وطولها إلا أنها لم تحفل بذكر هذه التفاصيل التي اشتملت عليها القصة التوراتية. وركزت القصة القرآنية على الدرس التاريخي والموعظة الدينية والأخلاقية المستفادة من القصة . وهناك وجه آخر من وجوه الخلاف بين القصة التوراتية والقرآن الكريم وهو الخلاف الديني فقصة التوراة خالية تماماً من الأهداف الدينية في حين أن قصة يوسف في القرآن الكريم هدفها هو هدف كل القصص القرآني وهو الدعوة إلى توحيد الله والتركيز على المبادئ والقيم الأخلاقية . فالقصة التوراتية لا تذكر شيئاً عن أي جهد ليعقوب ويوسف في الدعوة إلى توحيد الله.. ويتضح هذا من خلال عدم تركيز التوراة على الصفة النبوية لكل من يعقوب ويوسف. فهي تتعامل معهما على أنهما شخصيتان تاريخيتان يرتبطان بالتاريخ الإسرائيلي. ونادراً ما تشير إلى أي

(١) التوراة : تك ٧ ، ١٣ ، ١٤ .

(٢) التوراة : تك ٣٧ ، ١٠ .

وظيفة دينية مرتبطة بشخصيتهما في مقابل هذا نجد أن هدف قصة يوسف في القرآن الكريم هو ابراز جهد يعقوب ويوسف كنبين في الدعوة إلى التوحيد بين المصريين حكما ومحكومين «يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (١).

وكذلك تبرز شخصية يوسف ويعقوب كنبين يتحكم فيهما السلوك النبوي ويبرزان كقدوة دينية لغيرهما سواء من بنى إسرائيل أو من المصريين «قَالَ رَبُّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (٢) وفي موضع آخر من القصة تبرز نبوة يعقوب حين ينصح بنيه قائلا: «وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ» (٣).

والوجه الثالث من وجوه الاختلاف بين القصة التوراتية والقصة في القرآن الكريم هو الجانب الأخلاقي في القصة. وهو مرتبط بالجانب الديني. فنحن نلاحظ أن القرآن الكريم يحتفظ ليعقوب ويوسف باعتبارهما نبين بمبدأ العصمة الالهية من الخطأ. فسلوكهما في القرآن الكريم سلوك نبوي وكذلك ردود أفعالهما تجاه الأحداث هي ردود أفعال نبوية منزها عن الخطأ. وفي مقابل ذلك نجد أن التوراة شوهدت الصور النبوية لكل من يعقوب ويوسف وسمحت لهما بالاتيان بأفعال لاتصدر عن أنبياء. ومن أمثلة ذلك ما جاء فيها من أن يعقوب أحب يوسف أكثر من سائر بنيه» (٤) وكذلك ذكرها اتيان يوسف بالنميمة بين الأب والإخوة» واتى يوسف بنميتهم الرديئة إلى أبيهم» (٥). وكذلك انتهار يعقوب

(١) سورة يوسف، آية «٤٠».

(٢) سورة يوسف، آية «٢٣، ٢٤».

(٣) سورة يوسف، آية «٦٧».

(٤) التوراة، تكوين ٢٧ - ٢.

(٥) التوراة، تلك ٢٧ - ٢.

ليوسف بعد أن قص عليه الحلم وسخر منه ومن حلمه: «فانتهره أبوه وقال له: «ما هذا الحلم الذى حلمته هل نأتى أنا وأملك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض»<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ كذلك فى هذا المجال أن التوراة تصف يعقوب وصفا منافيا لما هو معروف عن الأنبياء من الصبر وتحمل المكاره والاتكال على الله حيث تصف رد فعل يعقوب عندما علم بافتراس الوحش ليوسف بقولها: «فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة فقام جميع بنيه ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال: «إنى أنزل إلى ابنى نائحا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه»<sup>(٢)</sup> بينما رد الفعل فى القرآن الكريم تجاه نفس الحدث هو «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»<sup>(٣)</sup>.

والوجه الرابع للخلاف بين الرواية السوراتية للقصة والقرآن الكريم هو ما يخص البنية الأدبية للقصة . ففي القرآن الكريم نلاحظ أن العناصر الفنية للقصة قد تكاملت أركانها، فهناك المدخل القرآنى للقصة وهو حكاية حلم يوسف وقصته على أبويه وتسلسل أحداث القصة تدريجياً إلى أن تصل ذروتها ثم تبدأ فى الدخول إلى مرحلة الانفراج. وتنتهى القصة بنفس البداية . ويكتمل هذا البناء من خلال الهدف الدينى والأخلاقى للقصة والمتزامن مع وقوع الأحداث بحيث يتعرف القارئ للقصة القرآنية على الحدث والهدف الدينى والأخلاقى منه فى نفس اللحظة.. وبسبب هذا الهدف الدينى والأخلاقى وردت القصة القرآنية قوية فى أسلوبها موجزة فى عرضها. فالتركيز ليس على الأحداث، ولكن على القيمة الدينية والأخلاقية للأحداث، وهذا وجه خلاف واضح بين القصتين .

كما نلاحظ كذلك أن الرواية القرآنية تنغمس فى مسحة روحانية نشعر بها فى صفات الشخصيات وكلماتها التى يتحرك بها المشهد القرآنى فهناك قدر كبير من حرارة الروح فى كلمات يعقوب ومشاعره فى القرآن الكريم. وتتجلى تلك

(١) التوراة: تك ٢٧ ١١ .

(٢) التوراة تك ٢٧ ١٢ .

(٣) سورة يوسف، آية ١٨ .

الصفة فى طريقته فى تصوير أمله حين يدفع بنيه إلى أن يتحسسوا يوسف وأخيه . وامرأة العزيز تتحدث فى رواية القرآن بلغة تليق بضمير انساني وخزه الندم وأرغمته طهارة الضحية ونزاهتها على الاستسلام فإذا بالخاطئة تعترف فى النهاية بفعلتها وتقر بخطيئتها .. وفى مقابل ذلك نجد الرواية الكتابية تبالغ بعض الشيء فى وصف الشخصيات المصرية الوثنية بأوصاف عبرانية فالسجان يتحدث كموحد<sup>(١)</sup> . وأسلوب القصة القرآنية أسلوب يتسم بالقوة والإيجاز والسهولة فى التعبير والمباشرة فى توصيل الفكرة . بينما نلاحظ أن كثرة تفاصيل القصة التوراتية أدت إلى تخلخل وضعف بنيتها الأدبية وتعدد الأساليب الواردة فيها مع مرور الزمن وكثرة الإضافات وربما كثرة المحذوفات من القصة خلال فترة تدوينها .. وبالإضافة إلى ما سبق فإن حل عقدة القصة حمل طابع السرد فى الرواية الكتابية حيث يشتمل فى الفصول الأخيرة للقصة على تفاصيل مادية عن استقرار العبرانيين فى مصر . أما فى القرآن الكريم فإن هذا الحل يدور حول الطابع المميز للشخصية المحورية «يوسف»، وقد مكَّن ذلك المنهج القرآنى من الوفاء بحق هذه الشخصية ومنحها الدور الذى تستحقه فى تحريك الأحداث وتطويرها ودفعها إلى الغاية المنشودة منها .

هذا الجانب المرتبط بالبنية الأدبية يشير إلى المصدر الالهى للقصة القرآنية فهى قصة ذات حبكة فنية عالية ليس فيها أى خلل أو نقصان من أى جانب .. ورغم خلوها من التفاصيل والجزئيات إلا أنها سريعة الوصول إلى ذهن القارئ ووجدانه .

\*\*\*\*\*

مكتبة  
المفتدين

(١) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ت عبد الصبور شاهين، ص ٢٤٥، مصر ١٩٥٨ م.



## الفصل الثانى

### الإسرائيليات التى أدخلت على أحداث القصة

تحدثت فيما سبق عن قصة يوسف فى طابعها الدينى الذى وردت عليه فى كل من كتابى العهد القديم والقرآن الكريم .. وعلى مر الأزمنة وتعاقب العصور تشكلت القصة فى قوالب وأشكال أدبية أخرى متعددة جاءت كلها من صنع الإنسان. وكان ذلك كله بفضل الرواة والمفسرين، وأضحى نتاج عملهم المنبع الخصب الذى اغترف منه الشعراء والأدباء فألهب خيالهم وغذى وجدانهم فأنتجت قرائحهم لونا جديدا من القصص هو ما يمكن أن نسميه «القصص الشعبى الدينى».

وكان الاعتماد الرئيسى لهذا القصص على ما جاء فى كتب التفسير المختلفة وما تزخر به من روايات وتفصيلات وتفريعات لسور القرآن الكريم وأسفار العهد القديم...

وقد وردت أغلب الروايات والتفاسير لقصة يوسف عليه السلام فى تفسير الطبرى<sup>(١)</sup>. كما تضمن الجزء الأول من تاريخه روايات مفصلة للقصة بنيت حول التفسيرات التى وضعت لآيات السورة<sup>(٢)</sup>... ويرجع الكثير منها إلى أصول إسرائيلية. ولقد كانت هذه الأصول ذات طبيعة شعبية، فقد عاشت هذه القصة

(١) الطبرى، تفسير الطبرى : يبدأ تفسير سورة يوسف من ص ١٥٠ من الجزء الثانى عشر ويستمر إلى نهاية هذا الجزء وبداية الجزء الثالث عشر وتنتهى أحداثها عند ص ٨٩ من الجزء الثالث عشر من الطبعة الثانية الصادرة بمصر سنة ( ١٢٧٢ هـ / ١٩٥٤ م )

(٢) الطبرى : تاريخ الطبرى، تحتل قصة يوسف مساحة كبيرة من الجزء الأول من تاريخ الطبرى، وذلك من ص ٢٠٢ وتنتهى عند ص ٢٧١ من طبعة بريل ١٩٦٤ م .

بين الشعب اليهودي قرونا متعددة وأضاف إليها خيالهم الكثير من التفاصيل التي لم ترد في كتابهم .. وهكذا أصبحت هذه التفاصيل القصصية أصلا لتلك المواقف الكثيرة التي صورها كثير من شعراء الفرس الذين نظموا القصة .. وقد نسق الثعلبي في كتابه: «عرائس النفائس» والكسائي في كتابه «قصص الأنبياء» هذه الروايات في صورة قصصية تتفق أغلبها في مادتها وترتيبها مع المنظومة المنسوبة للفردوسي.

وسأنتقل فيما يلي العناصر الرئيسية التي انطوت عليها هذه القصة، والتي كان لها أثرها في خيال ناظم القصة المنسوبة للفردوسي وكذا منظومة الجامي ومن سار على دربهما من شعراء الفرس، كما كان لها أثرها في امدادهم بالمواقف التي تتيح الإفاضة في القول والانطلاق في تفسير المواقف.  
أولاً: جمال يوسف؛(١)

وردت في جمال يوسف أحاديث وأخبار متعددة أذكر جانباً منها فيما يلي:-

أ - عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسرى بي إلى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال هذا يوسف، قالوا كيف رأيته يا رسول الله، قال: كالقمر ليلة البدر(٢).

ب - خبر عن أبي اسحق عن عبد الله بن أبي فروه: «كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران، كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران.

ج - عن وهب بن منبه: الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس».

د - قال وهب بن منبه : «كان النور يزهر بين عينيه ويظهر من بين جلده ولحمه كما يزهر المصباح في الزجاج البيضاء، وإذا ابتسم بدت ثناياه كأنها در منظوم ووجهه كالبدر ليلية تمامه وكمال(٣).

(١) محمد كفاي : في الأدب المقارن : ص ٣٦٨ : بيروت ١٩٧٢ م

(٢) الثعلبي : قصص الأنبياء ص ١١٤ ، مضر ، ١٩٨٠

(٣) الكسائي : قصص الأنبياء ، ص ١٩٢ ، ليدن ١٩٢٣ م

ثانيا: الرؤيا (١):

«إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» (سورة يوسف آية ٤)

ويفسر وهب بن منبه هذه الآية الكريمة على النحو التالى: كان يعقوب ينوم يوسف إلى جانبه، فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالى إذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه إلى صدره، وقَبَّلَ بين عينيه، وقال يا حبيب أبى ما الذى أصابك؟ فقال: يا أبتى رأيت رؤيا افزعتنى، فقال يا بنى خيرا رأيت ما الذى رأيت قال يوسف: كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبَّحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنى أَلْبِسْتُ رداءً أشرق الأرض من حسنة ونوره، ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض ألقيت بين يدي فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخرروا لى ساجدين. فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكنمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك، فقالت: نعم. فلما اقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا، فانتفخت أوداجهم وأقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا: ما عنى بالشمس غير أينا وبالقمر غيرك (٢) ولا بالكواكب غيرنا، ثم قالوا: إن ابن راحيل يريد أن يملك علينا فيقول أنا سيدكم وانتم عبيدى فحسدوه على ذلك (٣).

(١) كفاى: فى الأدب المقارن ص ٣٦٤ .

(٢) الثعلبى: قصص الأنبياء: ص ١١٦، ص ١١٧ .

(٣) ينقل الزمخشري فى «الكشاف» عن وهب بن منبه «الرؤيا التى ذكرتها التوراة والتى وردت فيما بعد فى منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى ومقادها. أن يوسف عليه السلام رأى فى منامه . وهو ابن سبع سنين - أن إحدى عشر عصا طولا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلمتها وغلبتها. فوصف يوسف ذلك لأبيه فقال له: إياك أن تذكر ذلك لاختوتك. ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه، فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الفوائى». (أبو القاسم الزمخشري الخوارزمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجود التأويل، ج ٢، ص ٢٠٢، مصر ١٩٦٦ م .

ثالثاً: المؤامرة<sup>(١)</sup>:

وردت أحداث المؤامرة على قتل يوسف فى خمس آيات كريمة (من الآية ١١ - ١٥ من سورة يوسف). وقد وضع المفسرون حول هذه الآيات الكريمة تفصيلات كثيرة أختار منها ما يلى : أجمعوا أمرهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى إرسال يوسف معهم إلى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب: إن أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا إلى يوسف حتى نلعب بين يديه، فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب معهم، فأقبل عليهم وقال: يا اخوتاه انطلقوا إلى أبى واسألوه أن يرسلنى معكم «قالوا يا أبانا ما لك لا تأمننا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون فقال لهم يعقوب: إنه ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس وغيره: وإنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه وإذا ذئب منها يحمى عنه، وكأن الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام، فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم: وأخاف أن يأكله الذئب<sup>(٣)</sup>.

أما عن القائه فى البئر فإن الكسائى<sup>(٤)</sup> يحكى نقلا عن وهب ابن منبه رواية مفادها أن يهوذا قال لآخوته لما أخذوا يوسف لقتله «لا تقتلوه بل القوه فى غيابة الجب، فجزوا يوسف إلى جب عميق على قارعة الطريق وكان ضيقا وماؤه ما لحا وكان قد حفره سلم بن نوح مكتوب عليه «هذا جب الأحزان» ثم نزعوا ما كان عليه من الثياب وشدوا وسطه بالحبل وأدلوه، ولما قرب من وسط البئر أطلقوا الحبل من أيديهم لكى يقع ويموت فجاءه جبريل وأخذه بجناحيه قبل أن يصل إلى قعر

(١) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : ص ٢٧٠.

(٢) الثعلبى : قصص الأنبياء : ص ١١٨

(٣) يروى القرطبى رواية أخرى مفادها أن الإخوة لما تفاوضوا وافترقوا على رأى المتكلم الثانى عادوا إلى يعقوب وقالوا هذا القول ومعنى ذلك أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى.

(القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ج ٩، ص ١٢٨، مصر ١٩٢٩ م)

(٤) الكسائى : قصص الأنبياء : ص ١٥٩.

الجب وقال له: لا تخف يا يوسف فإن الله معك . فبسط جبريل على وجه الماء صخرة عظيمة كانت فى قعر الجب وأجلس عليها يوسف وأتاه بطعام وشراب من الجنة»(١).

رابعاً : يوسف يُحْمَلُ عبداً إلى ارض مصر(٢)؛

تمضى القصة بعد ذلك فتصور عثور إحدى القوافل المسافرة على يوسف فى البئر، وهنا يظهر اخوة يوسف وَيَدْعُونَ أَنَّهُ عَبْدًا أَبَقَ وَأَنَّهُمْ مَالِكُوهُ(٣) ويحصلون من أحد أفراد القافلة وهو «مالك بن زعر» على ثمنه ويحذرونه منه مدعين أنه كاذب سارق. وفى الطريق إلى مصر يختفى يوسف من صاحبه بعض الوقت، وذلك لأنه مر على قبر أمه فتوقف عنده يناجيه ويشكو لها ما أصابه ويعثر على يوسف فيضرب ويؤخذ إلى مصر فيشتريه عزيز مصر قطفير بن رحيب وكان الملك يؤمئذ الريان بن الوليد ويوصى به امرأته. وتعشق امرأة العزيز يوسف وتراوده عن نفسه بعد أن يمتلك الحب قلبها. وتحاول القصة أن تختلق لها عنرا فى ذلك فتصف قطفير بأنه كان رجلاً ناقص الرجولة»(٤). وهناك تفاصيل كثيرة حول مشاهد الاغراء والاغواء التى اصطنعتها امرأة العزيز للظفر بيوسف» وكانت حسناء ناعمة فى ملك ودنيا»(٥).

(١) يذكر الزمخشري فى «الكشاف» رواية اخرى تتطابق فى تفاصيلها مع الصورة الشعرية التى رسمها مؤلف منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى ومفادها \* أن اخوة يوسف اتفقوا فيها بينهم على القائه فى جب يبعد ثلاثة فراسخ عن منزل يعقوب وفى الطريق إلى البئر اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يفته إلا بالاهانه والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء. فقال لهم يهودا: أما اعطيتموني مولثاً أن لا تقتلوه». فلما أرادوا إلقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه، فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه . فقال لهم يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به، وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له «ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تونسك، ودلوه فى البئر» (الزمخشري : الكشاف : ج ٢، ص ٣٠٦، ص ٣٠٧ )

(٢) كفاى : فى الأدب المقارن : ص ٢٧٥ .

(٣) مما يرويه الألوسى فى هذا الشأن أن اخوة يوسف جاؤا إلى البئر وقالوا للسيارة أن يوسف عبد لهم أبى، فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه، وقالوا له بالعبرية : فنقتك . فأقر بها واشتروه منهم . (الألوسى: روح المعانى : ج ١١، ص ١٨٣ . طبعة المطبعة المنيرية بمصر).

(٤) الطبرى: تاريخ الطبرى ج ١، ٣٧٩، ٢٨٠، طبعة بريل ١٩٦٤ م

(٥) الثعلبى: قصص الأنبياء : ص ١٢٥ .

وردت في مسألة المراودة والهم اقاويل كثيرة وروايات وتفسيرات شتى داخل أغلبها الاسرائيليات وسأوجز جانباً منها فيما يلي:

يقول القرطبي في ذلك<sup>(١)</sup>: وفي الخبر أنها قالت له حين همت به: يا يوسف ما أحسن صورة وجهك . قال في الرحم صورني ربي، قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري، قالت: يا يوسف ارفع بصرك فانظر في وجهي. قال إني أخاف العمى في آخرتي. قالت يا يوسف أدنو منك وتتباعد مني ؟ قال أريد بذاك القرب من ربي. قالت يا يوسف القيطون فادخل معي. قال القيطون لا يسترنى من ربي. قالت يا يوسف فراش الحرير قد فرشته لك فقم فاقض حاجتي قال إذن يذهب من الجنة نصيبى. إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها إلى أن هم بها وما حدث له بعد ذلك عند ما رأى برهان ربه<sup>(٢)</sup>.

سادساً: مسألة البرهان:

هناك اقاويل كثيرة عن مسألة البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام نختار منها رأى الألوسي<sup>(٣)</sup>. وفي ذلك يقول الألوسي: - ورووا في البرهان روايات شتى منها ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن علي كرم الله وجهه أنها قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه. فقال أى شيء تضعين ؟ فقالت استحي من الهى أن يرانى على هذه السوءة . فقال تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب ولا أستحي أنا من الهى الذى هو قائم على كل نفس

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : ج ٩ ، ص ١٦٥ ، مصر ١٩٢٩ م

(٢) يقول الثعلبي عن حادثة المراودة :

«وإما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك وقالوا : لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له نفسه وتشوقه إلى نفسها، فقالت له يا يوسف : ما أحسن شعرك، قال: هو أول شيء ينثر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك، قال: هي أول ما يسيل على الأرض، قالت: ما أحسن وجهك، قال: التراب يأكله. قال فلم تزل تأمره حتى تمناها زوجة له .

(الثعلبي : قصص الأنبياء ص ١٢٥ .

(٣) الألوسي : روح المعاني ج ١١ ، ص ١٩٢ .

بما كسبت. ثم قال : لا تنالها منى أبدا<sup>(١)</sup>. ومنها أنه عليه السلام مُثَّلَ له يعقوب عليه السلام فضرب بيده على صدره<sup>(٢)</sup>.

سابعاً : الشاهد:

اختلف العلماء فى شخصية الشاهد، فقال بعضهم أنه كان ابن عم لها كان مع زوجها ودخلا معا وشاهدا ما حدث من قد قميصه من الخلف. وقال آخرون: «كان صبياً فى المهد انطقه الله تعالى ويدل عليه حديث بن عباس عن النبى ﷺ قال : تكلم أربعة فى المهد وهم صغار وعد منهم<sup>(٣)</sup> شاهد يوسف». كما قيل إن الشاهد كان القميص وقده من دبره فتلك الشهادة. فلما رأى الزوج ذلك قال لراحيل : إنه من كيدكن، ثم قال ليوسف: اعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد . ثم قال لزوجته استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين<sup>(٤)</sup>.

ثامناً : القميص: .

من الاسرائيليات الأخرى التى حفلت بها كتب التفسير وكتب القصص القرآنى وكان لها تأثير على شعراء الفارسية مسألة قميص يوسف وتذهب أقوال المفسرين فى ذلك كل مذهب، حتى أنها تتسبه إلى إبراهيم عليه السلام . فتزعم أن جبريل عليه السلام كان قد جاء به من الجنة والبسه إبراهيم حين ألقى به فى النار فلم تصبه النار بسوء<sup>(٥)</sup>. ثم جعل إبراهيم عليه السلام هذا القميص ميراثاً

(١) يذكر العلامة أبو السعود رواية أخرى عن البرهان وهى أن يعقوب عليه السلام قد تمثّل ليوسف عاضاً على أنامله . وقيل ضربه على صدره فخرجت شهوته من أنامله.

(أبو السعود محمد العمادى: ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (ج ٥، ص ١٧٩ . مصر ١٢٨٩ هـ)

(٢) ينفى الألوسى ما ورد عن أصحاب الاسرائيليات فى مسألة الهم والمراودة ويقول: «وجل تلك الروايات بل كلها مأخوذ من مسألة أهل الكتاب» إذ المراد بالهم أنه هم يدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك.

الألوسى: روح المعانى: ج ١١، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى ج ١ ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) يضيف القرطبى شاهداً آخر غير الذى ذكرهم الطبرى وهو أنه كان رجلاً حكيماً ذا عقل ومرؤة وكان الزوج «الوزير» يستشير به فى كل أمور، وكان من جملة أهل المرأة وكان مع زوجها. القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ١٧٢، ١٧٣.

(٥) يذكر الألوسى بعض هذه الروايات فيقول : وكان عند يعقوب قميص إبراهيم عليه السلام الذى كساه الله تعالى إياه من الجنة حين ألقى فى النار وكان قد جملة فى قصبه من فضة وعلقه فى عنق يوسف لما خرج مع أخوته. فلما صار فى البئر أخرجه ملك والبسه إياه فأضاء له الجب فعذب ماؤه وكان يفنيه عن الطعام والشراب

(الألوسى : روح المعانى : ج ١١، ص ١٧٦ )

فى ذرىته أعطاه اسحق، ثم اعطاه اسحق ليعقوب ، ثم ها هو يوسف يدفع به إلى  
اخوته ليلقوه على وجه أبيه فيرتد بصيرا ويأت بتلك المعجزة الخارقة ..

\*\*\*\*\*

إذا تأملنا جوانب من هذه المادة القصصية وجدنا كيف كانت تحمل فى  
جوانبها عناصر الفن القصصى غزيرة فياضة حتى دفعت من أسلم من  
الاسرائيلين إلى أن يدخل بعضا منها فى تفسير السورة الكريمة وتقبلها كثير من  
المسلمين على أنها حقائق تاريخية. كانوا لا يتوقفون كثيرا فى البحث حول حقيقة  
القصص الذى يذكره لهم أهل الكتاب ما دام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا<sup>(١)</sup>.

هذا .. وقد حرصت على عرضها رغبة منى فى إيضاح ما تحمله فى ثناياها  
من إسرائيليات كثيرة كان لها تأثيرها على الشعراء الذين نظموا هذه القصة،  
وبصفة خاصة على ناظم القصة المنسوبة للفردوسى ..

---

(١) محمد كفاى، فى الأدب المقارن، ص ٢٦٧.



## الفصل الثالث

### منظومات يوسف وزليخا الموجودة بين أيدينا

أولاً:

المنظومة المنسوبة للشاعر

أبي القاسم الفردوسي



## القسم الأول

### الشاعر أبو القاسم الفردوسى

«عصره السياسى والعلمى - سيرته - مؤلفاته»

عصر الفردوسى:

يتسم القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه الفردوسى باتساع رقعة العالم الإسلامى وتعدد الدول الإسلامية التى تعاقبت خلال تلك الحقبة من الزمن.. ففى سنوات ذلك القرن كان قد ظهر فى كل ركن من أركان الدولة الساسانية القديمة دولة جديدة، فكان هناك دولة السامانيين فى خراسان وما وراء النهر، والدولة الزيارية، والدولة البويهية والدولة الغزنوية.

أما الدولة السامانية فقد ضعف شأنها فى ذلك الوقت ضعفا شديدا ولم يعد بأيديهم سوى إقليم ما وراء النهر بعد أن انتزعت خراسان منهم على يد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية. وحتى هذا الإقليم لم يدم بأيديهم طويلا، لأن ايلك خان استطاع بجيشه أن يزحف إليه فى سنة (٢٨٩ هـ / ٩٩٩ م) وأن يضع بذلك نهاية للدولة السامانية.. وهكذا تهيأ الأمر للسلطان محمود الغزنوى - أشهر ملوك هذه الدولة وأبرز أعلام التاريخ الإسلامى فى تلك الفترة - أن يقوم بسلسلة من الفزوات لبلاد الهند ورفع راية الإسلام بين ربوع شبه القارة الهندية لتمتد بذلك دولته امتدادا عظيما فتشمل خراسان وطبرستان فى الغرب، وتركستان وماوراء النهر فى الشمال وإقليم البنجاب كله وما حوله..

وكان لانتصارات السلطان محمود الغزنوي العسكرية ووفرة الغنائم والأموال التي تدفقت على غزنة<sup>(١)</sup> أثرها في رواج الفن والأدب، إذ جعلت منه هذه الانتصارات بطلا شعبيا تروى حوله القصص والأشعار<sup>(٢)</sup>. يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخون من أن السلطان محمود لم يكن مجرد قائد عسكري ينتقل من غزوة إلى أخرى، ولكنه طبقا للمصادر التاريخية كان رجلا محبا للشعر منشدا له في كثير من الأحيان<sup>(٣)</sup> ويصفه العتبي قائلا: وحاز الله له من البسطة في العلم والحلم والهيبة والاسم والحسم والظفر ما جایش به الأعداء<sup>(٤)</sup>.

وقد امتازت هذه الفترة بتقدير الأمراء لرجال الأدب والسعي إلى إرضائهم. فقد كان كل أمير يريد أن يتفوق على أقرانه في كثرة ما يحوطه من رجال العلوم

(١) يصف الكرديزي في «زين الأخبار» عودة السلطان منتصرا من إحدى معاركه مع جيبال ملك الهند قائلا: «وظفر السلطان محمود بالنصر وقهر جيبال وهلك الكفار. وقتل المسلمون منهم في هذه المعركة خمسة آلاف كافر وأسروا جيبال مع خمسة وعشرين من أبنائه واخوته» الكرديزي: زين الأخبار، ت عفاف زيدان، ص ٢٨٥ مصر ١٩٨٢ م.

(٢) يصف العتبي - مؤرخ السلطان محمود - الغنائم التي أحضرت من إحدى معارك السلطان محمود في الهند قائلا: «فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الأحقاب ما لا تقله ظهور الأجمال ولا تسعه أوعية الأحمال ولا تسخه أيدي الكتاب. وكان يبلغ المنقول من الورق سبعون ألف درهم شامية ومن الذهبيات والفضيات مائة ألف وأربعمائة من درهم وزنا» (العتبي: تاريخ يميني: ص - ٢٢٥، ٢٢٦، نسخة خطية، لاهور ١٨٩٧هـ).

(٣) أورد محمد عوفى في «لباب الألباب» بعض الأبيات ذكر أن السلطان محمود الغزنوي قالها في رثاء جارية له اسمها «كستان»، يقول فيها:

تاتواي مراه زيرخاك شدى	خاك رابر سيهر فضل آمد
- دل جزع كسرد آي دل سيسر	اين قضا از خدای عدل آمد
- آدم از خاك بسود خاك شدى	هسرکه زاو زاد بساز اصل آمد

والمعنى:

- منذ أن صرت أيها القمر تحت التراب	صار للأرض فضل على الفلك
وقد جزع قلبي فقلت صبيرا أيها القلب	إن هذا القمضاء حل عدلا منه
- فقد كان آدم من تراب وصار إلى التراب	ولا بد أن تلحق سلالته بأصلها

(محمد عوفى: لباب الألباب، ج ١ ص ٢٤، ليدن ١٩٠٦ م)

(ترجمة الأبيات نقلا عن: د محمد نور الدين: دراسات في الشعر الفارسي ص ٢٣، ٢٤ مصر ١٩٨٦ م)

(٤) العتبي: تاريخ يميني: ص ١٠

هذا ويقول ابن الأثير في وصف شخصية السلطان محمود الغزنوي:

«كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلا دينا خيرا عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب في فنون العلوم وقصده العلماء من أقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن إليهم» (ابن الأثير: التاريخ الكامل: المجلد التاسع، ص ٤٠١، بيروت ١٩٦٨ م)

والفنون. ولهذا فقد تعددت المراكز الأدبية بين غزنة عاصمة محمود الغزنوى ونيسابور عاصمة أخيه أبى المظفر نصر فى ولاية خراسان وبخارى. إضافة إلى قصور العلويين والزياريين فى ولاية طبرستان وقصور ملوك خوارزم الثلاثة المعروفين باسم آل مأمون فى مدينة خيو<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى اشتغال مجموعة من هؤلاء الأمراء ووزرائهم بالأدب والعلم، ومن هؤلاء: الصاحب بن عباد وزير البويهيين فى اصفهان والرى (٢٨٥ هـ / ٩٩٥ م)<sup>(٢)</sup> وشمس المعالى قابوس بن وشمكير (م ٤٠٢ هـ / ١٠١٢ م)، ومأمون الثانى ملك خوارزم (م ٤٠٧ هـ / ١٠١٧ م)<sup>(٣)</sup>.

وقد نتج عن ذلك كله ازدهار الفنون والعلوم والآداب فى شتى مجالات الحياة . وكان للشعر الفارسى النصيب الأكبر فى النضوج والازدهار وقد تم ذلك بفضل نبوغ مجموعة من رواد الشعر الفارسى ذكر منهم عوفى:

الدقيقى والعنصرى والعسجدى والفرخى ومنوجهرى وأسدى . وجماعة أخرى تالية لهم فى المنزلة نذكر منهم: بهرامى وبندار الرازى وغضائرى الرازى والكسائى وأبى سعيد بن أبى الخير صاحب الرباعيات الصوفية . وفى مقدمة من ذكرنا يأتى الفردوسى أشهر شعراء الفارسية ..

---

(١) حكمت هذه الاسرة بلاد خوارزم. وقد بداوا حياتهم كولاة تابعين للسامانيين وفى الفترة بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية كانوا شبه مستقلين. وكان آخر امراء هذه الدولة أبو العباس المأمون قد تزوج بشقيقة السلطان محمود. وفى عام (٤٠٧ هـ) قام بعض جنود المأمون بثورة ضده وقتلوه. مما أدى إلى تدخل صهره السلطان محمود الغزنوى فقدم إلى خوارزم واستولى عليها. تاريخ بيهقى: أبو الفضل البيهقى: ت يحيى الخشاب. ص ٧٤٢، مصر ١٩٥٦ م.

(٢) يتحدث ابن الأثير عن مناقب الصاحب ابن عباد فى حوادث سنة ٢٨٥ هـ (قائلا: -

«كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأى وكرما عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة وموادها . ورسائله مشهورة ومدونة - طبعت رسائله فى مصر سنة (١٢٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره ، حتى أنه كان يحتاج فى نقلها إلى اربعمائة جمل . وتوفى سنة (٢٨٥ هـ)

(ابن الأثير : حوادث سنة ٢٨٥ هـ ج ٩ . ص ١١٠ الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٦٨ م .

(٣) يضاف إلى من ذكرناهم أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى (م ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) الذى ولى ديوان الرسائل على عهد السلطان محمود الغزنوى وصاحب الكتاب المشهور «تاريخ بيهقى» ويقال أنه وصل إلى منصب صاحب الديوان فى عهد السلطان عبد الرشيد .

(نقلا عن : السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى ، ص ٢١٤)

ويذكر المؤرخون أنه ساد هذه الفترة التاريخية تياران من الشعر الفارسي .  
الأول : الشعر الملحمي<sup>(١)</sup> . والثاني الشعر الفنائى ..

أما الشعر الملحمى فترجع بدايته إلى الدولة السامانية حيث حرصت هذه  
الدولة على إحياء الحضارة الفارسية والعودة إلى ما كانت عليه أيام حكم السامانيين ..

وفى سبيل إحياء القومية الإيرانية عملت الدولة على تشجيع الأدباء والشعراء  
على التنقيب فى تاريخ إيران القديم وإخراج كل ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز  
بالقومية الإيرانية وتأليف الكتب والقصص فى هذا الشأن . كما ازدهرت حركة  
الترجمة لأمهات الكتب العربية . نذكر منها - على سبيل المثال - ما قام به الوزير  
أبو على محمد البلعمى» (م ٣٦٢ هـ) من ترجمة لتاريخ الطبرى سنة (٢٥٢ هـ /  
٩٦٣ م) . كما ترجم تفسير الطبرى بأمر أبى صالح منصور بن نوح السامانى<sup>(٢)</sup> .  
ويذكر ذبيح الله صفا أنه قد صاحب ذلك انتشار الثقافة البهلوية وشيوع كتب  
الفرس القديمة مترجمة فى أغلب الأحوال على يد فريق من المترجمين المسلمين  
حتى أن كتاب «خدای نامه» بلغ عدد مترجميه إلى العربية أحد عشر مترجما<sup>(٣)</sup> ..

كما اهتم العديد من مؤرخى التاريخ الإسلامى بالحديث عن سير ملوك  
الفرس<sup>(٤)</sup> وقد انتشرت تلك المؤلفات - جنباً إلى جنب - مع الثقافة الفارسية

---

(١) يقسم ذبيح الله صفا هذا النوع من الشعر إلى قسمين الأول: حماسة الأساطير والبطولات؛ وهى تلك التى  
تستقى مادتها وأحداثها من عصر ما قبل التاريخ مثل المهابارتا والرامينا فى الأدب الهندى. ومثل كرشاسب  
نامه وبهمن نامه وبروزنا مه فى الأدب الفارسى.

أما النوع الثانى : فهى الحماسة التاريخية ؛ وهى تلك المنظومات التى تستمد مادتها من أحداث التاريخ  
ووقائعه مثل : ظفر نامه لحمد الله مستوفى القزوينى، وشاهنشاه نامه لملك الشعراء صبا، ويقول ذبيح الله  
صفا إن هذا النوع من الشعر قد ظهر متأخراً عن الشعر الفنائى.

ذبيح الله صفا : حماسة سرائى : ص ٦ ، ٧ ، ١٤ ، طهران ١٩٥٤ م.

(٢) حكم فى الفترة من ( ٢٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٦ - ٩٧٦ م )

(٣) ورد ذكر هؤلاء فى كتاب «حماسة سرائى» على النحو التالى: ابن المقفع ومحمد بن جهم البرمكى وزادويه بن  
شاهويه الاصفهائى ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهائى وهشام بن قاسم الاصفهائى وموسى بن عيسى  
الكسروى وبهرام بن مردان شاه واسحق بن يزيد وعمر بن الفرخان وبهرام الهروى المجوسى وبهرام بن مهران  
الاصفهائى . حماسة سرائى : ص ٦٩ .

(٤) يحدثنا حمزه الاصفهائى المتوفى فى حدود سنة (٣٦٠ هـ) فى كتابه: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء المؤلف  
فى حدود سنة (٣٥٠ هـ) عن كيفية كتابة تاريخ ملوك الفرس وسيرهم وطبقات ملوكهم فيقول: «لم يكن لى فى  
حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا جمع النسخ المختلفة النقل، فاتفق لى منها ثمانى نسخ هى: كتاب سير  
ملوك الفرس من نقل ابن المقفع - كتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن جهم البرمكى - كتاب تاريخ ملوك =

التي وجدت لها أرضاً خصبة بين الإيرانيين، وخاصة أهل البيوتات<sup>(١)</sup> والدهاقين والموابذة الذين كانوا يحفظون سلسلة أنسابهم، ويتناقلون فيما بينهم حكايات البطولة والفضاء التي قرأوها في كتب خدائنامة، ودينكرد نامه وكتاب تنسر وغيرها من كتب الفرس وقصصهم و... يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخون من ظهور روح التنافس بين ملوك وأمراء الدول الإسلامية الفارسية على اصطحاب رجال العلم والأدب، حتى وصف السلطان محمود الفزنوي بأنه من كبار الخاطفين لرجال العلوم والآداب والفنون «وليس ببعيد عن الأذهان قصة الصراع بينه وبين مأمون بن مأمون أمير خوارزم يوم طلب منه أن يبعث إليه بابن سينا والبيروني وابن سهل المسيحي والحسن بن الخمار وأبي نصر العراق».

يضاف إلى ما سبق من عوامل ما ذكره المؤرخون من اهتمام نفر من وزراء هذا العصر - ممن لهم جذور فارسية - بالشعر الحماسي الذي يدور حول تاريخ الفرس القديم . وأوضح مثال لهؤلاء أبي منصور محمد بن عبد الرزاق صاحب الشاهنامه المنصورية المنثورة، والذي كان قائداً للجيش بخراسان (٢٤٩ هـ) على عهد وشمكير الزيارى. وكان من أهل طوس ومن المتعصبين لإحياء مجد الفرس القديم، فكلف وزيره أبا منصور المعمرى والذي كان - مثله إيراني الأصل متعصباً

---

= الفرس المستخرج من خزانة المأمون - كتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الاصفهاني - كتاب سير ملوك الفرس من نقل وجمع محمد بن مطيار الاصفهاني - كتاب تاريخ ملوك بني ساسان من اصلاح بهرام بن مردان شاه مويذ كورة شاپور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لي هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب .. ثم يفصل الاصفهاني بعد ذلك القول عن ملوك الفرس من العهد البيشداي حتى العهد الساساني.

(حمزة الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص ١٢ وما بعدها، بيروت ١٩٦١ م)

(١) من هؤلاء حمزة الاصفهاني في كتابه «تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء» والدينوري في كتابه «الأخبار الطوال»، وابن النديم في كتابه «الفهرست» والبيروني في كتابيه «الأثار الباقية» و«تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مردولة» وابن مسكويه في كتابه «تجارب الأمم»، والمسعودي في كتابيه «مروج الذهب والتنبيه والإشراف»، والطبري في الجزئين الأول والثاني من كتابه «تاريخ الرسل والملوك» .. وابن الأثير في الجزء الأول من كتابه، «الكامل في التاريخ» والثعالبي في كتابه «غرر ملوك الفرس» والعتبي في كتابه «تاريخ يعيني».

لتاريخ قومه - بتولى تلك المهمة . وقد تحدث البيروني في ( الآثار الباقية ) عن هذه الشاهنامه وعن ذيوها وانتشارها بين الإيرانيين قبل أن يؤلف الفردوسي شاهنامته الشعرية<sup>(١)</sup>..

وقد نتج عن ذلك كله أن تزايد الشعور القومي عند الفرس - حكاما ومحكومين - وتسابق الشعراء على جمع هذه المادة الخصبة التي أتاحت لهم من تراث الأجداد وتنسيقها وصياغتها في قوالب شعرية ونثرية. ومن هنا انتشرت الشاهنامات الشعرية والنثرية ذات الطابع الحماسي والتي يتغنى فيها مؤلفوها بأمجاد وبطولات أجدادهم الفرس..

ويذكر عبد الوهاب عزام أن بداية هذا النوع من الشعر كانت على يد مسعود المروزي سنة ( ٢٠٠ هـ ) وكانت شاهنامته ذائعة الصيت في الوقت الذي كان فيه الفردوسي مشغولا بنظم شاهنامته.. ويكفي أن نذكر في هذا المجال أنه كان هناك خمس شاهنامات<sup>(٢)</sup> سابقة على شاهنامه الفردوسي وأنه كان هناك اثنين وعشرين كتابا تاليا لشاهنامه الفردوسي يجرى أغلبها في فلك واحد وتستقى مادتها من مصادر متشابهة في مجموعها وإن اختلفت في تفاصيلها<sup>(٣)</sup>..

(١) البيروني: الآثار الباقية؛ ص ١١٦ لبيزج ١٩٢٢ م .

(٢) هذه الشاهنامات هي على النحو التالي:-

أ - شاهنامه مسعود المروزي التي الفت في حدود سنة ( ٢٠٠ هـ ).

ب - شاهنامه الدقيقي المعروفة باسم كشتاسب نامه .

ج - شاهنامه ابي المؤيد البلخي النثرية التي كتبها في حدود سنة ( ٢٥٢ هـ ).

د - شاهنامه ابي منصور بن محمد بن عبد الرزاق النثرية المؤلفة في حدود سنة ( ٢٤٦ هـ ).

هـ - شاهنامه ابي علي محمد بن احمد البلخي المنثوره والتي لم يعرف تاريخ تأليفها .

(نقل عن : عبد الوهاب عزام : الشاهنامات البنداري - المدخل من ص ٢٢ - ص ٢٩ ) القاهرة ١٩٢٢ م.

(٣) هذه الكتب هي على النحو التالي:

كرشاسب نامه لأسدي الطوسي ( ٤٥٨ هـ ) - بهمن نامه لايران شاه بن ابي الخير (أواخر القرن الخامس الهجري) - فرامرزننامه المنثوره والتي كانت معروفة في القرن الخامس الهجري ومجهولة المؤلف - كوش نامه لايران شاه بن ابي الخير ( ٥٠١ هـ ) - بانو كشتاسب نامه من آثار القرن الخامس الهجري - برزوزنامه وتتسب إلى شاعر اسمه عطاي الرازي وكان معاصرا لمسعود سعد بن سلمان - شهريار نامه لسراج الدين عثمان القرني المتوفى ( ٥٤٤ هـ أو ٥٥٤ هـ ) - آذر برزين نامه (مجهولة المؤلف) - جهانكير نامه وعدد أبياتها ( ٦٣٠٠ بيتا ) وناظمها اسمه قاسم وتخلصه « مارج - اسكندر نامه للشاعر نظامي المولود بين ( ٢٥٢ هـ و ٥٤٠ هـ ) في مدينة =



أما الشعر الغنائي - والذي بدأ في الظهور في العهد الساماني بفضل الرودكي السمرقندي (م ٢٢٩ هـ) وأبو الحسن شهيد البلخري (م ٢٢٥ هـ) والدقيقى (م ٢٦٥ هـ) وغيرهم - من شعراء هذا العهد - فقد أصبح يمثل ظاهرة عامة وسمة من سمات الأدب في العصر الغزنوي.. وكان من الطبيعي أن تغمر الروح الغنائية دروب شعراء هذا العصر وخيالاتهم بسبب العوامل التي ذكرناها من قبل، من وفرة الغنائم والأموال التي تدفقت على غزنة بعد انتصارات السلطان محمود المتواليه في الهند . يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخون من أن السلطان محمود كان يريد برعايته للأدب والعلوم والفنون - أن يجعل من نفسه شخصية محببة لدى عامة المسلمين . فجمع حوله العلماء والأدباء والشعراء على اختلاف مذاهبيهم<sup>(١)</sup> واحتلت غزنه مكانة مرموقة تفوق مكانة خراسان على عهد السامانيين. فقد حرص السلطان محمود - على أن يجعل منها قبلة الشعراء ومحط

=كنجة - سام نامه للشاعر خواجو الكرماني من شعراء القرن السابع الهجرى - آئينه اسكندرى للأمير خسروبن الأمير سيف الدين الدهلوى المولود في الهند سنة (٦٥١ هـ) والمتوفى في دهلى سنة (٧٢٥ هـ).  
 وخرى نامه اسكندرى للشاعر نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الدشتى المتخلص بجامى والمولود في سنة (٨١٩ هـ) والمتوفى سنة (٨٩٨ هـ) - قصة ذى القرنين للشاعر بدر الدين الحسينى من شعراء القرن العاشر بالهند - ظفرنامه : لحمد الله مستوفى القزوينى صاحب تاريخ كزیده والمؤلفة سنة (٧٢٥ هـ) شهنتشاه نامه. وهى من تأليف القزوينى أيضا والمؤلفة في حدود سنة (٧٢٨ هـ) غازان نامه للشاعر نور الدين بن شمس الدين بن محمد ألفها سنة (٧٦٢ هـ) .. شاهنامه هاتفى؛ ألفها الشاعر هاتفى سنة (٩١٧ هـ) خاور نامه؛ للشاعر محمد بن حسام الدين من شعراء القرن التاسع الهجرى وانتهى من تأليفها سنة (٨١٠ هـ) - صاحبقران نامه : وقد نظمت في حدود سنة (١٠٧٢ هـ) ولا يعلم ناظمها - حملة حيدرى وناظمها ميرزا محمد رفيع المتوفى سنة (١١٢٢ هـ) في دهلى - اردبيهشت نامه : نظمها ميرزا محمد على شمس الشعراء من شعراء العهد القاجارى . ويضيف ذبيح الله صفا المنظومات التالية : منظومة سوسن نامه ، وهى جزء من برزوانه عطائى - بيزن نامه وهى أيضا للشاعر عميد عطاء - لهراسب نامه مجهولة المؤلف - داستان جمشيد مجهولة المؤلف - داستان كك كوهزاد مجهولة المؤلف - داستان شيرنك مجهولة المؤلف - نقلا عن : ذبيح الله صفا ، حماسه سرائى من ٢٨٢ إلى ٢٥٢ هـ...

(١) كان السلطان محمود الغزنوى - كشأن الاتراك عموما سنيا متعصبا لمذهبه فحارب الشيعة والقرامطة وتعقبهم في كل مكان . لكنه مع ذلك صادق كثيرا من العلماء الذين كانوا على غير مذهبه . وخير مثال على ذلك علاقته بابن سينا والبيرونى . فقد كان يهيمه ارتباط هؤلاء العلماء به والتفافهم حوله سواء بالترغيب أو الترهيب . ولهذا فقد صوره براون تصويرا دقيقا حين قال عنه «طلما وصف الكتاب محمود الغزنوى بأنه كان نصيرا كبيرا للأدب والفنون . ولكنه في رأى أقرب إلى أن يوصف بأنه كان من كبار الخاطفين لرجال الأدب والفنون»

(على الشابى : الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ص ١٧ و ١٨ تونس ١٩٦٥ م)

أنظار العلماء والأدباء. فأقام فيها عشرات المكتبات التي كانت عامرة بآلاف الكتب التي نقلها من غزواته المختلفة في شتى بقاع الأرض كما استقدم العمال المهرة لتزيين مساجدها الأحد عشر ألف وبساتينها<sup>(١)</sup> وقصورها وحدائقها الغناء. وأحال بلاطها إلى جامعة عظمى تألفت فيها مختلف المعارف والفنون<sup>(٢)</sup>. وجعل منها بحق مباءة تُشَدُّ إليها الرحال<sup>(٣)</sup>.. واستحدث في بلاطه منصب «ملك الشعراء وكان شاعره العنصرى» (م ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) أول من شغل هذا المنصب.. ومما لا شك فيه أن إيجاد هذا المنصب - وما أحيط بصاحبه من مكانة مرموقة وجاه وعز وسلطان - جعل للشعر قيمة عالية ومنزلة سامية وجعل كل من يتطلع إلى هذا المنصب من الشعراء يجتهد ما وسعه الجهد في تنميق شعره وتنقيحه وتجويده ليذاع بين الناس قى أبهى وأجمل صورة. وقد وصف مؤرخه العتبي ذلك قائلاً «فوجدتهم - الشعراء - قد عولوا في معانيها على ما سار في أكناف الحضر من الأشعار الفارسية لآزدحام شعرائها على بابه بقصائدهم التي عبَّروا بها ديباجة الرودكى وصنعة الخسروى والدقيقى<sup>(٤)</sup>..»

ولهذا كله ارتقت فنون الشعر بألوانه المختلفة . وفتحت انتصارات السلطان محمود الباب على مصراعيه أمام شعراء الوصف. فازدهر فن الوصف وتعددت مجالاته لتشمل وصف الحروب والمعارك والحث على الجهاد واثارة الحماسة في نفوس الجنود.. كما ازدهر فن المديح وتفننى الشعراء بآيات المديح والثناء والاشادة بعبقرية السلطان وبسالته وما يبيديه من ضروب الشجاعة والبسالة في قتال الأعداء لنشر الدين الإسلامى وهدم حصون الكفر واعلاء كلمة الله في أرضه. وكان العنصرى «ملك الشعراء» الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا الفن. كما ارتقى فن الغزل بفضل جهود نجوم الشعر الغنائى فى هذا العنصر ومنهم: الفرخى والعسجدى والمنوجهرى (م ٤٣٢ هـ) وتشهد قصائد الغزل المنتشرة فى ديوان

(١) يتحدث العتبي عن اهتمام السلطان محمود بتزيين مسجد غزنة قائلاً:

«ونقل إليه من أقطار الهند والسند جذوعاً توافق قديراً ورصانة وتناسبت تدويراً أو ثخانة وكانها استودعت أرحام الأرض لأمر معلوم. وقد فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب سحيق. (١) السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى ص ١٦ .

(٢) على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الفزنوى ص ١٨ .

(٣) السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى : ص ١٥ مصر سنة ١٩٧٨ .

(٤) العتبي : تاريخ يعينى ص ١٣ .

العسجدى على رقة احساسه وسلامة طبعه وعذوبة معانيه<sup>(١)</sup>. كما تشهد أشعار الفرخى السيستانى (م ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) والذي كان ما هرا ومبرزا فى فن الغناء والموسيقى والعزف - تشهد على شاعريته الفذة فى فن المديح.. وقد شمل ديوانه قصائد فى المديح والغزل ووصف الطبيعة ومجالس الطرب والشراب واحتفالات وسم الخيل وغزوات محمود الشهيرة على سومنات وغيرها من قلاع الكفر. كما امتاز المنوجهرى (م ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) بمهارته فى فن الوصف باغراضه المختلفة<sup>(٢)</sup>.

وقد حرص هؤلاء الشعراء - الذين مر ذكرهم - على العناية برونق أساليبهم وعملوا على أن يوفروا له كل ما استطاعوا من عذوبة اللفظ ونعومته ورشاقته ونقائه وصفائه فى اطار نغم موسيقى شجى<sup>(٣)</sup>.

هذا الرقى الذى وصل اليه الشعر فى العصر الغزنوى انعكس على النثر وساهم فى رقى معانيه وافكاره، وتطوير أساليبه<sup>(٤)</sup>.

ذلك أن العوامل التى ذكرناها - والتى ساهمت فى ارتقاء الشعر - كانت هى نفسها من أسباب تطور النثر وارتقائه.

وقد شمل هذه التطور أغلب فنون النثر.

وكان أشهر هذه الأنواع وأكثرها ذيوعا وانتشارا فن كتابه الشاهنامات التاريخية، التى تدور موضوعاتها حول التاريخ العام للملك الفرس وسيرهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ومن كتب التاريخ العام التى ظهرت فى هذه الفترة كتاب «زين الأخبار»<sup>(٥)</sup> لأبى سعيد عبد الحى محمود الكرديزى (م ٤٤٢ أو ٤٤٣ هـ) وكان الكرديزى من كبار الكتاب والمؤرخين للدولة الغزنوية..

ومن فنون النثر الأخرى التى ظهرت فى هذا العصر فن التأريخ الخاص لأسرات معينة أو ملوك . وكان مؤرخو هذا النوع غالبا من رجال البلاط الذين

(١) يان ريكا تاريخ أدبيات ايران : ت عيسى شهابى : ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) يان ريكا تاريخ أدبيات ايران ص ٢٨١ ، طبع طهران ١٩٧٥ م.

(٣) يان ريكا : تاريخ أدبيات ايران : ت عيسى شهابى ، ص ٢٨١.

(٤) السباعى محمد السباعى: النثر الفارسى ص ١٦.

(٥) ترجمت هذا الكتاب عن الفارسية د. عفاف زيدان ونشر سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م بالقاهرة ثم عادت فى عام ٢٠٠٨ م إلى إخراج الترجمة فى ثوب جديد وتنقيح فريد ونشره المركز القومى للترجمة.

عاشوا في كنف ملوك تلك الأسرات ومن أبرز الكتب التي تمثل هذا النوع من النثر : كتاب «تاريخ بيهقي» الذي ألفه أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقي عن تاريخ الدولة الفزنوية من نشأتها حتى أوائل حكم السلطان إبراهيم بن مسعود الفزنوي<sup>(١)</sup> وكان البيهقي (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) كاتباً لدى محمود ومسعود الفزنوي... وهناك كتاب آخر عن الدولة الفزنوية هو كتاب «تاريخ يميني» الذي ألفه باللغة العربية أبو النصر محمد بن العتبي مؤرخ السلطان محمود الفزنوي والمتوفى سنة (٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م) ثم ترجمه إلى الفارسية أبو الشرب ناصح بن ظفر سنة (١٦٠٣ م)<sup>(٢)</sup>.. كما برز في هذه الفترة لون آخر من ألوان النثر الفارسي ذلك الذي تدور موضوعاته حول مدينة أو ولاية بعينها، وخير مثال على ذلك كتاب «تاريخ سيستان» الذي ألف في حدود سنة (٤٤٥ هـ) ويؤرخ فيه مؤلفه المجهول لتاريخ الدولة الصفارية، وكذلك كتاب «تاريخ بخارا» الذي ألفه باللغة العربية عن تاريخ السامانيين محمد بن جعفر النرشخي (م ٢٤٨ هـ / ٩٥٩)، ثم نقله إلى اللغة الفارسية أبونصر قباوي وذلك في أوائل القرن السادس الهجري<sup>(٣)</sup>. ومن كتب النثر الأخرى التي ظهرت في هذا العصر الكتب ذات الطابع العلمي. وكان ذلك بفضل جهود عالين جليلين، الأول أبو علي بن حسين بن عبد الله بن سينا (م ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) ومن مؤلفاته العديدة في هذا المجال كتاب «دانش نامه علاني» الذي كتبه تلبية لرغبة علاء الدولة كاكويه الحاكم الديلمي. وترجع أهمية هذا الكتاب - كما يقول الدكتور السباعي محمد السباعي لاشتماله على الاصطلاحات المنطقية والفلسفية باللغة الفارسية واحتوائه على الدراسات المتعلقة بعلوم الهيئة والمنطق والطبيعات<sup>(٤)</sup>..

وأما العالم الثاني فهو أبو الريحان البيروني (م ٤٤٤ هـ / ١٠٤٨ م) الذي كتب غالبية مؤلفاته باللغة العربية. أما آثاره الفارسية فمنها : كتابه في الرياضيات والنجوم المعروف باسم: التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» والمؤلف سنة ٤٢٤ هـ<sup>(٥)</sup>.

(١) ترجم الجزء الخاص بعصر السلطان مسعود إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م بالقاهرة.

(٢) السباعي محمد السباعي النثر الفارسي ص ٧٧ ، ٧٨.

(٣) ترجمه إلى العربية أمين بدوي ونصر الله الطرازي ونشرته دار المعارف بالقاهرة.

(٤) السباعي محمد السباعي؛ النثر الفارسي ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٥) المرجع السابق.

ومن فنون النثر الأخرى التي تبحت في علوم الأدب والبلاغة يذكر لنا د/السباعي محمد السباعي كتابين الأول «ترجمان البلاغة»<sup>(١)</sup> لمحمد بن عمر الرادوياني والثاني «خجسته نامه» الذي ألفه الشاعر بهرامى في حدود سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) لكن أشهر كتب الأدب في هذا العصر هو كتاب «قابوس نامه» لعنصر<sup>(٢)</sup> المعالي كيكافوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير الزيارى المؤلف سنة (٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م) ويرى براون وغيره من المؤرخين أن هذا الكتاب من أجمل أمثلة النثر الفارسي وأرقاها عن هذه الفترة<sup>(٣)</sup>.

هذا ... كما ازدهرت العلوم والآداب بفروعها المختلفة،<sup>(٤)</sup> وكان ذلك بفضل جهود دائبة ومخلصة لكوكبة من علماء وأدباء هذا العصر. نذكر منهم ابن سينا، والبيروني، والفيلسوف ابا سهل المسيحي والطبيب ابا الحسن بن الخمار<sup>(٥)</sup> والرياضى ابا نصر بن العراق<sup>(٦)</sup> والمؤرخ ابا منصور الثعالبي<sup>(٧)</sup> والمجوسى الطبيب<sup>(٨)</sup>..

(١) نقل هذا الكتاب إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. محمد نور الدين سنة ١٩٨٧ م . بمصر.

(٢) نقل هذا الكتاب إلى العربية د. أمين بدوى وصادق نشأت سنة ١٩٨٥ م بمصر.

(٣) بروان : تاريخ الأدب في ايران : ت الشواربى، ص ٢٥٤ . مصر ١٩٥٤م.

(٤) هناك أيضا من كتب البلاغة التي ذكرها د. السباعي في كتابه: «النثر الفارسي» الكتب التالية: «غاية العروضين وكنز القافية للشاعر بهرامى السرخسى (النثر الفارسي ص ١٢١)، وهناك مجموعة أخرى من كتب النثر منها «كتاب تنسره الذى نقله إلى العربية د/ يحيى الخشاب، وكتاب ظفر نامه لابن سينا وكتاب في العقائد لأبي القاسم اسحق السمرقندى (٣٤٢هـ).

(٥) أبو الخير الخمار؛ هو الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام المعروف بابن الخمار الفيلسوف المنطقي والطبيب المشهور. ولد في بغداد سنة ( ٣٢١ هـ / ٩٤٢ م ) وقرأ علوم الفلسفة والمنطق على يحيى بن عدى، وبلغ الغاية القصوى في هذين الفنين. اتصل بخدمة مأمون بن مأمون بن محمد بن خوارزم شاه . وعاش في كنف الخوارزمشاهية إلى أن فتح محمود بلادهم سنة ( ٤٠٨ هـ ) والواضح أنه مات سنة ( ٤٠٨ هـ ) وكان معاصرا لابن النديم. وله في الطب والمنطق ما يقرب من خمسة عشر مؤلفا.. نقلنا عن : حواشى جهار مقالة ص ١٧٠ - ١٧١ . ت: عزام الخشاب.

(٦) أبو نصر العراق ؛ هو منصور بن على العراق من كبار الرياضيين في القرن الرابع الهجرى ومن معاصرى البيروني ، وقد كتب باسمه اثني عشر كتابا في فنون الرياضة المختلفة . وكان آل العراق من نسل ملوك خوارزم القدماء ونسبهم على مازعموا يتصل بكبخسرو.

(٧) الثعالبي؛ هو ابو منصور بن اسماعيل الثعالبي النيسابورى كان من أشهر أدباء هذا العصر وأغزرهم انتاجا. - ومن بين مؤلفاته العديدة : اللطائف والمعارف واهداه للصاحب بن عباد، غرر ملوك الفرس ؛ واهداه إلى أبى المظفر نصر الدين بن سبكتكين شقيق محمود الغزنوى ، التمثل والمحاضرة ؛ واهداه إلى قابوس بن وشمكير وسحر البلاغة وفقه اللغة واهداهما إلى الأمير أبى الفضل الميكالى ، والنهاية فى الكتابة ونثر النظم واللطائف والطرائف أهداهم إلى أمير خوارزم مأمون بن مأمون . وتوفى الثعالبي سنة ( ٤٢٠ هـ / ١٠٢٨ م).

(٨) المجوسى الطبيب ؛ هو أشهر من عرف بالمجوسى وهو على بن العباسى المجوسى طبيب عضد الدولة البويهى ومؤلف كتاب: كامل الصناعات» كان والده قد ترك الديانة المجوسية واعتق الدين الإسلامى. ويتحدث صاحب جهار مقالة فى الحكاية السادسة والثلاثين عن أحد الأدوية التى استعملها ذلك الطبيب الماهر..



## القسم الثاني

### سيرة الشاعر أبي القاسم الفردوسي

لم يختلف الكتاب والمؤرخون في الحديث عن تفاصيل حياة شاعر من شعراء إيران قدر اختلافهم حول تفاصيل حياة أبي القاسم الفردوسي.

ويجمل بنا أن نحاول - قدر الإمكان - تجنب الروايات الكثيرة والمتشعبة التي امتلأت بهما كتب التراجم حول هذا الأمر، وأن تكتفى بذكر الرأي الذي اجمع عليه العدد الأكبر من المؤرخين وكتاب التذاكر.

أما عن تاريخ مولده ففي ترجمة "الفتح البنداري" ما يفيد أن الشاعر انتهى من نظم الشاهنامه في حدود سنة (٢٨٤ هـ) بعد أن بلغ من العمر خمسا وستين سنة . وبناء على رأي البنداري يكون الفردوسي قد ولد سنة (٣١٩ هـ)<sup>(١)</sup> ويرى «نولدكه» أن الفردوسي انتهى من نظم الشاهنامه سنة (٤٠٠ هـ) وكان عمره وقتها يتراوح بين (٧٦ أو ٧٧ سنة)، ويخلص من ذلك إلى أن مولد الفردوسي بين سنتي (٣٢٣ هـ و ٣٢٤ هـ)<sup>(٢)</sup>. ويرى «ذبيح الله صفا» أنه ولد في حدود سنة (٣٢٩ هـ) ويستند في ذلك على ماورد في الشاهنامه من قول الفردوسي من أنه انتهى من تأليف الشاهنامه حين بلغ عمره الثامنة والخمسين وتوجه بها صوب السلطان محمود الذي اعتلى العرش الفزنوي سنة (٣٨٧ هـ)<sup>(٣)</sup>. وهكذا أصبح أمر

(١) الترجمة المربية للشاهنامه ، نشر وتقديم عزام ج ٢ من ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) نولدكه ؛ حماسة ملي ايران ت بزرگ علوي ، ص ٢٣ الطبعة الثانية .

(٣) ذبيح الله صفا ؛ حماسة سرائي در ايران ، ص ١٧٢ طهران ١٩٥٤ .

الاختلاف في تحديد سنة ولادة الشاعر محصورا بين سنوات (٣١٩ هـ و ٣٢٩ هـ) وهذا يقارب ما يروى أنه مات سنة (٤١١ هـ) وهو بين الثمانين أو الثلاث والثمانين إذا ما اتفقنا على أن تاريخ مولده هو عام (٣٢٩ هـ).

هذا .. وتتفق الروايات على أن شاعرنا لقبه الفردوسى وكنيته أبو القاسم<sup>(١)</sup>. ثم تختلف في اسمه بين منصور وحسن وأحمد، وفي اسم أبيه بين «على» وفخر الدين أحمد واسحق، وبعضها يسمي جده فَرخُ وبعضها يسميه شرفشاه . وليس في الشاهنامه ذكر اسمه ولا اسم أبيه، والفردوسى «لقبه الشعري كدأب شعراء الفرس ويقال إنه نسبة إلى بستان في طوس لعميد خراسان سوري بن المفيرة . وكان أبو الفردوسى خادمه<sup>(٢)</sup>..

وأما عن موطنه فإنه طبقا لرواية جهار مقالة - أنه كان من مدينة طوس التابعة لنيسابور من أعمال «خراسان»، ويقول النظامى العروضى أنه ولد بقرية «باز» من ناحية طبران وكانت طبران قسما من مدينة طوس<sup>(٣)</sup>...

وحول حياة الفردوسى الاجتماعية يذكر صاحب جهار مقالة أن الفردوسى كان من دهاقين طوس وكان مهتما بالزراعة يعيش على ما تغله أرضه عليه... ويظهر لنا مما ذكره الشاعر عن نفسه في الشاهنامه أنه لم يكن ميسور الحال ، وأنه كان لفترة طويلة من حياته في حاجة دائمة إلى من يمد له يد العون<sup>(٤)</sup> ومن ذلك قوله في الشاهنامه:

- هكذا أمضيت خمسا وستين سنة في الفقر والبؤس والألم<sup>(٥)</sup>.

(١) عبد الوهاب عزام : مدخل الشاهنامه ، ص ٤٩ .

(٢) النظامى العروضى : جهار مقالة «الترجمة العربية ، عزام والخشاب ص ٥٥ مصر ١٩٤٩ م .

(٣) النظامى العروضى : جهار مقالة «الترجمة العربية ، عزام والخشاب ص ٥٥ مصر ١٩٤٩ م .

(٤) يذكر مؤلف جهار مقالة، أن عامل طوس حبي بن قتيبة قد أعفاه من خراج أرضه مساعدة له وتقديرا لظروفه. كما يذكر الفردوسى في الشاهنامه أن الله قد بعث إليه من شجعه على العمل وهيا له أسباب التفرغ للنظم وأمه بما يحتاجه من المال فعاش في ظل رعايته كالتفاحة النضرة. وكان راعيه هو أبو منصور بن محمد (المرجع السابق ص ٥٦).

(٥) جنين سال بكذا شتم شصت ورنج بدرويشى وزندگانی ورنج

(الشاهنامه ص ١٢٧٤ ، طبعة بومبي)



وأما عن أخلاق الفردوسى فإنه يبدو لنا مما ذكره الرواة والمؤرخون عن رفضه عطاء السلطان محمود الغزنوى مقابل جهده فى تأليف الشاهنامه - رغم حاجته الشديدة له هو أن الفردوسى كان رجلا عزيز النفس يعتز بكرامته ويقدر موهبته وفنه فى عالم الشعر حق قدرهما . ولهذا لم يهتم بأن يورث ابنته الوحيدة مالا وثراء وجاها بقدر ما اهتم بأن يُورثها تلك العزة وذلك الإباء الذى دفعها إلى رفض هدايا السلطان بعد وفاة أبيها عن كتابه بسبب وشاية المفسدين وحقن الحاقدين فلم يجزل له العطاء الذى كان يأمله . وهكذا ولأسباب أخرى<sup>(١)</sup> فسد ما بين السلطان محمود والفردوسى مما اضطر الفردوسى إلى ترك غزنة ليلاً والهرب إلى هراة عند اسماعيل الوراق والد الشاعر الأزرقى.. وطبقا لرواية «جهار مقالة» فقد توجه الفردوسى من هراة إلى طوس ومنها إلى طبرستان . فأكرمه ملكها الاصبهيد شهريار بن دارا بن رستم بن شروين من آل<sup>(١)</sup> باوند ..

(١) من هذه الأسباب - على سبيل المثال - ما روى عن تشيع الفردوسى وكلفه ووجده بحب آل البيت، فاتهمه اعداؤه فى بلاط السلطان محمود بالاعتزال ، فى حين كان السلطان محمود سنيا متعصبا، وهو رأى مردود عليه بأن السلطان محمود كان يقرب البيرونى اليه رغم تشيعه ، ومنها كذلك ما روى عن اللقاء الأول الذى تم بين الفردوسى وشعراء السلطان الثلاثة «العنصرى والمسجدى والفرخى» وتفوقه عليهم فى نظم تاريخ ملوك المعجم وتخوفهم من منافسته لهم عند السلطان . ومنها كذلك ما روى عن ايثار الوزير الميمندى له وحبه وتفضيله عن سواء من الشعراء والأدباء وأن الميمندى كان له كثير من الأعداء والحساد منتشرين فى بلاط السلطان محمود فدسوا له عند السلطان ومنها كذلك أن الفردوسى اعتبر الأتراك فى الشاهنامه أعداء لايران ونسى أن السلطان محمود تركى متعصب ومن سلالة هؤلاء الأتراك.. وكان من السهل أن يؤثر الوشاة على السلطان محمود من هذه الناحية ما دام الشاعر ينظر فى أكثر من موضوع من شاهنامته إلى أجداد السلطان محمود تلك النظرة القاسية التى يحقرهم فيها ويقلل من شأنهم فى التاريخ ، بل وينصر الفرس عليهم فى أغلب المعارك التى ذكرها فى الشاهنامه . لذلك فليس بقريب ولا مستبعد أن يضيق صدر السلطان محمود بتعصب الشاعر لقومه الإيرانيين الذين جمع فيهم كل الفضائل وجرد الترك منها ، ومنها كذلك أن السلطان محمود لم يقدر موهبة الفردوسى الفذة فى نظم الشاهنامه وكده وعنايته وعنايته فى كتابة هذا العدد الهائل من الأبيات فى موضوع محبب إلى الإيرانيين ولم يجزل له العطاء المناسب . ومنها كذلك أن الفردوسى كان يرسل قصص الشاهنامه إلى الأمراء والوزراء ، كما فعل مع فخر الدولة البويهى (٢٦٦هـ) حين أرسل له قصة رستم واسفنديار . وآخر تلك الأسباب وأهمها هو رفض الفردوسى استلام جائزة السلطان وتوزيع قيمة تلك الجائزة على حمامى وفقاصى، واخبار السلطان باستهانته وتعففه ورفضه استلام تلك الجائزة ..

(١) شهر يار بن دارا من آل باوند، حكم فى طبرستان فى الفترة من (٢٥٨هـ / ٩٦٨ م حتى ٢٩٦ هـ... وهو آخر أمراء آل باوند وهى اسرة عظيمة يتصل نسبها بيزد جرد بن شهريار ، وكان معاصرا لركن الدولة البويهى . وقد ظل فى الحكم حتى قتل سنة (٢٩٦ هـ) (المتبى : تاريخ يمهنى، ص ٢٨٤ - ٢٨٥) والصحيح أن يقال إن حاكم مازندران وقتها هو رستم بن شهر يار وكان بنو باوند أصهار بنى زيار وخاضعين لسلطان محمود الغزنوى.

وأراد أن يقدم له الشاهنامه ويجعلها باسمه بعد أن يمحو اسم محمود منها. إلا أن الاصبهيد لم يرى من الحكمة قبول ذلك العرض ، وبدلاً من ذلك عمل على استرضاء الفردوسي وطيب خاطره وأجزل له العطاء حتى طبابت نفس الفردوسي ومضى ذلك الهجاء الذي كان قد أثبتته في الشاهنامه في حق محمود<sup>(١)</sup>.

ويقضى الشاعر بقية عمره في بلدته طوس<sup>(٢)</sup> وينشغل السلطان محمود بفتوحاته في الهند. إلى أن جاء يوم كان السلطان عائداً فيه إلى غزنة من إحدى غزواته وامتعض أحد الثوار طريقه بعد أن تحصن في قلعة منيعة ، فتوقف السلطان لمنازلته ورأى قبل الشروع في القتال أن يرسل إليه رسولا يدعو إلى الدخول في طاعته والمثول بين يديه. وكان السلطان - فيما يذكره الرواة - قلقاً من أمر هذا الثائر حتى أنه سأل وزيره الميمندي عن موقفه لو رفض هذا الثائر

(١) يذكر المؤرخون أن هذه الأبيات كانت تبلغ المائة ولم يبق منها سوى هذه الأبيات الستة وهي:-

- لقد تغامزوا على وقالوا إن ذلك الثائر قد كبر وشاب على حب النبي وعلى  
- وإذا ما حكيت عن حبي لهم لحميت مائة من أمثال محمود  
- إن ابن الأمة لا يجنيده عملاً ولو يكن أبوه ملسكاً  
- إنني كثيراً ما تحدثت في هذا الأمر فهو مثل البحر لا أعرف له نهاية  
- لم يكن للملك قدرة على فعل الخير والا لسرفح من قسدي  
- ولأن أصله لم يكن عظيمهما فلم يحسن الاصغاء إلى الكبار

النص .... الفارسي

- مراغمز كردند كان پر سخن بهر نبي وعلى شدكهن  
- اگر مهرشان من حكایت كتم جو محمود را صد حمایت كنم  
- برستا رزاده نیاید بكار وگر چند باشد بدر شهر یار  
- از این در سخن چند رانم همی جو دریاگرانه ندانم همی  
- بنیکی نهد شاهره دستگاه وگر نه مرا نشانندی بگناه  
- چواندرتبارش بزرگی نبود ندانست نام بزرگا شنود

نقلا عن : حماسه سرائی در ایران ، ذبیح الله صفا : ١٨٦ ، ١٨٧

(١) يرى بعض المؤرخين أن الفردوسي سافر من طبرستان إلى بغداد ، وهذه الرحلة مشكوك فيها ، ويرجع الشك فيها إلى عوامل كثيرة منها أن النظامي العروضي وهو من أوثق المصادر وأقربها إلى الفردوسي وعصره، لم يذكر شيئاً عن هذه الرحلة ومنها كذلك أن تلك الرواية تعتمد على ما ورد في مقدمة بايسنقر بن شاهرخ بن تيمور أمير كركان وحفيد تيمورلنك والمتوفى (٨٢٧ هـ) للشاهنامه.. وهي مقدمة لا توجد في نسخ الشاهنامه المطبوعة قبل القرن التاسع عشر.

دعوته، فما كان من الميمندى<sup>(١)</sup> إلا أن قرأ على مسامعه بيت الفردوسى الذى يقول فيه: -

.. إذا جاء الجواب مخالفا لرغبتى..... فأنا والدبوس والميدان وافرا سياب<sup>(٢)</sup>.

ولما سمع السلطان هذا البيت وأحس بما يشيع فيه من قوة وعزم وعرف أن قائله هو الفردوسى «صاحب الشاهنامه» ندم على ما كان من إهماله وتقصيره فى مكافأة الشاعر على جده واجتهاده فى نظم الشاهنامه «فلما رجع إلى غزنة أمربا رسال الهدايا العظيمة محملة على الإبل. ولكن هذه الهدايا وصلت متأخرة، إذ بينما كانت الا بل تدخل من بوابة رودباد» كانت جنازة الفردوسى تخرج من المدينة من بوابة «ارزان»، وذلك فى حدود سنة (٤١١ هـ) .

هذا ويحتل الفردوسى منزلة عظيمة لدى أغلب علماء الفارسية فى الشرق وفى الغرب على السواء، إلا أن مكانته عند الفرس لاتدانيها مكانة أى شاعر آخر. ومن الطريف فى هذا المقام أن نذكر هنا قول محمد على فروغى وهو يتباهى بمنزلة الفردوسى السامية فيقول: «إننا نستطيع أن نضع الفردوسى فى مصاف أشخاص عظام أمثال كورش وداريوش وأردشير بابكان وزردشت. ذلك لأن كورش «قورش» أسس المملكة الإيرانية وداريوش نُظِّمَ وَقَتَّنَ سياسة إيران وجدد أردشير بابكان الدولة الإيرانية وأوجد زردشت مذهب إيران القديم. وأحيا الفردوسى القومية الإيرانية<sup>(٣)</sup>..

---

(١) الميمندى هو ابو القاسم أحمد بن الحسن الميمندى ، ولى للسلطان محمود الغزنوى ديوان الرسائل أيام كان السلطان محمود صاحب الجيوش فى خراسان من قبل أبيه. ثم وَسَّعَ السلطان دائرة اختصاصه وولاه أمرالجند ، ثم ولاء بعد ذلك أمر الوزارة ٤٠١ هـ بعد أن فشل فيه سابقه أبو العباس الفضل بن أحمد. ومن مآثره على العربية أنه لما ولى الوزارة أمر بالامتناع عن استخدام الفارسية إلا للضرورة وقد عزله محمود من الوزارة. ولما ولى مسعود العرش أعاده إلى منصب الوزارة وظل فيه إلى أن توفى سنة (٤٢٤ هـ).

(العتبى: تاريخ يمينى: ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، نسخة لاهور ١٨٩٧ م).

(٢) أكر جز بكام من ايد جواب: من وكرز وميدان وافرا سياب

(مدخل الشاهنامه عزام ص ٦٥ .

(٣) محمد على فروغى : مقالات فروغى : ص ٢١ ، نشر حبيب يغمائى . طهران ١٩٧٢ م.



## القسم الثالث

### مؤلفات الشاعر أبي القاسم الفردوسي

أولاً: الشاهنامه:

منظومة طويلة في حوالي ستين ألف بيت من الشعر<sup>(١)</sup>. وتعد واحدة من أهم الآثار الأدبية في التاريخ الإنساني منذ ألفها الفردوسي حتى اليوم. نظمها الشاعر في البحر المتقارب وتناول فيها تاريخ الفرس منذ أقدم العصور الفارسية إلى أن دالت دولتهم على يد المسلمين في القرن السابع الميلادي. بدأ الشاعر منظومته بالحديث عن خلق العالم والسماء والأرض والعناصر الأربعة ونظام السماء والنجوم المتحركة في المصائر ثم خلق الإنسان. وبعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الحديث عن العهود الأربعة في الشاهنامه على النحو التالي:-

القسم الأول: العهد الأسطوري : ٥٥٩ ق م - ٣٣٣ ق م. م<sup>(٢)</sup>

وهو خاص بالحديث عن الدولة البيشداذية<sup>(٣)</sup> وملوك هذه الدولة أحد عشر ملكاً إشتغل معظمهم باقرار العدل وتطهير الأرض من الشياطين وتنظيم حياة الإنسان.

(١) يذكر يان ريكه في حديثه عن الشاهنامه أنه وجد نسخاً للشاهنامه تحتوي على (٤٨٠٠٠ بيت إلى ٢٥٠٠٠ بيت) فإذا أضفنا الأبيات المتفرقة بين النسخ المختلفة صار العدد الكلي لأبيات الشاهنامه حوالي (٥٥٠٠٠ بيت) يان ريكه : تاريخ أدبيات إيران ت : عيس شهابي ص ٢٥٧ ، طهران ١٩٧٥ م

(٢) يذكر برنيا أن حكم هذه الدولة يبدأ اعتباراً من ٥٥٩ ق م (حسن برنيا : إيران باستان ) ج ١ ص ٢٢١ . طهران ١٩٢٢ م.

(٣) هؤلاء الملوك هم : كيومرث ، هوشنك ، طهمورث ، جمشيد ، الضحاك ، فريدون ، ابرج منوجهر ، نوذر ، زو ، كرشاسب ، ومدة حكم ملوك هذه الدولة ما يزيد على ألفين وأربعمائة وأحدى وأربعين سنة ، ويتسم هذا العهد بسمتين: الأولى: ظهور عهد الملوك الأبطال المطهرين للأرض من الشر وينتهي هذا العهد بموت أفريدون الذي يخلفه منوجهر. =

## القسم الثاني: الدولة الكيانية: -

تعد هذه الدولة امتدادا للدولة السابقة لأن سياق القصة - كما يقول الدكتور عزام - لا ينقطع وأبطال العهد البيشداى هم أنفسهم أبطال العهد الكياني ويبدأ الخلاف بين العهدين ببداية حكم لهراسب<sup>(١)</sup> ويسمى العهد الأول لهذه الدولة بعهد البطولة حيث يسيطر الطابع الملحمي على أجزائه وأحداثه وذلك في تصويره للخوارق والعجائب والبطولات الإيرانية التي خاضها أبطال هذا العهد في حروبهم المستمرة مع أعداء إيران.. ويمجد الفردوسى بطولات سال وزال ورستم وسهراب وغيرهم من أبطال الشاهنامه. وملوك هذه الفترة من عهد البطولة عشرة<sup>(٢)</sup>.. أما العهد الثاني لهذه الدولة فهو العهد التاريخي والذي يبدأ بتولى الملك بهمن مسئولية الحكم. وقد استمر هذا العهد حتى غزا الإسكندر الأكبر<sup>(٣)</sup> إيران وقتل الملك دارا الثالث وتولى حكم إيران (٣٣٣ ق . م)<sup>(٤)</sup>.

---

= والعهد الثاني: عهد الأبطال غير الملوك ويعتمد الفردوسى في تصويرهم على حكايات شعبية محلية ومن هؤلاء الأبطال: سام وزال ونريمان وقارن بن كاوه، وأهم ملوك هذه الدولة فريدون، ففي عهده نشأت الخلافات بين أولاده على الملك حتى اقتتلوا، وكان هذا الاقتتال الشرارة التي أشعلت نار الفتنة والحروب الطويلة طيلة العهدين البيشداى والكياني في الشاهنامه كما كانت البذرة التي انبثت شجرة الخلاف الطويل بين العنصرين الإيراني والتوراني ..

ذبيح الله صفا: حماسة سرائى در ايران، من ٢٩٦ إلى ص ٤٨٦، طهران ١٩٥٤ م.  
(١) يذكر د. عزام في حواشى الشاهنامه أن عهد كشتاسب يتميز بطابع تاريخي يبتعد قليلا عن الخرافات والأساطير. عبد الوهاب عزام: حواشى الترجمة العربية للشاهنامه ج ١. ص ٢٠٨ - ٢٢٥.  
(٢) وهم: كيتباد، كى ابيوه، كى ارشن، كى بيرش، كى بشين، كىكاوس، سياوش، كىخسرو، لهراسب، كشتاسب، وأشهر أبطال هذا العهد ثلاثة هم: رستم وأفراسياب وأسفنديار وأشهر قصص البطولة فيه هي قصة رستم وأسفنديار، وأبرز أحداثه هو ظهور زرادشت وإعلانه الدعوة إلى الدين الجديد ..

ذبيح الله صفا: حماسة سرائى، ص ٤٨٥ - ٥٢٧  
(٣) وملوك هذه الفترة خمسة هم: بهمن بن أسفنديار، همائى، داراب بن بهمن بن أسفنديار، دارب بن داراب، الاسكندر الأكبر. (المرجع السابق ص ٥٢٧ - ٥٤٦)  
(٤) تذكر الشاهنامه ملوك هذه الفترة على النحو التالى:

١- بهمن بن أسفنديار - ٢- هماى جهرازاد بنت بهمن - ٣- داراب بن بهمن أسفنديار - ٤- داراب بن داراب .  
(الشاهنامه: الترجمة العربية، البندارى، ص ١٠٦، ج ١)

القسم الثالث : العهد الاشكائى : ٢٥٠ ق . م ، (١) .

يطلق على هذا العهد اسم : ملوك الطوائف (٢) ويعتبر الإيرانيون هذا العهد من عهود الانحطاط فى تاريخهم القومى ، ولهذا جاء القسم الخاص بهذا العهد فى الشاهنامه موجزا ايجازا شديدا (٣) وعدد ملوك هذا العهد بالشاهنامه تسعة (٤) .

القسم الرابع : العهد الساسانى (٥) (٢٢٤ م) :

يذكر المؤرخون أن هذا العهد هو أزهى عصور الشاهنامه إذ أخذ حكام هذا العهد بأسباب الحضارة فى كافة نواحي حياتهم . فأقاموا مجتمعا منظما له أصوله وتقاليده وأركانه الثابتة .

(١) يذكر برنيا أن هذا العهد يبدأ سنة (٢٥٠ ق . م) واستمر مدة خمسمائة سنة . «إيران باستان ج ٣ ، ص ، طهران ١٩٢٢ م» .

(٢) يذكر الثعالبى «أن السبب فى تسميتهم بهذا الإسم أنه لما مات الاسكندر حكم بلاد الفرس بعهده ملوك الطوائف . وقيل إن السبب فى تمليكهم أن الاسكندر لما ملك بلاد الفرس بعد ملوك الطوائف ، نصحه ارسطاطاليس أن لا يقتل أولاد من الملوك وإن يملك كل واحد منهم بلدا واحدا ، فإن كل واحد منهم يقوم فى وجه الآخر يمنع عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد المداوة بينهم فينشغل بعضهم ببعض» «الثعالبى : غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٤٦٥ ، طهران ١٩٦٢ م» .

(٣) يرى الدكتور عزام فى تعليقه على أحداث هذا العصر أن الاشكانيين لتأثرهم بالحضارة الهونانية ولأن سلطانهم لم يكن عاما وشاملا على بلاد الفرس كلها فإن أحداث الشاهنامه عن هذه الحقبة جاءت موجزة بل إنها لم توفهم حقهم وسلبتهم مفاخرهم ونسبتها إلى غيرهم من ملوك البيشداديين والكيانيين ، والشاهنامه تعتبر قارن وكودرز وكيو وبيزنز أبطال العهد الإشكائى تمتبرهم الشاهنامه ليسوا إلا أمراء من أمراء الاشكانيين .

د . عزام : الشاهنامه ص ١٩١٢ وما بعدها

(٤) بعد انتهاء حكم الاسكندر لايران انقسمت ايران إلى أجزاء وممالك صغيرة وتوارث الحكم فى المنطقة أكثر من سبعين ملكا ، فسيطر الاشكانيون على العراق وأطراف بلاد فارس وسيطر الروم على الموصل ، وسيطر الهياطلة على بلخ وطخارستان وسيطر الترك على خراسان ..

وأما عن ملوك هذا العهد فهم فى الشاهنامه : اشك ، شابور ، كودرز ، بيزن ، نرسى ، أورمزد بزرك ، أرش ، اردوان ، بهرام المعروف باردوان بزرك وقد استمر حكمهم مائتى سنة .

- ذبيح الله صفا : حماسة سرائى ، ص ٥٤٨ - ٥٥٢ .

- يذكر حمزة الاصفهانى ملوك الاشكانيين على هذا النحو : اشك بن اشك ، شابور بن اشك ، كودرز بن شابور ، ونحن بن بلاش بن شابور ، كودرز الأصفرين ونحن ، نرسى هرمزان بن بلاش بن شابور ، فيروزان بن هرمزان ، خسروين فيروزان ، بلاشك بن فيروزان ، اردوان بن بلاش بن فيروزان . حمزة الاصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٨ ، بيروت ١٩٦١ .

(٥) أسس هذه الدولة اردشيريابكان الذى خرج على اردوان الخامس ونجح فى ذلك ٢٢٤ م .

وتحدث الشاعر في زهو وفخر عن ملوك هذا العهد وأعمالهم العظيمة  
ومآثرهم ومناقبهم وأمجادهم وتقاليدهم وعاداتهم .

وقد اتسم حديثه عن هذا العهد بطابع أقرب إلى التسجيل التاريخي منه إلى  
القصص (١).

إلا أنه يضمن حديثه بعض الحكم والنصائح وبعض الحكايات والقصص، مثل  
حكاية الصراع بين بهرام كور والثعابين الضخمة والأسود المتوحشة والذئب  
المفترسة.

وفي دراسته عن الشاهنامه يذكر «يان ربكا» أن الفردوسي لم يكتف بالحديث  
عن المعارك والحروب والبطولات التي تخللتها العهود التاريخية الأربعة  
بالشاهنامه وإنما تحدث كذلك عن القصص الإنسانية والعاطفية لأبطال هذه  
العهود وتألّق في ذلك وبلغ مكانة رفيعة لم يصل إليها شاعر آخر في تاريخ  
الفرس (٢) ... كما استطاع من خلال هذه القصص أن يقدم لنا معلومات هامة عن  
الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في إيران قبل الاسلام . كما قدم لنا  
معلومات هامة وواقفية عن العقائد والديانات الإيرانية من قبيل الحديث عن  
زرادشت وغيره من أنبياء الفرس وكذلك الحديث عن الموابذة وأهل البيوتات  
وتأثيرهم في حياة الناس ومعتقداتهم . كما تحدث عن معتقدات العامة فيما  
يتعلق بالسحر والتفائل والتشاؤم، وأعياد الإيرانيين ومناسبة كل عيد وعادات  
الناس وتقاليدهم في تلك الاحتفالات .. وفي عرضه لبطولات الإيرانيين أمثال  
رستم وغيره عمد الفردوسي إلى تزكية روح البطولة والفداء لدى الإيرانيين من  
خلال رسم صورة صادقة بارزة الملامح والقسمات لروايات المجد والبطولة . كما  
قدّم في هذه الصور جوانب من أفكار وآلام وآمال الأمة الإيرانية (٣) (٤).

(١) ذبيح الله صفا: حماسة سرائي درايران - ص ٥٥٢

(٢) يان ربكا: الترجمة الفارسية ، ص ٢٦٠

(٣) أمين بدوي: القصة في الأدب الفارسي من ٩٨ - ١٠٠ ، مصر ١٩٦٤ م

(٤) ذبيح الله صفا ، حماسة سرائي ، ص ٢٧١



هذا ويغلب على أسلوب الشاهنامة السهولة والبساطة والوضوح والجمل القصيرة خاصة وأن هذه الجمل كانت من خصائص اللغة الفارسية في العهدين الساماني والغزنوي الذي ألفت فيهما الشاهنامة<sup>(١)</sup>. ويرقى الفردوسي بأسلوبه في الشاهنامة إلى درجة رفيعة فلا يدخل من التعبيرات والألفاظ ما قد يبدو عاديا أو عاميا<sup>(٢)</sup>.

كما أن له ولع باستعمال الكلمات القديمة التي قلَّ تداولها في العهد الإسلامي حتى يجعل من عباراته وألفاظه شيئا متميزا عما يتداوله الناس..<sup>(٣)</sup> كما يعيل الفردوسي في الشاهنامة إلى استعمال المحسنات اللفظية وإن لم يقصد إليها عامدا في كثير من الأحيان<sup>(٤)</sup>. وأسلوب الفردوسي في حديثه عن تاريخ حياة أمته أسلوب عاشق متبتل في محراب معشوقته إيران، فعيته لا ترصد إلا بطولات وأمجاد الإيرانيين في معاركهم مع أعدائهم من الشعوب الأخرى. وتلك نعمة طبيعية من فلاح يمثل قاع المجتمع الإيراني في تلك الفترة<sup>(٥)</sup>.

هذا.. ولقد لقيت الشاهنامة من الرواج في العصور القديمة ما دعا الأديباء إلى قراءتها والشعراء إلى محاكاتها في كثير من العصور والبلدان. كما لقيت من الاهتمام في العصور الحديثة ما دفع العلماء والمفكرين إلى دراستها وترجمتها ونشر الأبحاث والدراسات عنها في أغلب لغات العالم..

ثانيا: مخزنيات الفردوسي:

عددها قليل - كما يقول براون - حفظت بعضها كتب التراجم والمختارات وجمع أغلبها ونشره هرمان ايتيه، وذلك ضمن مقالاته التي نشرها بعنوان «الفردوسي كشاعر غنائي»<sup>(٦)</sup>..

(١) طه ندا: دراسات في الشاهنامة، ص ٢٩٦، مصر ١٩٥٤ م.

(٢) حماسة سرائي در ايران، ص ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق من ٢٧١ إلى ٢٧٣

(٤) يان ريكا: تاريخ أدبيات إيران من ص ٢٥٩ - ٢٦٣.

(٥) ذبيح الله صفا: حماسة سرائي ص ٢٧٢ إلى ٢٧٥.

(٦) براون: تاريخ الأدب في إيران، ت الشواربي، ص ١٧٦.

ثالثا: منظومة يوسف وزليخا:

منظومة فارسية تتناول قصة سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام كما وردت في كتاب التوراة وفي القرآن الكريم.. نظمها الشاعر في خمسة آلاف وتسعمائة وستة وثلاثين بيتا...

وتعد هذه المنظومة من أقدم المنظومات الفارسية الموجودة بين أيدينا لهذه القصة.. ونتيجة للجهد الكبير الذي بذله المشتغلون بالدراسات الفارسية من أوربيين وإيرانيين أصبح لدينا مجموعة من النسخ الخطية والمطبوعة لهذه المنظومة سواء في أوروبا أو في آسيا .

وقد طبعت هذه المنظومة على الحجر ثلاث مرات في الهند كما طبعت كذلك في إيران خلال القرن التاسع عشر الميلادي. ويصل عدد نسخها المطبوعة حديثا إلى عشرة نسخ، كما يزيد عدد نسخها المخطوطة في أوروبا على عشرين نسخة. هذا.. وقد شغلت هذه المنظومة علماء الفارسية ما يزيد على قرن من الزمان وكان هذا الاهتمام راجعا إلى أن نسخ هذه المنظومة جاءت خالية من إسم مؤلف هذا الكتاب، إلا أن بعضا منها قد احتوى على مقدمتين: الأولى بعنوان: حديث في سبب ذكر هذه القصة»، وعدد أبياتها واحد وثمانون بيتا، ويتحدث الشاعر فيها عن سبقه إلى نظم هذه القصة، ثم عن قيامه هو بنظمها بتكليف من أحد الأمراء والذي يشير إليه باسم «موفق»..

وأما المقدمة الثانية فهي بعنوان: حديث في سبب حاله، وعدد أبياتها ثمانية وستون بيتا، يتحدث فيها الشاعر عن أسفه على ضياع عمره في نظم حكايات ملوك الفرس وعزمه على الاتجاه إلى جادة الصواب بنظم قصة يوسف.

وقد شغلت هاتان المقدمتان الباحثين، ففريق أخذ بما جاء بهما من المعلومات ورأى نسبة هذه المنظومة إلى الفردوسي. وفريق آخر عارض هذه النسبة ولكلا الفريقين حججه وبراهينه..

وقد ضم الفريق المؤيد لهذه النسبة مجموعة من علماء أوروبا المتخصصين في الدراسات الإيرانية. منهم: هرمان إيته ونولدكه وبراون ويان ريكا..

وضم من الفرس: «رضا قلى خان ولطفى على آذر وحبیب یغمائی وعلی دشتی وتقى زاده..  
ومن علماء العرب: «محمد كفافى ویحى الخشاب وعبد الوهاب عزام وأمین عبد المجید بدوى..

فى حين ضم الفريق المعارض كلاً من: «محمود شفیعى ومجتبى مینوى  
ودهخدا وعبد العظیم قریب وخیامپور وسعید نفیسی وذبیح الله صفا ومحمد  
على فروغى ومن علماء الهند محمود شیرانى والشیخ عبد القادر سرافراز(۱).

وقد صدر عن كل فريق من الأبحاث والكتب والمقالات ما يؤيد وجهة نظره  
وكان هرمان إيته أشد المستشرقین والإیرانیین تحمسا لهذه النسبة. ومن ثم فقد  
توالى مقالاته وأبحاثه عن القصة عاما بعد آخر .

ففى عام (۱۸۷۲ م) أعدایته دراسة تحت عنوان: «الفردوسى كشاعر غنائى»  
جمع فيها ما نسب إلى الفردوسى من أشعار الغزل(۲) وعقب ذلك أصدرت دار  
نشر «ویلمز - نورجیت» بانجلترا ترجمة للقصة إلى الإنجليزية وذلك فى نهاية  
عام (۱۸۷۲م) . وفى عام (۱۸۸۶م) أعد إيته بحثا عن قصة يوسف وزليخا  
المنسوبة لابی القاسم الفردوسى وقدم هذا البحث ضمن أعمال مؤتمرى فینا  
للمستشرقین (۸۶ - ۱۸۸۸م)(۳).

وفى عام (۱۸۹۷م) نشر إيته مقالا بعنوان(۴): «الأدب الفارسى الحديث» وذلك  
ضمن الجزء الثانى من «المفصل فى الدراسات اللغوية الإیرانية» أورد فيه قائمة  
بأسماء الكتّاب الإنجليز الذين استعانوا بالأبحاث السابقة لكتابة المقالات فى  
المجلات والجرائد المتخصصة.

وفى عام (۱۹۰۷م) نشر المستشرق الفرنسى «ج اسبيرو» كتابا بعنوان: «قصة  
يوسف طبقا للتراث الإسلامى» ضمن دراسة عن قصة سيدنا يوسف وأخوته كما  
وردت فى القرآن الكريم(۵).

(۱) خیامپور : يوسف وزليخا : ص ۲۵.

(۲) براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى : ت الشواربى : ص ۱۵۵ .

(۳) براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى : ت الشواربى ، ص ۱۵۵ و ۱۵۶ ، مصر ۱۹۵۴ م

(۴) اسم الكتاب بالفرنسية: Linotile de jaseph selon la tradition musulmae

(۵) يذكر م. ل يونج فى مقال له نشر بالعدد رقم (۱) بمجلة الجمعية الآسيوية الملكية (۱۹۷۴ م) ان المستشرق

الفرنسى «ج اسبيرو» أعد هذه الدراسة ضمن كتابه «قصة يوسف طبقا للتراث الإسلامى. وقد نشر هذا

الكتاب عام (۱۹۰۷ م) . نقل عن: العدد رقم (۱) من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية الصادرة عام (۱۹۷۴م)

وفي سنة (١٩٠٨ م) أقدم «هرمان ايته» على نشر منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للشاعر أبي القاسم الفردوسي. ولما كانت الوثائق الخطية والمطبوعة التي استعان بها «ايته» لتحقيق هذه المنظومة ونشرها موجودة في المتحف البريطاني ومكتبة الجمعية الآسيوية الملكية ومكتبة بودليان فقد تمت طباعة هذه المنظومة ضمن مطبوعات جامعة أكسفورد، وحرص «هرمان ايته» على أن يزودها بمقدمة تحدث فيها حديثاً مسهباً ووافياً عن النسخ الخطية التي عثر عليها للمنظومة والنسخ المطبوعة على الحجر وغيرها من النسخ التي توفرت له والتي استعان بها في نشر المنظومة<sup>(١)</sup>.

وعلى نفس الدرب سار المستشرق "تلدكه" فقدم دراسة عن المنظومة ضمن الجزء الثاني من العدد (١٢٦) من أخبار «جلسات المجمع العلمي بفينا عام (١٨٨٩م)<sup>(٢)</sup>.

ويذكر المستشرق «براون» في كتابه «تاريخ الأدب في إيران» أن المستشرق «شليشتا وسرد» Schlechtwisdard قام بترجمة هذه المنظومة إلى الألمانية في مدينة «فينا» سنة (١٨٨٩ م)<sup>(٣)</sup>. كما اهتم بها «المستشرق بلوشه» في كتابه «فهرست المخطوطات الفارسية» الذي أصدره في باريس وأفرد لها عدة صفحات تحدث فيها عن ناظم القصة وعن نسخها وعن سبب تأليفها<sup>(٤)</sup>.

كما اهتم «شارلز ريو» بالمنظومة وتحدث عنها في كتابه عن المخطوطات الفارسية في المتحف البريطاني والذي أصدره عام (١٨٩٥م)<sup>(٥)</sup>.

وفي عام (١٨٨٩م) قام المستشرق «جرونباوم» بأعداد دراسة عن نشأة القصة في الأدب الفارسي وتأثر ناظمها بالتوراة والقرآن الكريم ومدى تأثير الأدب العربي

---

(١) تحتوي هذه النسخة على ثلاثة آلاف وستمئة وسبعة وتسعين بيتاً وتنتهي الأحداث فيها عند : «غضب العزيز على زليخا وشهادة طفل في المهد» هرمان ايته : «ناشر ومحقق : - يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسي - أكسفورد ١٩٠٨ م.

(٢) براون : تاريخ الأدب في إيران : ت : الشواربي : ص ١٥٧ .

(٣) المرجع السابق : ١٥٦ .

(٤) خيامبور : يوسف وزليخا : ص ٢٦ .

(5) Rieu Charles Rieu : Supplement to the catalogue of the Persian manuscripts in the British Museum : Oxford 1895.

بالمنظومة. كما يذكر في نفس الدراسة أن المكتبة القومية في «مدريد» تحوى كتابا بالإسبانية تحت اسم «قصيدة» poem»، وأن محتوى هذا الكتاب هو نفس موضوع قصة «يوسف وزليخا». وفي نفس البحث يذكر «جرونباوم» أن نقرأ من أدباء البربر اشتركوا في تأليف قصة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي متأثرين بقصة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى<sup>(١)</sup>.

وكان أول رد فعل رافض لنسبة المنظومة للفردوسى قد صدر عن الأستاذ عبد العظيم قريب حيث قدم بحثا في العددين (١١، ١٢) من مجلة أموزش وبرورش<sup>(٢)</sup> انتهى فيه إلى رفض هذه النسبة. وتلا ذلك رفض آخر من «سعيد نفيسى» ضمن مقدمته للطبعة الفارسية من كتاب «نولدكه» «حماسة ملي درايران» مخالفا بذلك رأى «نولدكه» نفسه في هذا الموضوع .

وفي عام (١٩٢٢ م) كتب الأستاذ محمود خان شيرانى مقالا صدر في مجلة «اردو» وورد فيما بعد في الفهرست الخاص بمطبوعات جامعة بومبي (١٩٣٦ م) - وهو يؤكد في هذا المقال على رفضه لهذه النسبة ويقدم أحد عشر دليلا على صحة رأيه مؤكدا على أن هذه القصة إنما نظمت بعد وفاة الفردوسى بقرن كامل من الزمان<sup>(٣)</sup>..

ويذكر براون أن المستشرق «دينسون روس» الذى كان مديرا لمعهد الدراسات الشرقية بلندن (٣١ - ١٩٣٦ م) قد بذل مجهودا مضنيا - فى نفس الفترة .  
وأثمر هذا المجهود عن اكتشاف نسخة أخرى للمنظومة ضمن مجموعة المخطوطات التى كانت مملوكة للسيد «وليم جونز» وهى المخطوطات التى كانت تحفظ بإدارة الهند آنذاك<sup>(٤)</sup>...

وفى العيد الألفى للفردوسى، اشترك مجموعة من العلماء المهتمين بالدراسات الشرقية فى إصدار كتاب عن شعر الفردوسى ومكانته الأدبية وقد اشتمل هذا

(١) نقلا عن حبيب يغمائى: فردوسى وشاهنامه او، ص ٢٦٨ طهران ١٩٧٠م.

(٢) نقلا عن مجتبى مينوى: فردوسى وشعراو ص ١١٩، طهران ١٩٧٥ م، وكذلك نقلا عن خيامبور: يوسف وزليخا، ص ٢٦، تبريز ١٩٦٠ م.

(٣) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ت الشواربى، ص ١٥٧ .

الكتاب على عدد غير قليل من الدراسات عن منظومة يوسف وزليخا ومدى صحة نسبتها للفردوسي وعن مستواها الأدبي<sup>(١)</sup>.

وفي عام (١٩٤٥ م) قام الأستاذ «خيامپور» بإعداد دراسة عن القصة في الأدبين الفارسي والتركي ، ونال بها إجازة الدكتوراه من جامعة استانبول وأكد في هذه البحث رفضه نسبة المنظومة للفردوسي. وفي نفس الفترة التاريخية قدم ذبيح الله صفا كتابيه: «تاريخ أدبيات إيران وحماسة سرائي درايران» ورفض فيهما نسبة الكتاب إلى الفردوسي..

وفي عام (١٩٧٠ م) قدم الأستاذ حبيب يغمائي كتابه «فردوسي وشاهنامه أو» وفيه يفصل القول عن منظومة يوسف وزليخا ويستعرض آراء عدد غير قليل من علماء الفارسية حول هذا الموضوع كما يؤكد نسبتها للفردوسي .

وفي سنة (١٩٧٣م) أعد العالمان الأوربيان ابرايد ويونج<sup>(٢)</sup> بحثا ضمن أعمال المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي انعقد في باريس (١٨ يوليو ١٩٧٣ م)، ثم نشر هذا البحث بالعدد رقم (١) لسنة (١٩٧٤ م) من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن . وقد تضمن هذا البحث معلومة هامة عن كشف مخطوطة عربية للقصة ضمن مخطوطات قسم الدراسات السامية بجامعة ليدز . وتحتوي هذه المخطوطة اثنين وثلاثين ورقة بخط اليد ويرجع تاريخها إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وهي قصيدة رائية الروى عن يوسف واخوته<sup>(٣)</sup>..

(١) هزاره فردوسي: مقالات تقي زاده، برتلس ، ايوانف ، ماسيه ، ريكا، طهران ١٩٤٤ م.

(٢) المقصود بها R. y. EBRIDE and M.J.L. young

(٣) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية : العدد رقم (١) سنة ١٩٧٤ م، ص ٢-٦

## القسم الرابع

### دراسة موازنة للأراء التي أثرت حول نسبة المنظومة للفردوسى

انقسم الباحثون حول نسبة المنظومة إلى الفردوسى إلى فريقين:

الفريق الأول: ويؤيد نسبتها إلى الفردوسى، والفريق الثانى ويرفض هذه النسبة. أما الفريق الأول المؤيد فيتزعمه «هرمان ايته» ويتضوى تحت لوائه كل من: رضا قلى خان<sup>(١)</sup>، حاجى خليفة<sup>(٢)</sup>، لطفى على آذر<sup>(٣)</sup>، حبيب يغمائى<sup>(٤)</sup>، تقى زاده<sup>(٥)</sup>، بديع الزمان فروزا نفر<sup>(٦)</sup>، براون<sup>(٧)</sup>، نلدكه<sup>(٨)</sup>، برتلس<sup>(٩)</sup>، يحيى الخشاب<sup>(١٠)</sup> حيدر يامات<sup>(١١)</sup>، محمد كفافى<sup>(١٢)</sup>، الفنىمى<sup>(١٣)</sup> هلال وأمين<sup>(١٤)</sup> عبد

- 
- (١) رضا قلى خان : مجمع الفصحاء : ج ١ ، ص ٢٨٢ طهران ١٨٩٢ م .
  - (٢) حاجى خليفة : كشف الظنون : ج ٢ ، ص ٢٠٥٥ ، القاهرة ١٢٧٤ هـ .
  - (٣) لطفى على آذر: أتشكده : ص ٨٢ ، بومبى ١٨٩٨ م .
  - (٤) حبيب يغمائى: فردوسى وشاهنامه او : ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، طهران ١٩٤٤ م .
  - (٥) تقى زاده : هزاره فردوسى: ١٧ ، ١٠٢ ، طهران ١٩٧١ م .
  - (٦) بديع الزمان فروزا نفر : سخن وسخنوران : ص ٥١ ، طهران ١٩٧١ م .
  - (٧) براون : تاريخ الأدب فى إيران : ت الشواربى " ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
  - (٨) نلدكه : حماسة ملى درايران: ت «بزرگ علوى» : ص ١٦٠ ، طهران ١٩٤٨ م .
  - (٩) برتلس : هزاره فردوسى: ١٦١ .
  - (١٠) حيد يامات: مجالى الاسلام : ت «عادل زعيترا»: ص ٥٦ ، القاهرة ١٩٥٦ م .
  - (١١) يحيى الخشاب : الشاهنامه للفردوسى ، مكتبة جامعة القاهرة .
  - (١٢) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : ص ٢٢٦ ، بيروت ١٩٧٢ م .
  - (١٣) الفنىمى هلال : الأدب المقارن : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، القاهرة ١٩٧٧ م .
  - (١٤) أمين عبد المجيد : القصة فى الأدب الفارسى : ص ٢٤٥ إلى ص ٢٥٠ القاهرة ١٩٦٤ م .

المجيد. وقد اعتمد أغلب أعضاء<sup>(١)</sup> هذا الفريق المؤيد على مقدمتين وردتا في أول هذه المنظومة. المقدمة الأولى بعنوان: «حديث في سبب هذه القصة»، ويبلغ عدد أبياتها في طبعة «آيته»<sup>(٢)</sup> واحدا وثمانين بيتا، اختار منها الأبيات التالية:

- وقد نظم هذه القصة شاعران

معروفان في كل مكان وليسا بخافيين على أحد

- أحدهما هو أبو المؤيد وكان من بلخ

والذي مجد نفسه بالعلم

- نسجها الأول بدر الكلام

وقول مؤثر كصوت الأذان

- ونظم هذه القصة بعده

شاب وسيم الطلعة غض الإهاب

- اطلقوا عليه لقب البختياري

وكان يقرض الشعر مرتجلا في كل مكان

- وكان يذهب إلى العظماء لتدبير أمر معيشتهم

يمدحهم وينال منهم العطاء<sup>(٣)</sup>

(١) ملحوظة: سبق أن ذكرت في مقدمة البحث الدراسات التي أعدها «آيته» حول المنظومة ورأيه التفصيلي حول

هذه النسبة، وقد أورد «آيته» في طبيعته لهذه المنظومة المقدمتين التي اعتمد عليهما الفريق المؤيد.

(٢) وردت هاتان المقدمتان السالفتان الذكر في الطبعة التي نشرها آيته في أكسفورد ١٩٠٨ م، كما وردتا في

طبعت أخرى في إيران، ولكن بترتيب مغاير.

(٣) دوشاعراين قصصه راگفته اند

به هر جای معروف و ننهفته اند

بدانش همی خویشتن راستود

بگفتست - چون بانك و دریا هفتست

یسکی مسرد بهد خسوب روی و جسوان

کشادی بر اشمار هر جای لب

بخوانندی لنا و عطفا بهستندی



- واعلم انه في ذلك اليوم بفعل الصدفة  
 ذهب إلى الأهواز حيث أمير العراق  
 - وسمعت أن ذلك اليوم كان يوم نوروز  
 كان يوما كثير البهجة على الإقليم  
 - والملك السعيد أمير العراق  
 الذي كان عرشه الفلك وجواده البراق  
 - فاتح العالم وجواد وقطب  
 حامى الدولة وعماد الجيش  
 - جالس في الحضرة في ذلك اليوم  
 كالملوك بعقل شيخ حكيم وسعادة شاب  
 - وقد عزف العازفون ألحانهم  
 وانتشرت ألحانهم مع الفلك  
 - وقد اصطف جميع الشعراء  
 ينشدون قصائد المديح<sup>(١)</sup>

بسامواز شد نزد میسر عراق  
 یکی روز پس کششور افروز بود  
 که تختش سپهر است و اسبش پراق  
 نگهدار دولت ستون سپه  
 مراورا خسرد بهرود ولت جوان  
 نوای خوش از جرخ بسکداشته  
 بخوانده لنها و برداخته

- (١) جنان دان که بکره فتاد اتفاق  
 - شنیدم که آن روز نوروز بود  
 - خداوند فرخ امیر عراق  
 - جها نگیر و قطب و دل و بحر جاه  
 بدان روز برگاه چون خسروان  
 سرایند گان رود برداشته  
 همه بدون صف شاعران آخته

- وكان البختياري ضمن الشعراء  
 قلبه يتوق للذكرى ولسانه يلهج بالثناء  
 - وكان - كعادته - ينشد قصيدة مديح  
 وبقى على أمل العطاء بها  
 - وعند ما انقضت أيام معدودة من النوروز  
 بفأل مبارك وحظ سعيد  
 - وذات يوم في حضرة أمير العراق  
 الذي كان في مقدمة الملوك  
 - كان هناك مقرئ يرتل بصوت حسن  
 سورة يوسف المباركة  
 - والملك الفاضل صاحب العقل المنير  
 كان ينصت للمقرئ بقلبه وعينه وأذنه  
 - كان حفيا دائم الاقبال على سورة يوسف  
 ومال اليها بقلبه المنصف  
 - وكان يرغب أن يخلد بتلك القصة  
 أمثال تلك الحكايات (١)

دلش يباد جوي وزيان مدح خوان  
 بساميد آن برعطا مانده بود  
 بفأل هممايون وبخت بلاند  
 كه از خسروان برده دارد سبباق  
 مكر سوره يوسف خوب وش  
 نهاده بمقرئ دل وجشم وگوش  
 بدان بسود مائل دل منصفش  
 جنين داستنانها كند باستان

(١) - يكي بختياري بد از شاعران  
 - بمعات يكي آفرين خوانده بود  
 - ز نوروز جون بگذشت چنند  
 يكي روز نزد يك مهربر عراق  
 همي خواند مقرئ باواز خوش  
 خداوند فرمناك فرزانه هوش  
 خوش آمد همي سورة يوسف  
 همي خواستي كان بدين داستان

- فنظمها بدر اللفظ وحلو الكلام

بشاعرية فذة

- وهكذا كان من توفيق الله

أن البختياري كان حاضرا بالقصر آنذاك

- وأبصرته عين السلطان

فاستدعاه الأمير المثقف عاجلا اليه

- وقال له إذا كان لك طبع في قرص الشعر

وتجيد نظم القصة

- فانشد قصة يوسف من أجلنا

فاننا في شوق لسماعها

- بلفظ حسن طيب وفارسية بديعة

فيها مهارة صنع الشعر

- وبسرعة قبل البختياري الأرض

وقال يا كنز الفضل والعدل<sup>(١)</sup>

- إنني سوف أقص هذه القصة كاملة

ولن أكون مقصرا في خدمة الأمير

نموده درآ و من نسبت شاعری  
که این بختیاری بد اندر سرای  
توانی سپهردن ره داستان  
که ما را بدان رغبت استوهوا  
درآ و جابگی کرده شاعری  
چنین گفت گای کنج فرهنک و داد  
نباشم در این خدمت سپهرست

(١) - بنطق لطیف و بلفظ دری  
چنان بد ز توفیق حکم خدای  
بدو گفت اگر طبع داری بدان  
بگوقصه یوسف از بهر ما  
بلفظ خوش بساک و تنبیزی  
سبک بختیاری زمین بوسه داد  
بگویم من این داستان را درست

- قال هذا وشرع في نظم القصة  
- وقد سمعت هذه الحكاية بأكملها  
وفتح باب البحث عن الكلام  
واطلعت على محاسنها ومساوئها

- وبالصدفة ذات يوم

كنت أسرد أخبار هؤلاء بامانه

- في حضرة تاج زمانه الأجل

الموفق سماء الوفاء وموضعه

- فاستمع إلى هذه الحكاية بانصات

ثم نظر إلى بامعان

- وقال إنى أريد الآن

أن تكون أنت أيضا مشغولا بالحديث<sup>(١)</sup>

- حتى تتم هذه القصة

وتزينها وتحشوها بلب المعاني

- فاحملها إلى وزير أمير العراق

الذي يحوطه الخدم والجنود

- وحينما سمعت محادثة الأجل

تشجع قلبي واقترب أملی

در جست وجوی سخن ساز کرد  
ز نسیبک و بندش اکهم در پسر  
همی راندش بی غرض بر زبان  
موفق مسیبه سر و محل  
بس آنکه سوی من یسکی بستگرسد  
ببشاشی بکفتار و شغلی بنیز  
ز هر گوشه «ممنی فرار آوری  
که کردنش خیالند و میر و شاق  
دل را شد آکثر را میهد اقل

(١) بگفت این و این قصه آغاز کرد  
شنیدم من آن داستان مسریسر  
قضیاً رایسکی روز اخبار آن  
بنزدیک تاج زمانه اجل  
زمن این حکایه بسواجب شنید  
مراگفت خواهم اکنون تونیز  
هم از هر این قصه ساز آوری  
بسر نسر مسر عراق  
جویشنیدم این گفت و گوی اجل

- وقلت له إن دنيا الكرم

بجودك وعطائك وعادتك ونعمك

- سوف أقص هذه القصة الطريفة

فإذا استحسنها الطبع

- وإذا سر منها الملك الحكيم

- فعسى أن يمد الدهر يد العون لى

ويسر السلطان من خدمتى

- فعسى أن أجد الطريق إلى عظمة السلطان .. وأجد لى مقاما بين خدمه(۱)

.....

وَأما المقدمة الثانية فهي بعنوان : «حديث فى سبب حاله»، ويبلغ عدد أبياتها فى نسخة «آيته» ثمانية وستين بيتا. أختار منها الأبيات التالية: -

- لى حديث كثير فى كل فن

واستمع لقولى كل شخص

- أحاديث بلوك ذوى رأى وعدل

فى القوة والضعف والقيد والفتح

- كم صنفت من جواهر الحكايات

وكم ألفت من الكتب القديم(۲)

بجود ونوال ونهاد ونعم  
بكسويم من اين قصصه دل يذير  
وكرشاه فرزانه بسيسنددش  
شود شاد از اين خدمتم شهریار  
بهبابم زحشمت يكى بايگاه  
شنهيد ند كفتار من هر كسى  
بسخت وبسست وببند وكشاد  
بسسى نامه بسستان كفته ام

(۱) جنين كفتمش كه جهان كرم  
بامرتواى در جهان بى نظير  
اكر طبع نيكو بسببونش  
مكردست كسيرد مراروزكار  
مكر من رهى يابم از فر شاه  
(۲) من از هر درى كفته دارم بسى  
سخنهای شاهان بارای و داد  
بسى جوهر داستان سفته ام

- كتبت عن المجالس والحروب والبغضاء  
 - وكثيرا ما سلكت طريق المحبين  
 - وكثيرا ما تحدثت أيضا عن الحسان  
 - ولقد رويت قصصا وانا شيد  
 وتحديثت عن الأرض والأفلاك  
 وكشفت سستر العشاق  
 ذوات الجسمال البهيج<sup>(۱)</sup>  
 عن آثارهم وحبهم ومدحهم

- نظمت شعرا فى كل لون

وقلت فيه ما تاقت إليه نفسى

- لقد سئمت غرس هذه البذور

فوضعت خاتما على لسانى وقلبى

- فلن أنطق الآن بكاذب الأسماء

ولن أضفى على الكلام رونقا بمقالى

- لن أغرس الآن بذور الفتنة والإثم

فقد حل نور الهداية عندى محل الظلام

- لقد سئم قلبى من ملك كيقباد

وكذلك من عرش كاوس الذى حملته الرياح<sup>(۲)</sup>

---

(۱) ببزم وبرزم وپکین ویمهر  
 سهردم بسی راه دلخسستگان  
 همسهدون بسی رانده ام گفنگوی  
 زانگار ششان و مهور و درود  
 زهر گسونه نظم آراسستم  
 از آن تخم گشتم بشیمان شدم  
 نکویم کنون نامهای دروغ  
 نکارم کنون تخم شور و کناه  
 گرفتتم دل از ملک کیهنقباد  
 یسکی از زمین و یسکی از سیههر  
 زد م برده مهر بیوستگان  
 زخویسان شکر لب مساه روی  
 بسی کفته ام سر گذشتت و سرود  
 کفتم در هرجه خسواسستم  
 زبسانرا ودل را کوره برزد م  
 سخن را زگفتار ندهم فروغ  
 که آمد سینهدی بجای سپاه  
 همان تخت کاوس کی برد باد

- ولست أدري ماذا سيكون سوى العذاب

من كيخسرو وحريره مع افراسياب<sup>(۱)</sup>

- إن العقل ليسخر من هذا اللون من العشق

فأين ومتى يرضى عنى العقل

- أن أضيع نصف عمري

لأملأ العالم باسم رستم

- والآن إذا كانت لي أيام باقية

فلن أسلك إلا الطريق المستقيم

- ولن أقول حكايات الملوك

فقد شبع قلبي من عتبه الملوك

- سأقص عليك قصة

لكنها ليست من كلام القدماء

- بل إنها من قول خالق الأنبياء

ما أجدره بأن يثني عليه الله

- إنه قول لم يسبقه قول

ولا تقف معانيه عند حد

زکیخسروا وچنگ افراسیاب  
زمن خود گجاکي بسنندد خرد  
جهان بسراز نام رستم گنم  
دگر نسیرم چزممه راه راست  
دلم سیر شد زامستان ملوک  
ولیکن نه ازگفتنه باستان  
که زیبید مرا اورا زجان آفرین  
معانیش واحد بسیدار نهیست

(۱) نسدانم جه خواهد بدن جز عذاب  
بدین گونه سودا بخنندد خرد  
که يك نیمه از عمر خود کم کتم  
کنون گرمرا روز جندی بقاست  
نکویم دگر دامستان ملوک  
منت گفت خواهم یکی دامستان  
بل ازگفتنه راستان آفرین  
زگفتار اوپیش گفتار نهیست

- فكل من استمع إلى هذا الحديث  
بجسده اهتز لهذا السماع قلبه وروحه  
- فلا قول يجذب القلب ويخلب الفؤاد  
غير كلمات الخالق المقتدر<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

هذا.. ومن أبيات هاتين المقدمتين استمد كل عضو من الفريق المؤيد حججه وبراهينه التي تؤيد وجهة نظره في هذه النسبة . ومن هذه الحجج والبراهين أورد الآتى :

أ - إن القصة نظمت في البحر المتقارب ، وهو نفس البحر الذى نظمت فيه الشاهنامه ..

ب - إن ناظم هذه القصة يندم على ضياع نصف عمره فى نظم الحكايات والقصص القديم، وأنه سيتجه إلى جادة الصواب<sup>(٢)</sup> ويقولون معلقين على ذلك: «ومن غير الفردوسى أضاع نصف عمره فى نظم حكايات ملوك الفرس فى الشاهنامه».

ج - إن ناظم هذه القصة يشكو من فقره فى شيخوخته وأنه إنما نظم هذه القصة متطلعا إلى مقابل مآدى كبير يعوضه سنى عمره التى أضاعها فى الشاهنامه دون مقابل مآدى مجز، وأن هذه الحال تنطبق على شخصية الفردوسى وأحداث حياته بعد أن خذله السلطان محمود الغزنوى ولم يعطه العطاء المناسب عن نظم الشاهنامه<sup>(٣)</sup>.

(١) هر آنكس كه او بشنود      بتن دردل و جانش لـرزان شود  
كه نبود سخن دلکش و دلربای      بجز کفتها توانا خدای

(٢) يشترك مع الأستاذ كفاى فى هذا الرأى كل من : حبيب يغمائى والأستاذ على دشتى ، وتقى زاده وكذا الأستاذ بديع الزمان فروزا نهر، كما يؤكد ذلك كل من نلدكه ، ويراون ..

(٣) تقى زاده : هزاره فردوسى ؛ ص ٢٦٦



د - إن ناظم هذه القصة يصرح بقوله :

- أنا عبد لأهل بيت النبي ..... ومادح لتراب قدم الوصي<sup>(١)</sup>.

وأن هذا البيت وغيره دليل واضح على تشييعه لآل البيت ، وأن تشييع الفردوسى لاجدال فيه<sup>(٢)</sup>.

هـ - إن هذه المنظومة تزخر بعبارات كثيرة ورد أغلبها فى الشاهنامه ذلك أن الفردوسى بعد أن تعود نظم الحكايات القديمة وشغف بها يورد فى القصة كثيرا من العبارات والمصطلحات التى ذكرها فى الشاهنامه ومن ذلك قوله :  
- هكذا أخبر عن الموازنة... عن المؤمنين وعن العقلاء<sup>(٣)</sup>.

و - إنه من غير المناسب مقارنة هذه القصة بالشاهنامه وذلك لا اختلاف طبيعة الموضوع فى الكتابين ، وأنه من غير الانصاف كذلك الحكم على شاعرية الفردوسى ومقدرته الفنية من خلال يوسف وزليخا ، ذلك لأن الفردوسى قد نظم هذه القصة فى أواخر أيامه وفى فترة زمنية قصيرة استعجالا للمقابل المادى. إضافة إلى ذلك إن الفردوسى كان مقيدا فى تناوله لأحداث القصة وذلك لارتباط موضوعها بأساس دينى فى القرآن الكريم . وهذه العوامل مجتمعة حدثت من قدرات الشاعر فى تناوله الفنى للقصة<sup>(٤)</sup>.

أما الفريق المعارض فيتزعمه مجتبى مینوى ويضم كلا من : عبد العظيم<sup>(٥)</sup> قريب وسعيد<sup>(٦)</sup> نفيسى وخيامبور وذبيح<sup>(٧)</sup> الله صفا ومحمد على<sup>(٨)</sup> فروغى<sup>(٩)</sup>

(١) منم بنده أهل بيت نبى ..... ستانیده خاک پای وصی

(٢) يؤكد تقى زاده على تشييع الفردوسى بقوله: «فردوسى تمايل شديدى بتشييع ومحبت آل على داشته ودر این شکی نیست اشعارى که برخلاف این معنی رامپرساند اصلی نیستند، وأصلا جنانکه اهالى شهر طوس باکثريت شيعة مذهب بوده اند». تقى زاده: هزاره فردوسى ؛ ص ٧٧.

(٣) جنين آکهي دارم از موييدان ..... زيزدان يرستان وازبخردان.

(٤) بديع الزمان فروزانفر: سخن وسخنوران ؛ ص ٥١ طهران ١٩٧١ م ، تقى زاده ؛ هزاره فردوسى ؛ ص ١٠٢ ، حبيب يغمائى فردوسى وشاهنامه او ص ٢٧٢ ، (يجمع الثلاثة على نفس الرأى) .

(٥) عبد العظيم قريب: يوسف وزليخاى منسوب بفردوسى ؛ مجلة آموزش وپرورش ؛ سال نهم شماره ؛ ١٢ ، ١١ ؛ ص ١٦:٢ .

(٦) سعيد نفيسى: مقدمة الطبعة الثانية من كتاب نلدکه ؛ حماسة ملي در ايران.

(٧) خيامبور ؛ مجلة كلية آداب تبريز ؛ السنة الثانية ؛ ص ١٩١ إلى ٢٠٠ .

(٨) ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات ايران؛ ص ٤٨٩ طهران ١٩٧٢ م.

(٩) محمد على فروغى ؛ مقالات فروغى دربارشاهنامه فردوسى؛ ص ٨٧ نشر حبيب يغمائى طهران ١٩٦٢ م.

ومحمود<sup>(١)</sup> شفيعى ويان<sup>(٢)</sup> ربكة ودهخدا<sup>(٣)</sup>. ويجمع هذا الفريق على رفض نسبة المنظومة للفردوسى ويعتمد فى ذلك على الأدلة التالية: -  
أولاً:

إن هناك أبياتا وردت فى مقدمة بعض نسخ «منظومة يوسف وزليخا» المنسوبة للفردوسى بعنوان: «فى مديح الملك أبو الفوارس طغانشاه بن محمد» وعددها أربعة وأربعون بيتاً. يقول الشاعر فيها:

بداية الحديث مدح الملك      المبارك السعيد مثل البدر  
سماء الفضل وشمس الأمل      الملك ولي النعم وشمس الدول  
ضياء الدنيا وفخر الملوك      المنزه القلب عن الألم والحزن  
الملك أبو الفوارس ملجأ الدنيا      السلطان السعيد طغانشاه بن ألب ارسلان<sup>(٤)</sup>

فهذه الأبيات وما تلاها من أبيات المقدمة المذكورة تؤكد أن هذه القصة من نظم أحد شعراء عهد السلطان ملكشاه السلجوقى (٤٦٥ هـ - ٤٨٥ هـ)، وأنها نظمت على الأغلب بين عامى (٤٧٨ هـ - ٤٨٥ هـ) باسم الممدوح نفسه «طغانشاه محمد بن ألب ارسلان» حاكم هراة وشقيق ملكشاه السلجوقى ممدوح الشاعر الأزرقى<sup>(٥)</sup>.

ثانياً:

إن طريقة ناظم هذه القصة فى الإكثار من استخدام الكلمات العربية وكذلك ضعف مستواه الفنى لا يتفقان وأسلوب الفردوسى الذى عهدناه فى الشاهنامه.

(١) محمود شفيعى : دانش وخرد فردوسى ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ طهران ١٩٧١ م .

(٢) يان ربكة : تاريخ ادبيات ايران ، ت : عيسى شهابى ، ص ٢٥٥ ، طهران ١٩٧٥ م .

(٣) على أكبر دهخدا : لغت نامه . مادة فردوسى ، ص ١٥٢ . طهران ١٩٥٦ م .

(٤) سخن كاهتدا مدح خمسرو بود      هممايئون همه جون مه نسويبود  
سبهر همنسر آفتاب امل      ولي النعم شاه شمس الدول  
جهان فروزنده فخر الملوك      منزه دل بساكنش رنج و سسوك  
ملك ابو الفوارس بن شاه جهان      طوغانشاه خمسرو الب ارسلان

(٥) ذبيح الله صفا : حماسه سرائى در ايران ، ص ١٧٥ .

إن ناظم هذه القصة لم يكن شيعياً - كما هو حال الفردوسی - وأن هذا يتضح من الأبيات التي وردت في مقدمة المنظومة ، والتي يمدح فيها ناظمها النبي والخلفاء الأربعة . وهذا الأمر خلافاً لما هو معروف عن الفردوسی الذي يغالى في الثناء على عليٍّ وآل البيت. ومن الأبيات التي تشهد على تشييعه قوله (١):

إنك لن تستطيع أن ترى الخالق بعينك      فلا تتعجب إذن ناظريك  
لقد عابوني أن هذا المتشدد الثرثار      قد شاب على حب النبي وعليٍّ وتقدمت به السنون

\*\*\*

أما الأبيات التي يمدح فيها صاحب منظومة يوسف وزليخا النبي والخلفاء الأربعة والتي تؤكد أنه كان سني المذهب فمنها قوله:

كان كل صحابته أخيارا      كانوا جميعاً حوله كالنجوم  
ولكن برز من بينهم أربعة      اشتهروا بالدين الحق  
أبو بكر الصديق شيخ وعتيق      والذي كان رفيقاً للنبي ليل نهار  
وكان من بعده عمر الذي كان قيصر      الروم لا يستطيع النوم في بلاده خوفاً منه  
وكان الثالث عثمان التقى      الذي كان الخجل والحياء ظاهرين عليه  
والرابع عليٌّ بن عم الرسول      البطل المقدم زوج البتول  
فأدروجهك عن أيذائهم      فإن جزاء أيذائهم يورد النار (٢)

نبینی مرنجبان دو بیننده را  
بمهر نبی وعلی شد کهن  
سراسر همه به بیش جمله اخیر بدند  
که در دین حق نامدار آمدند  
که بسد روز و شب مصطفی را رفیق  
زیبمش نیارست خفتن بروم  
که شرم و حیا زاویدیدار بود  
سسر شهیر مردان و زوج بتول  
که آزار ایشان دوزخ آرد ثواب

(١) نبینند کان آفریننده را  
مرا غمز کردند کان بر سخن  
(٢) صحابان او جمله اخیر بدند  
ولیکن ازایشان چهار آمدند  
ابو بکر صدیق شیخ وعتیق  
زیبمش عمر بد که قیصر بروم  
سوم مهر عثمان دیندار بود  
جهارم علی بن عم رسول  
ازآزار ایشان دوزخ راهتساب

رابعاً: إن هناك أبياتاً في المنظومة تشتمل على عدة دلائل على رفض هذه النسبة . منها هذا البيت الذي تبدأ به المنظومة والذي يستخدم الشاعر فيه شاهداً من القرآن الكريم:

- ألف لام راتـلـك آيـات اقـرأ حتى تعرف الحكايات(١)  
ذلك أن شعر الفردوسي عامة يخلو من شواهد من القرآن الكريم، كما أن استخدام الفردوسي للجمل العربية القصيرة نادر جداً في شعره. كذلك نجد اصطلاح «بخوان تابدان» غير وارد في الشاهنامه. وليس ذلك فحسب، بل إنه من الجائز ألا نجد نظيراً له في أسلوب عصر الفردوسي. إضافة إلى ما تقدم فإن جمع كلمة «حكاية» بالألف والتاء إذا كان استخدامه في هذا البيت ضرورياً للقفية، فإننا لا نجده ولو مرة واحدة في كل أشعار الشاهنامه(٢)..

خامساً:

إنه مع توفر الأدلة الخاصة بمعرفة الأساليب، وبمقارنة أسلوب هذه المنظومة بأشعار الفردوسي بالشاهنامه ، يضاف إلى ذلك عدم توفر دليل قطعي في أيدينا على أن الأمر من كتابات القرن الخامس الهجري . فالشاعر الذي نظم أبياتاً في مدح طغانشاه لم يذكر اسمه صراحة ولم يذكر كذلك أنه ألف يوسف وزليخا(٣).

سادساً:

ينتهي المستشرق «يان ريكاء» بعد دراسته المستفيضة لهذه(٤) القضية إلى أن الفردوسي لم يذهب مطلقاً إلى العراق العربي ولم ينظم القصة وانقل هنا نص

(١) الف لام راتـلـك آيـات بخوان تابدانى حكايات را

(٢) محمود شفيح : دانش و خرد فردوسى : ٢٥٤ ، ٢٥٥

(٣) محمد على فروغى؛ مقالات فروغى درباره شاهنامه فردوسى : ص ٨٧

(٤) من الجدير بالذكر هنا أن «يان ريكاء» كان قد أعد دراسة في كتاب «هزاره فردوسى» ( ١٩٤٤ م ) وانتهى فيها إلى نسبة المنظومة للفردوسي بعد أن تبين له من هذه الدراسة أن السمة الغالبة على كلمات «يوسف وزليخا» كثرة الكلمات الثلاثية على نمط ما هو حادث بالشاهنامه. ثم اتبع ذلك بدراسة لنفس القضية وذلك في الطبعة الأولى من كتابه: «تاريخ الأدب في إيران» في هذه الدراسة عاد إلى تأكيد رأيه السابق بنسبة هذه المنظومة للفردوسي قائلاً: إن أسلوب القصة لا يمكن أن يكون لأحد من معاصري الفردوسي فهو وحده القادر على تطويع أساليب الوثائق التاريخية الموجودة بين يديه والتي اطلع عليها أثناء رحلة بغداد . إن كانت قد تمت - وكان رجل لغة كانت قد وضعت بين يديه المكتبات كاملة، كما حدث في تاريخ الدولة السامانية الذي كان بين =

رأيه: «إن أهم نتيجة وصلت إليها في بحثي أخيراً هو الوصول إلى حقيقة مفادها أن الفردوسي لم يكن مطلقاً في خان لنجان وأنه لم يؤلف قصة يوسف وزليخا المبنية على السورة الثانية عشر من القرآن الكريم "سورة يوسف" وأنها كانت قد نسبت إليه خطأ<sup>(١)</sup>.

وفي نهاية المطاف نصل إلى مجتبي مینوی<sup>(٢)</sup>. وهو بزعامته لهذا الفريق المعارض نراه يعرض القضية بكل أبعادها وملابساتها، ويجمع خيوط الاتهام كلها بين يديه ويفندها واحداً تلو الآخر. فقد نصب مینوی نفسه ممثلاً للإيرانيين في الدفاع عن الفردوسي ومكانته الأدبية الرفيعة، وبذل كل ما استطاع من جهد لابعاد تهمة باطللة حاول نفر من المؤرخين الصاقها بالفردوسي وهو منها براء. وقد وقف مینوی في ثبات يعرض القضية مفرداً لها فصلاً كاملاً من كتابه «فردوسی وشعراو».. وقد كَوَّنَ رأيه استناداً إلى الحجج التالية<sup>(٣)</sup>:

أولاً:

إن مؤرخي الأدب في إيران إبتداءً من القرن الخامس الهجري وحتى نهاية التاسع الهجري لم يذكروا نسبة هذه المنظومة للفردوسي<sup>(٤)</sup>.

= يديه وهو يكتب الشاهنامه». ثم رجع ريكا عن هذا الرأي وذلك في الطبعة الأخيرة من كتابه: «تاريخ ادبيات إيران والتي صدرت (١٩٧٥ م) ورفض هذه النسبة كما رفض رحلة الفردوسي إلى بغداد :

(١) يان ريكا: تاريخ ادبيات إيران ت : عيسى شهابي، ص ٢٥٥

(٢) مجتبي مینوی: فردوسی وشعراو: ص ٥٩ إلى ١١٤، طهران ١٩٦٧م.

(٣) يشترك على أكبر د هخدا في الرأي مع مجتبي مینوی في رفض نسبة المنظومة للفردوسي ، بل إن أغلب العوامل التي استند إليها مجتبي مینوی في رفضه لنسبة المنظومة للفردوسي يوردها «دهخدا في مقاله عن الفردوسي في لغت نامه» مادة «فردوسی».

(٤) يرتب مینوی في كتابه «فردوسی وشعراو» هؤلاء المؤرخين علي النحو التالي:-

١- نظامی عروضی سمرقندی وكتابه : «جهار مقالة المؤلف سنة (٥٤٢ - ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م - ١١٥٧ م)

٢- حافظ ابرو وكتابه: زبدة التواريخ» والمؤلف في حدود سنة (٨٣٠ هـ).

٣- دولت شاه وكتابه : تذكرة الشعراء» المؤلف في حدود(سنة ٨٩٢ هـ)

٤- نور الله ششتري وكتابه : «مجالس المؤمنین» المؤلف في حدود. ( سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦ م)

٥- أمين الرازي وكتابه: هفت اقليم « المؤلف في حدود سنة (١٠٠٢ هـ - ١٥٩٢ م - ١٥٩٤ م)

كما يذكر مینوی في نفس المقال أن دولت شاه ذكر قصة «يوسف وزليخا» التي نظمها «عمق البخاري» المتوفى سنة ( ٥٤٢ هـ) والذي كان من شعراء سنجر السلجوقي ولم يذكر منظومة الفردوسي .

## ثانياً:

إن الحكاية التي ضمنها بايسنقر<sup>(١)</sup> الأمير التيمورى الذى استولى على آذربيجان سنة (٨٢٢ هـ) والمتوفى (٨٧٢ هـ) ديباجته التى كتبها لإحدى نسخ الشاهنامه سنة (٨٢٩ هـ) - والتى يستفاد منها سفر الفردوسى إلى بغداد وتأليفه «يوسف وزليخا» بناء على طلب من خليفته القادر بالله - هذه الحكاية لا تتطابق مع التاريخ ولا مع المقدمة التى تسبق قصه يوسف وزليخا فى طبعة «ايتيه» يضاف إلى ذلك أن خليفة بغداد لم يكن يعرف الفارسية حتى يقدم له الفردوسى أو غيره كتاباً بها ..

## ثالثاً:

إن المقدمتين المعنويتين بـ: «حديث فى ذكر سبب هذه القصة» و«حديث فى سبب حاله» تتناقضان تناقضاً تاماً مع رواية بايسنقر السالفة الذكر ، وأن تلك القصة التى تضمنتها المقدمتان والتى تتعلق بأمر العراق ووزيره ونظم البختيارى والفردوسى للقصة ، إنما هى من الأمور الكاذبة التى راجت فى القرن التاسع الهجرى ..

## رابعاً:

نحن نعرف من المصادر المختلفة أن أبا الفوارس طغانشاه بن ألب أرسلان كان حاكماً على خراسان الشرقية وأن عاصمة حكمة كانت هراة ، وأنه نتيجة لطغيانه

---

(١) تفيد هذه الحكاية أن الفردوسى بعد هرويه من بلاط السلطان محمود الفزنوى وفراره إلى مازندران اتجه إلى بغداد ، وذات يوم قابله تاجر كان على صلة به من قبل فأحسن وفادته وبألف فى إكرامه . فقص عليه الفردوسى حكايته مع السلطان محمود فقال له التاجر «إنك الآن قد وصلت دار السلام وأنا لى منزلة كبيرة عند الخليفة وسأعرض أحوالك على وزيره ليخبر الخليفة بها. وكان الخليفة آنذاك هو القادر بالله وكان وزيره «فخر الملك» محباً للشعر والشعراء ، فكتب الفردوسى قصيدة بالمريية ضمنها معانى بديعة وعرضها على فخر الملك الذى نقلها بدوره إلى الخليفة فأصابته إحدى الجمل مسممه كأنها الدر . فلما مثل الفردوسى بين يدى الخليفة القادر بالله قدم له كتاب الشاهنامه بعد أن أضاف إليه ألف بيت فى مدح الخليفة فأمر بسنحه ستين ألف دينار . ولما رأى الخليفة أن كتاب الشاهنامه ألف فى مدح ملوك المعجم وهم عبدة النار ، لم يستحسن ذلك ، مما دفع الفردوسى إلى نظم قصة يوسف وزليخا وعرضها عليه فأعجب بها الخليفة وادخلت السرور على نفسه ...

وعصيانه وما ارتكب من مظالم سجنه ملكشاه فى قلعة اصفهان (٤٧٦ هـ). وإذا كان ناظم القصة فى أبيات المقدمة المذكورة سلفا يشير إلى أنه لن تمضى فترة وجيزة إلا ويخرج الأمير وينضم لخدمة السلطان ويتولى حكم هراة مرة أخرى، فإننا نرى أن هذه القصة قد كتبت باسمه أثناء وجوده بالقلعة - يعنى عام (٤٧٦هـ) خاصة وأن صاحب كتاب «أنيس القلوب»<sup>(١)</sup> يذكر أن أحد الشعراء المتخلصين بالشامسى قد نظم قصه يوسف وزليخا فى تلك الفترة المحدودة كما يذكر صاحب «جهار مقالة» أن طغانشاه كان محبا للشعر والشعراء وأنه جمع كثيرا منهم فى بلاطه من أمثال: الأزرقى والشجاعى والنسوى وحقيقى ونسىمى..

خامساً:

إننا إذا أخذنا هذه الديباجة سنداً تاريخياً فإننا نرى أن القصة نظمت على يد شخص ضليع فى صناعة الشعر، وذلك بعد ستين أو سبعين سنة من وفاة الفردوسى، وأن هذا الشخص المجهول قد نظم القصة إبان حياة طغانشاه وقدمها إلى هذا الأمير، ومن الجائز أن هذا الشخص كان واحداً من منشدى الشاهنامه بعد أن اطلع على القصة فى مصادرها المختلفة فنظم هذه القصة على سبيل معارضتها مع القصص الإيرانية القديم. ونظراً لأن هذا الشخص لم يكن يتمتع بمقام أدبى رفيع، فإن منظومته لم تنل شهرة عظيمة ونُسِيَ اسم ناظمها. ثم إنه لتلاحق الحوادث بعد ذلك إثر حملة المغول على هذه المنطقة فقد فقدت المعرفة وقد الذوق الأدبى للإيرانيين وتخيل الناس أن هذا الكتاب للفردوسى. وفى تلك الفترة التى علا فيها صوت التعصب المذهبى، فقد شاع بين الناس القول بأن الفردوسى بعد أن صرف عمره كله فى نظم القصص الإيرانية القديمة (كما ورد فى ديباجة مؤلف يوسف وزليخا) شرع فى أيامه الأخيرة فى تصنيف كتاب شريف يعتذر به عما ضيَّع من عمره فى تصنيف الشاهنامه ...

سادساً:

لقد طبع ايته المستشرق الألمانى ثلثها باسم الفردوسى (ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وتسعين بيتاً). ونظراً لأن ايته قد عمل عدة سنين دأباً مكرساً كل جهده

(١) هو أبو نصر بن مسعود الانوى وقد ألفه عام ٦٥٠ هـ.

وهمته في دراستها ، فإنه يؤكد للجميع أن هذه هي منظومة الفردوسي حقا.. لكنه لم يسلك في طبع الكتاب القواعد والأصول العلمية التي ينتهجها أهل التحقيق، بل إنه اغفل سائر نسخ المنظومة واختار الأبيات التي تتفق مع ميوله. ولكي يثبت ادعاءه، فقد اختار أبياتا من مقدمتها وأبياتا مما ورد في مقدمة بايسنقر - والتي تتفق مع رأيه - ونحى جانبا ما دون ذلك .

سابعاً:

إن المستشرق «نلدكه» رغم مكانته العلمية الطيبة ، إلا أنه وافق «ايتة» في الرأي فقال بنظم الفردوسي للقصة ، كما قرر أنه نظمها وهو في سن الشيخوخة وأنه كان آنذاك في ولاية العراق العربية التي كانت تحت حكم آل بويه . ثم ذهب «نلدكه» إلى أن الذي نُظِمَ الكتابُ له إما بهاء الدولة البويهى (٢٧٩ - ٤٠٢ هـ) أو لابنه سلطان الدولة الذي تولى الحكم (٤٠٢ هـ)، كما ذهب إلى القول إلى أن الشخص الذي طُلِبَ من الفردوسي نظم هذه القصة هو واحد من رجال البلاط كان معروفا باسم «موفق»، ثم تصادف أن اهتدى الأستاذ "تقى زاده" إلى شخص معروف باسم «موفق»<sup>(١)</sup> اسمه: أبوعلى حسن بن محمد بن إسماعيل الاسكافي وكان قد ولي الوزارة في عهد بهاء الدولة البويهى في عام (٢٨٨ هـ) وأن هذا «الموفق» يتفق مع الشخص الذي ذكر في أبيات ديباجة «يوسف وزليخا» فاعتقد أن الفردوسي قد أتم أول نسخة للشاهنامه عام (٢٨٤ هـ) ثم سافر إلى العراق وألف «يوسف وزليخا» عام (٢٨٥ هـ) بناء على رغبة الاسكافي وقبل أن يلي الأخير الوزارة.

ثامناً:

إن هناك ثلاثة آراء تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ولا تتطابق مع مقدمة بايسنقر للشاهنامه، وأصحاب هذه الآراء يسلمون بأن يوسف وزليخا إنما هي من

(١) جاء في كتاب ابن الأثير «الكامل في التاريخ» أنه لما غضب بهاء الدولة البويهى على وزيره الموفق أبو على بن اسماعيل قتله عام (٢٩٤ هـ) - وهكذا يلاحظ أن ابن الأثير لم يذكر في بقية اسم هذا الوزير لقب «الاسكافي» وقد بحثت في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي فوجدت شخصا آخر يحمل اسم الاسكافي واسمه بالكامل هو: «على بن محمد ابو القاسم الاسكافي» وكان يشتغل بديوان الأمير الحميد بن نوح بن نصر وأنه كان يعيش معه في نيسابور. وهكذا يتضح الخلط الذي وقع فيه تقى زاده. ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ ج ٧ : ص ٢٠٦، بيروت ١٩٧٨ ياقوت الحموي؛ معجم الأدباء؛ ج ١٣ ، ص ١٥٧ ؛ بيروت : ١٩٦٤ م.



تأليف الفردوسى، وأن تلك الديباجة التى وردت فى إحدى نسخ المنظومة إنما هى أصلية وحقيقية. ثم يسمعون بعد ذلك إلى تأويل ذلك على نحو من الأنحاء ويحاولون تطبيق هذا السلطان ووزيره وذلك البلاطى المعروف باسم «موفق» مع رجال التاريخ<sup>(١)</sup>..

هذا.. وبعد هذا العرض المسهب لرأى مجتبى مينوى، والذى ألم فيه بكل تفاصيل القضية وأكد من خلاله بطلان الحجج والأسانيد التى تنسب المنظومة للفردوسى وخلص فى النهاية إلى رفض منطقى لهذه النسبة فإننا نقدم مجموعة أخرى من الاسانيد التى تعزز الرأى القائل برفض نسبة المنظومة إلى الفردوسى ويمكننا أن نبين ذلك على النحو التالى:

أولاً:

من الملاحظ أن الفردوسى فى الشاهنامه كان كثيراً ما يستخدم الفاظاً يكثر الوصف بها فى شعره إلى درجة تكاد معها أن تكون مصطلحات خاصة به ووقفاً عليه ، وتزدحم بها أبيات الشاهنامه ، فالبطل عنده سواء كان «رستم آوزال» أو غيرهما من أبطال الشاهنامه فهو إما «أسداً» رابض أو «فيل هائج» أو «تمساح مائج» وهو إذا ما تحرك فهو كالدخان المتطاير أو الغبار المتناثر أو الريح العاصف

(١) يرجع الشك فى هذه المقدمات إلى الخلط الذى وقع فيها من آراء متباينة لارابط بينها، ولا سند لها من التاريخ المدون عن هذه الفترة ونذكرهم على النحو التالى:-

اصحاب الرأى الأول : ويستندون على ديباجة بايسنقر ويرون أن الفردوسى ذهب إلى بغداد وقابل الخليفة العباسى أبو العباس أحمد القادر بالله ، والذى كانت خلافته فى الفترة من (٢٨١ هـ إلى ٢٩٣ هـ) وأنه الف يوسف وزليخا نزولا على رغبة الخليفة . وهم يستندون على ما أورده ، صاحب «تاريخ كزیده» من أن القادر بالله كان = من ألقابه «قوام الدين و «ملك الملوك» وهى الألقاب التى وردت فى وصف الملك الذى ألفت المنظومة بناء على رغبته فى المقدمة المعنية بالذكر.

اصحاب الرأى الثانى : يرون أن الفردوسى ألف يوسف وزليخا بناء على طلب من موفق أبو على بن اسماعيل الذى وزر لبهاء الدولة البويهى حاكم العراق فى الفترة من ( ٢٨٨ - ٣٩٤ هـ ) ، وهم يستندون فى رأيهم هذا على ما ورد فى المقدمتين اللتين نشرهما هرمان ايتيه فى طبعته للمنظومة.

اصحاب الرأى الثالث: ويستندون على مقدمة بايسنقر ويرون أن الفردوسى ألف القصة بناء على طلب من «فخر الملك» وزير الخليفة القادر بالله العباسى ..

اصحاب الرأى الرابع: ويرون أن الفردوسى ألف يوسف وزليخا بطلب من سلطان الدولة ابو شجاع ابن بهاء الدولة البويهى والذى كان حاكماً على العراق (٤٠٣ هـ) حتى (٤١٥ هـ ١٠١٢م) وهم يستندون فى ذلك على أنه كان من ألقاب سلطان الدولة لقبين آخرين هما : ملك العراق «وأمر العراق»، والذى كان يحكم فى العراق والأهواز وكرمان ...

الصافر، والأمثلة على ذلك عديدة في الشاهنامه ولا حصر لها. ونختار نموذجا منها يصف فيه الفردوسي البطل «زال» بقوله: -

- له قلب أسد وقوة فيل      ويداه تفيض سخاء فيضان نهر النيل  
- خده أحمر بلون الأرغوان      وهو شاب يقظ وحسن الطالع  
- وقد أخذ بياض شعره من الغزال      ويتحدث حديثا معيبا أحيانا كبعض الناس<sup>(١)</sup>  
- وقد ازدان بياض شعره      وكأنه يخدع القلوب

هذا .. في حين أن يوسف وزليخا لانجد بها نظيرا لهذا الأسلوب في الوصف. ويتضح ذلك إذا ما عرضنا نموذجا من يوسف وزليخا يصف فيه مؤلفها «شمعون» أحد أخوة يوسف والذي اشتهر بالقوة والجبروت ، يقول فيها:

- حقا ما يقوله العلي الجبار      وقوله اسبق من كل البرواة  
- أن شمعون كان رجلا قويا      أكثر قوة من جبل عال  
- وفي اللحظة التي كان يفضب فيها      لا يقترب منه أحد من الخوف  
- وكانت علامة ذلك الغضب      ان جميع شعره كان يبرز من خلال قميصه<sup>(٢)</sup>

فنحن لم نشعر بقوة شمعون وتأثير غضبه من خلال معاني هذه الأبيات ولم نر الأرض تتزلزل تحت وقع أقدامه كما تزلزلت من وقع أقدام رستم في الشاهنامه ولم نر السماء تكفهر ولا الوحوش تفرع إلى أحراشها كما خافت وارتعدت من غضب رستم...

(١) دل شير زدارد وزوربيل      دود سستش بگردارد ريساي نيل  
رخش سرخ ماننده ارغوان      جوان سال وبيدار وبختش جوان  
ازاهو همان سهيلاست مسوي      بكويد سخن مردم عيب جوي  
سبيد مويش بزيبد همي      توکوئي كه دلها فريبد همي

نقلا عن : فضل الله رضا : بزوهش درانديشه فردوسي ج ١، ص ٢٧٢ طهران ١٩٧٤ م.

(٢) خداوند جبار كویند درست      زقول همه راویان نخواست  
كه شمعون يكي مرد بد زورمند      هر آنكه خشم آمدی برتنش  
قوي برتزاز كوهسار بلند      مكشتي كسزيهم پيرانش  
نشان آن بدی كه هم مسوي تن      بر آورده بودی سراز پسرهن

«نقلا عن منظومة يوسف وزليخا المتسوية للفردوسي، ص ٢١٨ طبع طهران ١٣٤٤ هـ.

ثانياً:

أنه من الملاحظ أن هناك عبارات وصفية يكثر الفردوسى من استعمالها فى الشاهنامه ولا نجد لها نظيراً فى منظومة يوسف وزليخا ، فأبطال الشاهنامه كثيراً ما يصفهم الفردوسى «بـ سروسهى»، «درخت بزرک»، ذلك لأن الفردوسى.. كما هو معروف - كان فلاحاً وشاعراً يحترم النباتات ويحبها لأنه عاش بينها يرعاها ويحنو عليها ويظهر الشفقة نحوها ، ولهذا كان شديد التأثر بها فى شعره<sup>(١)</sup>...

ثالثاً:

إن الدارس لأسلوب الفردوسى فى الشاهنامه يلاحظ أنه من العلامات الهامة لهذا الأسلوب استهلال الفردوسى لمعظم قصائده وحكاياته بالحديث عن شروق الشمس وغروبها، ولون الأفق وصفاء السماء وازدهار الحدائق والخمائل واصطبغ الجبال بألوان الذهب وسكون الليل الحالكة الظلمة، وانبلاجه عن هلال لامع فضى، وخروج الحياة من أحشاء هذا السكون الموحش. ومثال ذلك هذه الأبيات التى ترد فى مطلع حكاية «منيزه وبيثرن» التى يقول فيها:

فلم يظهر فيه لا المريح ولا زحل ولا عطارد <sup>(٢)</sup>	- ليل مظلم كالفحم غسل وجهه القار
يقظاً متنبها	وازدان القمر وأتى إلى حضرته
وضاق قلبه ورق عوده فى قبة السماء	وأضحى قرصاً أسود فى وسط السماء
ملأت الهواء غباراً وتراباً	وتشكل من تاجه ثلاثة أشكال لازوردية
كجـنـنـح غراب	ونشر الليل جيش سواده الحالكة على الصعراء والمرج
كشمبان أسود فاغرا فاه	فلم أرفى أى ناحية يقع عليها ناظرى سوى امرمن
فحيثما أتجه الموج خرج القار من البحر <sup>(٣)</sup>	وهكذا أضعت الحديقة وشواطئ الأنهار

(١) يان ريکه ، هزاره فردوسى؛ دراسة عن البحر المتقارب عند الفردوسى ص ٧٧.

(٢) شبي جون شبه روى شوسسته بغير	نه بهرام بييدا نه كيوان نه تير
دكر كونه آرايشى كرد ماه	بسيج كندر كرد برييشكاه
شده تيره انسر سراى درنك	ميان كرده باريك ودل كسوده تنك
(٣) زجاجش سه بهره شده لاجورد	سيرده هوارا بزنگار وكرد
سيهه شب تيره برده بردشت وراغ	يكى فرش كسترده جون پرزاغ
نمودم بهر سو بحشتم امرمن	جسو ماسيه بساز كرده دهن
جو بولاد زنگار خورده شاهر	توكفتى بغيراند اندوه جهر

إنه من العلامات المميزة لأسلوب الفردوسي في الشاهنامه افتتاحه لكثير من فصولها بأحاديث في الحكمة والموعظة والعبرة. والأمثلة على ذلك كثيرة في الشاهنامه. أختار منها الأبيات التالية من قصة «رستم وسهراب» والتي يقول فيها<sup>(١)</sup>:

استمع الآن إلى حرب رستم وسهراب	ولقد سمعت الأخرى فاسمع هذه
فهي قصة مليئة بدمع العين	تغضب القلوب الرقيقة على رستم
فإذا ما هبَّت الرياح العاتية من ناحية	أطاحت بالأترج الفج
فلو كان الموت عدلاً فماذا يكون الظلم	ولم كل هذا البكاء والنحيب من العدل
إن روحك غير عارفة بهذا السر	ولا طريق لك وراء هذا الحجاب
فلعل في الرحيل مقاماً أفضل	حين تنال الراحة في الدار الآخرة
ولحظة الموت مثل النار ذات الهول	لا تلتفت لشيخ أو مسن
ولم يترب الشباب بالدنيا	فالشيوخوخة ليست سبباً للموت
في هذه الدار دار الممر لا دار المقر	ربما يسحبك الموت على حصان القضاء
فاعلم بأن العدل لا يحمل ظلماً	فإذا طبق العدل فلم الصياح والنواح
فاعلم أن الشباب والشيوخوخة سواء أمام الموت	حين لا تُردُّ خلافاً في الدين

(١) كَنُون رزم سهراب ورستم شنو	ديكرها شنيدستی این هم شنو
یکی داستان است برآب چشم	دل نازک از رستم آید بسخشم
اکرتند پادی برآید زکنج	بسخاک افکند نارسیده ترنج
اکرمرك دادست بیسداد چیست	زداد این همه بانک و فریاد چیست
ازاین راز جان تسواکسای نیست	بسیدین برده اندر ترا راه نیست
برفتم مکر بهتر آیدت جای	جو آرام کیری بدیکر سرای
دم مړک جون آتش هولنناک	نسد ارد زبیرنا و فرتوت باک
جوان راجه بساید بکیستی طرب	که نی مړک راهست پیری سبب
دراین جای رفتم نه جای درنک	براسب قضا کرکشد مړک تنک
جنان دان که داد است بی داد نیست	جوداد آمدش بانک و فریاد چیست
جوانی و پیری بسنزد اجل	یکی دان جسودر دین نسخواهی خلیل

وإذا ما انتقلنا من الشاهنامه إلى منظومة يوسف وزليخا رأينا صاحبها ينهج نهجا مغايرا لنهج الفردوسى. فأبيات العظة والاعتبار والنصح تأتي عنده فى ختام القصائد والفصول. ومثالا لذلك نراه يختتم حديثه عن تفسير يعقوب لرؤيا يوسف ونصحه إياه بعدم الإفصاح عن مضمونها بأبيات فى العظة والاعتبار والنصح اختار منها ما يلى:

لا يجب مخالفة الأب      فإن ذلك يجلب الندم فى النهاية  
يجب الاحتفاظ بالكلام فى القلب      ولا يجوز اجراؤه على اللسان فى التو  
فاجراء الكلام لا يجلب غير الندم      ولا يندم أحد عند التزام الصمت(١)

خامساً:

يهتم الفردوسى فى الشاهنامه بإبراز فكرة الثنوية «اله الخير واله الشر» و«الظلمة والنور». هذا فى حين تختفى هذه الظاهرة فى منظومة يوسف وزليخا، على الرغم من أن المناخ العام للقصة يتيح لمؤلفها إبراز مثل هذه الفكرة وحسن الاستفادة منها، وخاصة فى الصراع بين «يوسف» «الخير» و «أخوته» «الشر» وبينه وبين «امرأة العزيز» كذلك الظلام «داخل البئر» و «النور» خارجه ...

سادساً:

إن الفردوسى يولى اهتماما كبيرا فى الشاهنامه بوصف المكان الذى تدور فيه أحداث حكاياته وأبطاله، من جبال وطرق ووديان وطيور وغابات ، بل وما يتميز به كل مكان من طقس وتضاريس وطيور . فـجبال «توران» فى رحلة كيخسرو(٢) وصقورها وهوائها تختلف تماما فى وصف الفردوسى لها عن جبال أمل " عند ما زارها كيكائوس وهو يصف بدقة غابة نارون " وما بها من طيور وحيوانات وحشية وهواء طيب.. فاذا ما انتقلنا إلى صاحب منظومة يوسف وزليخا نراه لا يهتم

(١) نبياست كردن خلاف بدر      كه آخر بشيمانى آرد ببر  
سخن داشت بايد بدل در نهان      نبيد سبك راند نش برزبان  
بشيمانى آيد زكفتارويس      بشيمان نكردد زنا گفته كس

(٢) هنرى ماسيه : أوصاف ومناظر طبيعت در شاهنامه : من مقال له فى «هزاره فردوسى»: ص ١٠٢، ١٠٣.

بذلك مطلقاً، رغم توفر هذه الفرصة عنده أكثر من مرة في جو القصة العام .  
فقد كان يستطيع أن يصف لنا نهر النيل العظيم حينما انتقل يوسف إلى مصر  
وبيع عبداً لحاكمها ثم إنه كان يستطيع أن يصف لنا رحلة إخوة يوسف من بلاد  
كنعان إلى أرض مصر وتضاريس أرض كنعان وتضاريس مصر، والاختلاف بينهما  
يفرى الشاعر بوصفهما .

سابعاً:

إن الفردوسى فى الشاهنامه كان يميل إلى انتقاء الجمل والعبارات البسيطة  
التي تضع أسلوبه فى إطار «السهل الممتنع»، ذلك الأسلوب الذى جعل منه نبيا  
للوصف - ما يقول الفرس - ونموذجاً فذا للفصاحة والبلاغة الفارسية.. فانت  
حين تقرأ أبياته فى وصف واحدة من المعارك الحربية فى الشاهنامه، تراه ينقلك  
الى جو معركة حقيقية يصم أذنيك وقع سنايك الخيل وقعقة السيوف وصليلها،  
ويدخل عينيك ويعفر وجهك غبار خيل المتحاربين.

فإذا ما انتقلنا إلى منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى فاننا نفتقد هذه  
المقدرة الشعرية الفذة التي امتاز بها الفردوسى فى الشاهنامه.. صحيح أننا  
شعرنا بأحزان يعقوب وآلامه على فراق يوسف وفقده، ولسنا ما تعرض له من  
عذاب على أيدي أخوته ومحنة بيعه عبداً فى مصر، وتأثرنا بما لقيه من عذاب  
محنة السجن ، ومحنة الفواية والضلال التي حاولت امرأة العزيز جره اليها . لكن  
الحزن لم يكن وحده المقصود من منظومة طويلة تزيد أبياتها على خمسة آلاف  
بيت من الشعر...

ثامناً:

إن القارئ لشعر الفردوسى فى الشاهنامه يدرك بوضوح خلوه من الإسفاف  
وبعده عن استخدام التشبيهات الحسية، كما يلحظ نزاهة قلمه وعفة لسانه  
ونظافة حديثه. فى حين يكثر مؤلف منظومة يوسف وزليخا من استخدام  
الأساليب الحسية فى الوصف. ومن ذلك قوله فى وصف لقاء زليخا بيوسف:

سمعت أنها جاءت يوماً بذلك الجمال  
 مثل قبة من الفضة الخام  
 وجلست بالقرب من يوسف الشمسي الوجه  
 وتحدثت بطريقة لطيفة  
 إذا طلب منك قلبك العطوف  
 فخذني فها أنا ملكك  
 إنى أفكر بعقلي ورأى في وصالك  
 فالآن لا تحزن قلبك أكثر من هذا  
 وأطعم الثمر من نعمتك ودولتك  
 قالت هذا واحتضنته بشدة  
 بمائة لون من الفنج والدلال  
 ووجهها يتألق كالبدر التمام  
 ووضعت يدها في يده الناعمة  
 وقالت له أيها الحبيب وليد الحور  
 حسناء جميلة مثل روح العالم  
 وأنا جاريتك ومحبة لك<sup>(١)</sup>  
 وأرجو أن أحقق مرادك  
 واقض أيام الحياة علي مرادك في النعيم  
 فإنه لا تكون لك ثمرة أحسن من هذه  
 لتخطف قبة من شفثيه السكريتين<sup>(٢)</sup>

وحين تناول الشاعر حادث المراودة نراه وقد راح يصف زليخا وصفا حسيا  
 مثيرا للفرائز على النحو التالي:

بطنها لطيفة وبلور متألق  
 نهداها مثل رمانتين فضيتين  
 ولها فخذان ممتلئان كفخذ الهجين  
 ولكنها في النعومة مثل الخز والفراء<sup>(٣)</sup>  
 إذا كان السرو الفضي يثمر الرمان  
 سلبنا من الجسم العقل ومن القلب الاحتمال

(١) شننیدم که یک روزبیا آن جمال  
 بسان یکی کنبد ازسهم خام  
 بریوسفمهر بیکر نشست  
 بطرزلطافت زیان برکشاد  
 اگرخواهد ازتودل مهریان  
 مرادار ایـنک که آن تسوام  
 (٢) ببویند توهوش وراى آورم  
 کنون بسیش ازین دردل انده مدار  
 برراز نعمت ودولت خود بخور  
 بگفت این وتنگ اندرون شد برش  
 (٣) شکم بود لطیف ودرفشان وبلور  
 دویمستان او چون دوسیسمین انار  
 جوران هیونان دوران سسطبیر  
 بیامد بصد کونه غنچ ودلال  
 درخشان رخش هم جوماه تمام  
 نهشادش بسدست اندرون نرم دست  
 بدوکفت کی دلبر حور زاد  
 نکاری که باشد جوجان جهان  
 یرستنده ومهریان تسوام  
 مراد تویکسر یجای آورم  
 جهانرا بکام وتنعم کنار  
 که به زین درختت نیاید بپیر  
 که بسوسه ریاید زد وشکرش  
 ولسکن بزمی جو خز وسمور  
 اگر سرو سیم آورد نار بار  
 زتن هوش سردی زدل تب وصبیر

ساقاها مثل عمودين من فضة      قائم عليهما جبل بيستون  
ولها ساعدان ابيضان ممتلئان لطيفان      هما مفتاح لب السرور وقفل الطرب  
إنها بلاء العقل وشقاء الروح      سالبة للقلب وهلاك للنفس<sup>(١)</sup>

فهذه الحسية المفرطة في الوصف المثيرة للفرائز والمحركة للشهوة قلما نلمس وجودها في شعر الفردوسي .. ولنا في حادث المراودة بين سياوخش وسودابة زوج كيكافوس خير شاهد على ذلك. ولنقرأ هذا الحوار بين سودابة وسياوخش حين حاولت مطارحته الفرام والهوى في خلوة أعدتها له في غرفة نومها .. ويصف الفردوسي ذلك قائلاً على لسان سوادبه في الشاهنامه:

سأعطيك ابنتي      فانتظر إلى رأسي ووجهي وتاجي  
فما سبب امراضك عن محبتي      وعدم اهتمامك بجمالي وحسن طلعتي  
فمنذ أن رأيتك قتلني حبك      وزاد صياحي وهياجي واشتد ألي  
ومن شدة ألي لا أرى ضوء النهار      وكان الشمس قد أصبحت صفراء في عيني  
فلتسعدني في الخفاء مرة      وامنحني عهد الشباب<sup>(٢)</sup>  
أكثر مما أعطاك الملك      سأعد لك التاج والعرش والملك  
ولو عصيت أمري      ولم يكن قلبك روائي  
سأحطم عليك كل هذا الملك      ويسود في عينيك ضوء القمر والشمس<sup>(٣)</sup>

(١) دوساقش بسان سيمين ستون  
دوساعد لطيف وسطير وسفيد  
بلاي خرد بود وآسيب جان  
(٢) بستودرخواهم دخترم  
بهانه جه داري كه از مسهرمن  
كه تمان تورايد ام مرده ام  
هسته روز روشن ز دردم  
يكي شاد كني در نهاني مرا  
هزون زآنكه دارت جهاندار شاه  
(٢) وكسر سر ببيجي زفرمان ما  
كنتم برتسواين شاه تسباه

ببیدان ایستاده كه بیستون  
در عیش وقفل وطرب راکلید  
ریسان پیسن دل هلاك روان  
نكه كن به روی وسروافسرم  
ببیجی زیالا وازجهر من  
خروشسان وجوشان وآزده ام  
بر آنم كه خورشید شد لا جور  
بببخشای روز جوانی مرا  
ببیاریت تاج وتخت وكلاه  
نهیاید دلت سوی درمان ما  
مشود تیر بر چشم توخور ماه

الآيات نقلا عن شاهنامه الفردوسي : ص ١٢٠ ، طبع بومبي



ففي هذه الأبيات، وفي هذا الموقف المثير للانفعالات والفرائز الإنسانية لم يتفزل الفردوسي في مفاتن سودابه الجميلة - على نحو ما فعل مؤلف منظومة يوسف وزليخا ووصفه الحسى المثير للفرائز لمفاتن زليخا.. وهكذا نرى كيف اختلف الأسلوب والتناول الفنى بين الشاعرين ...

تاسماً؛

إنه من الملاحظ أن مؤلف قصة يوسف وزليخا كثيراً ما يستخدم كلمة «الراوى» فيما ينقله من أخبار وأحداث، كما يؤكد بين الحين والآخر على أنه يستمد ما يرويه من أحداث وأخبار من مصادر إسلامية . ويتضح ذلك من قوله :

- إن الله الجبار يقول حقاً وهكذا روى منذ الأزل

وفي موضع آخر من القصة يقول:

- لقد رووا عن كعب وهب ونقلوا عنهما هذه القصة<sup>(١)</sup>

وفي موضع ثالث يؤكد لنا أنه يروى من كلام العلماء وينقل من كتاب العهد القديم. ومن ذلك قوله:

هكذا قرأت في الكتاب القديم وهكذا أحطت علما من السابقين

سمعت من كلام العلماء المقلاء الحكماء<sup>(٢)</sup>

وفي موضع آخر من القصة يقول :

يروى كعب الأحبار أروى صدقاً عن كعب الأحبار<sup>(٣)</sup>

هذا في حين يذكر المؤرخون أن القصص والمنظومات التي ترجع إلى القرن الرابع الهجرى مثل شاهنامه الفردوسى وغيرها لا يرد فيها كلمة «راوى»، وإنما تستخدم كلمتى «الدهاقين والموابذة» باعتبارهما رواة الأخبار ومصادرهما .

---

(١) خد اونند جبار كويد درست  
روایت جنین كورد آمد زنجست  
وزایشان جنین كستردده اند  
روایت زكعب وهب كوردده اند

(٢) جنین خواندم ازنامه باستان  
جنین آكهی دارم ازراستان  
شنيهدم زكفتاردانشوران  
خرد يرووان وسخن كستوران

(٣) همی كعب احبار كويد نجست  
روایت زكعب دارم درست

وبناء على ذلك فإنه من غير المستساغ والمقبول علميا وتاريخيا أن يكون ناظم قصة «يوسف وزليخا» من شعراء القرن الرابع الهجرى، إذ لم نعهد عند الفردوسى ولا أحد من معاصريه أن ينقل عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وعن غيرهما من الرواة الصادقين، ولا عن كتاب العهد القديم والقرآن الكريم فهذا الأسلوب فى الرواية عن كعب وغيره، بل وفى استخدام كلمة «راوى» نفسها إنما يرجع إلى القرن الخامس الهجرى وما بعده من قرون..

عاشراً:

إن النظامى العروضى السمرقندى - وهو باجماع الآراء - من أوثق المصادر وأقربها للفردوسى - لم يذكر شيئاً فى كتابه «جهار مقالة» عن رحلة الفردوسى إلى بغداد ولا عن تأليفه لمنظومة «يوسف وزليخا»..

حادى عشر:

إن الأستاذ عبد الوهاب عزام - بعد دراسته لمقدمة بايسنقر - وما ورد فيها من ادعاء عن سفر الفردوسى إلى بغداد يقول: «إن حديث الفردوسى ببغداد حديث خرافة وقصة مدحة وزير الخليفة بقصيدة بليغة ومدحه الخليفة بألف بيت من الشعر العربى هو كذب صريح. فليس فى مقدمة يوسف وزليخا ذكر الخليفة صريحاً أو كتابة ولا فيها ذكر بغداد أو أهلها ، وأن هذه أحاديث اخترعها الذين أرادوا أن يخلقوا للفردوسى قصة كقصص الشاهنامة»<sup>(١)</sup>.

ثانى عشر:

إن الأبيات التى وردت فى مقدمة بايسنقر بعنوان : «سبب تأليف القصة» هذه الأبيات يناقض بعضها البعض مما يجعلها موضع شك كثير . ذلك أن قائلها يذكر مرة أنه نظم قصة يوسف وزليخا بتكليف من «الأجل تاج الزمان فلك الرفة والوفاء الموفق».. وفى موضع آخر فى نفس المقدمة، يناقض هذا القول تماماً ويقول: إنه نظمها تكفيرا عن نظم الشاهنامة». فأيهما نصدق؟<sup>(٢)</sup>.

(١) عبد الوهاب عزام : مقدمة الشاهنامة : ص ٦٣ .

(٢) نبيح الله صفا : حماسة سرائى در ايران : ص ٢٨٣ - ٢٨٨ .

إن الدارس لموضوعات الشعر في القرن الرابع الهجري يلاحظ أن أغلب المنظومات السابقة على شاهنامه الفردوسى والتالية لها كانت تدور في فلك الشعر الحماسى وتستمد مادتها من تاريخ ملوك الفرس وأساطيرهم على نمط ما جاء في شاهنامه الفردوسى والدقيقى والبلخى وبهمن نامه وغيرها، وكان ذلك راجعا إلى انتشار الثقافة البهلوية التى وصلت إلى المسلمين مترجمة على يد فريق من العلماء والمترجمين المسلمين، واستيعاب المؤرخين والشعراء والكتاب لما تحويه تلك المترجمات والكتب من حكايات عن تاريخ الفرس وأساطيرهم وبطولاتهم. ويلفت النظر فى هذا المقام ما ذكره ذبيح الله صفا فى دراسته لمنظومة «كرشاسب نامه» التى ألفها الشاعر أسدى الصغير سنة (٤٥٨ هـ) من أن الشاعر قد ضمَّن منظومته - لأول مرة - إشارات إسلامية عن الأنبياء مثل هود عليه السلام. كما كتب أسدى عددا من المقدمات فى مدح الله ونعت النبى عليه الصلاة والسلام وذم الدنيا. كما ترجم بعض عبارات من القرآن الكريم وهذه الإشارات وتلك المقدمات الإسلامية هى الأولى من نوعها التى تظهر فيما ألف من منظومات بعد شاهنامه الفردوسى. فإذا كانت «كرشاسب نامه» المؤلفه سنة (٤٥٨ هـ) هى أول منظومة يظهر فيها تلك الإشارات الإسلامية فكيف لنا أن نقبل ما زعم عن تأليف الفردوسى لمنظومة يوسف وزليخا وهى - كما مرينا فى غير هذا الموضع - مستمدة من كتاب العهد القديم ومن القرآن الكريم.. فعصر الفردوسى كان عصر تأليف الشاهنامات وقصص الحماسة الإيرانية، وحتى الكتب التى تلت عصر الفردوسى فإن أغلبها يدور فى فلك شاهنامه الفردوسى ويستمد موضوعاته من قصصها وحكايات وأساطير ملوكها..

إن الشاهنامه - على الرغم من ضخامة عدد أبياتها إذا ما قورنت بعدد أبيات منظومة «يوسف وزليخا» إلا أننا مع ذلك لا نجد فيها إلا عددا محدودا جداً من الألفاظ العربية، وتلك علامة واضحة وسمة بارزة يعرفها كل من درس الشاهنامه. هذا فى حين تنتشر الألفاظ العربية فى ثنايا منظومة «يوسف وزليخا» بحيث تمثل ظاهرة واضحة المعالم ..

\*\*\*\*\*

وفى ختام هذا الفصل فإنه يمكن الإدعاء بأن هذه المنظومة التي نحن بصدد دراستها، هي من تأليف أحد رواة الشاهنامة ممن لهم دراية وخبرة ومهارة عالية في نظم الشعر، وأن هذا الراوى الماهر لطول مصاحبته للفردوسى في شاهنامته، قد وعى جيدا أسلوب الفردوسى وطريقته في نظم الشعر وعرض الأحداث وبناء الشخصيات. كما أنه قد وجد في متناول يده كما هائلا من القصص والكتب والحكايات العربية عن القصة، بالإضافة إلى كتب التفسير القرآنى المختلفة والتي كان بعضها مترجما إلى الفارسية، مثل تفسير الطبرى وهو من أجمع التفاسير لمختلف الروايات، والذي كان قد ترجم إلى الفارسية في عهد السامانيين. وكل هذه العوامل دفعت إلى نظم هذه القصة، ولم يكن اختياره للبحر المتقارب - الذى نظمت فيه الشاهنامة - ضربا من الصدفة،، ولكنه - كما أرى - كان مفروضا عليه بحكم طول تجربته مع الشاهنامة واستيعابه لأسلوب الفردوسى وطريقته فى صب القوالب الشعرية التى اختارها لشاهنامته ، هذا الراوى - قد هَوَّنَ على نفسه الأمر، وشمر عن ساعديه وأقبل على نظم هذه القصة فى نفس البحر الذى يؤكد جميع النقاد أنه لم يكن البحر المناسب لمثل هذه المنظومة الرومانسية الحزينة، وإنما كان البحر الأنسب لشعر الملاحم، والذي أحسن الفردوسى اختياره للشاهنامة، وشتان بين اختيار الفردوسى واختيار هذا الشاعر. فقد كان اختيار الفردوسى اختيار صانع ماهر مجيد لصنفته ، بينما كان اختيار هذا الشاعر اختيار مقلد أحسن الطريق مرة، وضيعه عشرات المرات. ولقد كان ما لدى هذا المؤلف من الفطنة والذكاء دافعا له على دراسة شخصية الفردوسى وحياته وسلوكه وميله إلى التشيع. فما كان منه إلا أن قدم منظومته بأبيات فى مدح النبى وآل بيته توحى لمن يقرأها بأن ناظمها كان على مذهب التشيع .. ثم إنه ولشدة تأثره بحكايات الشاهنامة، نراه فى هذه المنظومة كثيرا ما يستخدم عبارات من التى اشتهر بها الفردوسى فى الشاهنامة، مثل روايته عن «الموابذة وعن عبدة النار»..

كما أننا نستطيع القول بأن هذا المؤلف كان من حاشية الأمير طغا نشاه بن ألب أرسلان المتوفى عام (٤٨٥ هـ)، وأنه قدّم له هذه المنظومة.. وهذا الزعم الأخير قائم على ما أورده القاضى أبو نصر بن مسعود الأنوى فى كتابه «أنيس القلوب» والذي يذكر فيه أن شاعرا كان تخلصه «شمسى» نظم قصة يوسف

وزليخا في البحر المتقارب ، وسماها «يوسف وزليخا طغانشاهي» وأن الشاعر المذكور كان يعيش في العراق وكان مداحا لشمس الدولة، وقد اتخذ تخلصه «شمسي» من اسم شمس الدولة ومن أبيات صاحب «أنيس القلوب عن ذلك قوله:

ذات مرة سمعت مصادفة أنه كان بالعراق رجل  
شاعر مجيد ملقب بشمسي تحمل كثيرا من الألم في سبيل العلم والأدب  
كان قد نظم قصة يوسف الطيب الذكر كاملة<sup>(١)</sup>

هذا .. ومن الجدير بالذكر أن العالم الإيراني «برويز ناتل خانلري» قد نشر في عام (١٩٥٢م) كتابا بعنوان: قصة يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسي قرن ششم<sup>(٢)</sup> تذكر في مقدمته لهذه القصة أنها كتبت نثرا عام (٥٨٤ هـ) للأمير الغوري غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام...

وقد تبين لي بعد دراسة هذه القصة أن مؤلفها استفاد من القصة المنسوبة للفردوسي وسار على نسقها في ترتيب أحداث قصته. وننقل هنا فقرتين من أحداث القصة المذكورة ومايمثلها من القصة المنسوبة للفردوسي...

أما الفقرة الأولى: فتمثل جانبا من الحوار الذي دار بين يعقوب عليه السلام والذئب الذي أحضره أولاده من الصحراء زاعمين أنه الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام. ويقول الشاعر على لسان يعقوب موجهها حديثه إلى الذئب الذي انطقه الله بطلب من يعقوب:

(١) وديكر شنيدم كه اندر عراق يكى مرد بودست اتفراق  
يكى شاعر خوب شمسي لقب بسسي رنج برده بسلم وادب  
مزين قصة يوسف نيك نام بنظم او بكفتست بكسر تمام

أما عن كتاب «أنيس القلوب» فهو واحد من كتب نشرات «خزائن تركية» وقد نشره مجتبي مينو ضمن العدد الثالث «السنة الثانية» من مجلة كلية الآداب جامعة طهران ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، وقد نشر مينو مخطوطة للكتاب المذكور نقلا عن نسخة للكتاب بمكتبة «آيا صوفيا» رقم ٢٩٨٤، ويذكر مينو أن مكتبة جامعة طهران تحوى فيلما لهذا المخطوط هذا وقد أحضر لي أحد الأصدقاء نسخة من مجلة كلية الآداب التي تحوى نسخة المخطوطة السالفة الذكر وتبين لي من مطالعتها أن الكتاب المعنى بالذكر ألفه الأنوى سنة (٦٥٠ هـ) وفيه يتحدث عن الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى أن يصل إلى الحديث عن سيدنا يوسف عليه السلام وذلك في الورقة رقم (٤٠) من الكتاب.

(٢) قصة يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسي قرن ششم : نشر برويز ناتل خانلري طهران (١٩٥٢ م)

بپرسید یعقوب از او در زمان  
 چرا خوردی آنکام جان مرا  
 مرا آنمؤنس وغم کسار مرا  
 چه دیدی تواز من که فرزند من  
 جنین بی یسر زار بنشاندیم  
 جو بشنید کرک این سخنهای زار  
 بفرمان یزدان زیان برکشاد  
 خداوند کرده است بر ما حرام  
 نخوردیم هرگز نخواهیم خورد  
 معاذ الله ای سایه کرد کار  
 نکشتم بنزدیک فرزند تو  
 که ای بی وفاگرک نامهربان<sup>(۱)</sup>  
 مرا آن آفتاب روان مرا  
 مرا آن هوش و جان فکار مرا  
 بدا انسان کسستی بییوند من  
 زکیتی ومینو بر افشانندیم  
 زیعقوب آزرده دل فکار  
 جنین گفت کی مایه دین و داد  
 تن پاک پیغمبران والسلام  
 نگاه اندران هم نخواهیم کرد بسند  
 بسندیده پیغمبرانامدار  
 ندیدیم خود آن یک دلبند تو<sup>(۲)</sup>

و یصور ذلك المشهد مؤلف قصة يوسف وزليخا المنثورة قائلًا: -

«وجون بیش یعقوب آوردند اورا گفت<sup>(۳)</sup>: ایها الذیب فراتر آی فراتر آمد  
 تا پیش یعقوب بنشست و سردر بیش افکند. خدای تعالی اورا بسخن آورد. گفت:  
 لبیک اسرائیل الله. یعقوب گفت: چه جرم کرده بودم که با من این کردی که

(۱) منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسی؛ ص ۷۲، طهران ۱۳۴۴ هـ.

(۲) وفي الحال سأل يعقوب الذئب  
 لماذا مزقت فلبسة روعي  
 ومؤنسي وسلبواي  
 ماذا رأيت مني  
 واجلمتني حزينا هكذا بلا ابن  
 وحين سمع الذئب هذا الكلام المبكى  
 نسطق بساذن من الله  
 إن الله سبحانه وتعالى  
 لم نأكل ولن نأكل  
 معاذ الله بما ظل الله  
 إنى لم أقست سرب من ابنتك  
 أيها الذئب الجافي القاسي  
 وشمس روعي السساطمة  
 وعقلي وسكيتي وقسرائي  
 حتى قطعت ابني عن وصلي  
 وجردتني من الدنيا وامتتها  
 من يعقوب المجرع القسلب  
 وهكذا قال: يسائرند الدين والعقل  
 حرم علينا أجساد الرسل الطاهرة والسلام  
 ولن ننظر إليهم نظيرة سوء  
 وبما نبي الله المفضل  
 إننى لم أرحب بسب قبلك

(۳) يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسي قرن ششم: ، ص ۱۲، ۱۳، طهران ۱۹۵۳ م.

میگویند یوسف مرا بخوردی وبر من رحمت نکردی ومرا بسوختی؟ كرك كفت: معاذ الله يا نبی الله بعزت آن خدای كه ترا بیا فرید ونبوت داد كه من فرزند ترا نخورده ام وندیده ام ونه ازوی خبر دارم من خود دراین ناحیت غریبم. اكنون اینجا افتاده ام براه كذری. أما علمت أن لحوم الانبياء حرام علينا. هرگز بیرامون بیغمبر نکرديم مكر بتبرك..(۱)»

والفقرة الثانية ننقلها من المشهد الخاص بالحوار بين يوسف عليه السلام وزليخا زوج عزيز مصر حين دعتة إلى مخدعها لمطارحتها الهوى . ويصور صاحب يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسي ذلك المشهد قائلا: -

زليخا بدو كفت كه اى دلرباى اگريم دارى همى ازخدای(۲)  
 كناه ترا من كفارت كنم زنيكى هزاران اشارت كنم  
 بخشه همه مال وگنجم كه هست بدرويش كه توشه وتنكدست  
 بجز گنج خود گنجهاى عزيز نبخشم بدرويشى در مانده نيز  
 بنزد تو يزد داد گسر بفضلس بياموز دست اين گناه(۳)

ويصور ذلك المشهد صاحب قصة يوسف وزليخا النثرية قائلا(۴): -

«كفت يا يوسف چرا مراد من بر نياری ؟ كفت : ازبیم آن خدای كه مرا بيا فریده است وبجای نيكوى كرده . كفت : من جندان مال دارم از زر وجوهر همه ازبهر خدای تو بدهم تا ازتودر كذارد»(۵).

(۱) ومعناه: «ولما حضر امام يعقوب واقف امامه انطقه الله ، قال : لبيك يا اسرائيل الله . قال يعقوب : اى جرم صنعته حتى تفعل معى ذلك ؟ فهم يقولون أنك أكلت يوسفى ولم ترجمنى وقهرتنى. فقال الذئب: معاذ الله يا نبى الله فبمزة الله الذى خلقك واصطفاك بالنبوة لم التهم ولدك ولم أره ولا أعرف خبرا عنه . فاننا غريب عن هذه الناحية ، والآن كنت أمر عابرا من هنا . ألا تعلم أن لحوم الأنبياء حرام علينا ، ولم تقترب مطلقا من نبى إلا للتبرك».

(۲) منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسي : ص ۱۴۲

(۳) قصة يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسى قرن ششم : ص ۲۱.

(۴) قالت له يا حبيبي  
 فإني أكفرك عن ذنبك  
 أتصدق بكل ما أملك من مال وكنوز  
 وعدا كنوزي أهب كنوز العزيز  
 حتى يفسر الله المبادل  
 إذا كنت تخشي الله  
 وأريك آلاف الاشارات من الصلاح  
 علي الفقراء المعدمين  
 إلى الفقراء المساكين أيضا  
 ذنبك هذا يفسدك

(۵) المعنى: قالت يا يوسف لماذا لا تحقق مرادى؟ قال: خوفا من ذلك الإله الذى خلقنى وسوانى. قالت : إن عندى مال كثير من الذهب والجواهر انفقه من أجل أن يعفو عنك الهك».

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه الموازنة التأثير الكبير لقصة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى على ما جاء بعدها من قصص تتناول هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

وعلى هذا فإن الأدلة التي عرضناها فى هذا الفصل تؤكد أن الفردوسى لم يذهب إلى العراق ولم يؤلف قصة يوسف وزليخا ، وأنه برئ من ذلك براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.....

\*\*\*\*\*

---

(١) كتب الشاعر الصوفى أبو عبد الله الانصارى المتوفى سنة ٤٨١ هـ قصة يوسف وزليخا نثرا ولم استطع الحصول على نسخة منها.



## القسم الخامس

### عرض لأحداث القصة المنسوبة لأبى القاسم الفردوسى

إذا نحن سلمنا بما وصلنا إليه من نتيجة فى الفصل الثالث وهو أن أحد الشعراء المجهولين هو الذى نظم قصة يوسف وزليخا ونسبها بعض المؤرخين إلى الفردوسى، وأن هذا الشاعر قد نهج أسلوب الفردوسى فى نظم الشاهنامه وسار على منهجه فى بناء الشخصيات وترتيب الأحداث فإننا نزعم أن هذا الشاعر قد نهض لنظم قصة يوسف وزليخا بعد أن درس عناصرها المتعددة ومواقفها المختلفة التى يتسع فيها مجال الشعر وتصلح منطلقا لخيال الشعراء.

وقد حرص هذا الشاعر - كى يكسب المنظومة نوعا من الحكمة القصصية الشعرية - على الالتزام بترتيب القصة كما وردت فى القرآن الكريم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فقد كان ينظم المواقف القصصية التى تذكر فى تفسير الآيات ملتزما ترتيب الأحداث، كما أوردها القرآن الكريم.. لقد سعى إلى استيعاب كل الأحداث التى وجدها عن يوسف سواء فى القرآن الكريم أو التوراة أو كتب التفسير المختلفة، فجمع كل شئ عن حياته منذ مولده حتى وفاته وضمه منظومته. والواقع أننا نجده يتناول قصة يوسف باستيعاب شبيه بذلك الاستيعاب الذى سار عليه الفردوسى فى الشاهنامه..

ولقد بدأ هذا الشاعر المجهول منظومته بالحديث عن الله وقدرته فى خلق الموجودات والكائنات والحياة والموت. ثم اتبع ذلك بأبيات فى مدح الرسول ﷺ، مؤكدا بذلك براعته فى استهلال هذه القصة الدينية، ومحاولا اضماء نوع من

الجلال الدينى الذى يتناسب وموضوع القصة ومنزلتها فى القرآن الكريم، ومن هذه الأبيات قوله: -

محمّد رسل ونبى  
فهو سيّد من نسب آدم  
منذ أن خلق الله هذا العالم  
كمثل محمد عليه السلام  
منحه الله هذه المنزلة  
ويجد ربنا الإقتداء بمحكم سنته  
ويجب اتّباع أقواله  
أنا عبد لأهل بيت النبى  
ولا شأن لى بالأخريين  
فلا تلتفت إلى إيذائهم  
وهو أشرف الرسل أجمعين<sup>(١)</sup>  
والعالم سعيد بدينه الحنيف  
وأوجد فسيد فيه كل شىء  
لم يظهر شخص من عامة الناس وخاصتهم  
فعلينا أن نتعلم منه العقيدة والشريعة  
فلا مدوح عند العقل سواء  
ويجب البحث عن سائر أفضاله  
ومدّاح لتراب قدم الوصى  
ولا التقي معهم فى طريق  
فإن إيذائهم يوردك النار

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى مدح الملك الذى قدم إليه المنظومة ويسميه «بادشاه إسلام<sup>(٢)</sup>» ولى ذلك فصل فى بيان فضل بنى آدم على الحيوان ينتقل الشاعر بعده إلى الحديث عن سبب نزول سورة يوسف عليه السلام وفى ذلك يقول:

(١) محمد رسول ويهفمبير ست  
كه او سيهد از تخمه آدمست  
همى تا خدا اين جهان آفرين  
بحق محمد عليه السلام  
كسى كس دهد ايزد اين بايكاه  
بى فرخ او كسرفستن سوزد  
از كسفت بايد سخن سر بسير  
ملم بنسده اهل بيت نبى  
ابا ديكران مرمرا كارنيسست  
از آزار شان تسورخ را بستاب  
زيهفمبيران ذكر بهتر ست  
كه زدين بسا كشى جهان خرمست  
از وصفها كرد يكسر بنديد  
نيامد بنديد او همه خاص وعام  
از اوي بايد آمبوخت آنسين وراه  
ستتسوده ازا ونسوزد خسرد  
وزوجست بايد هنردر بسير  
ستسايننده خساك بساى وصى  
بد يشان مرا راه ديدار نيسست  
كه آزار شان دوزخ آرد تسواب

(٢) يتحدث صاحب كتاب «أنيس القلوب» المؤلف (٥٦٠ هـ) عن قصة يوسف وزليخا المنظومة فى البحر المتقارب ويسمىها «يوسف وزليخا طغانشا هي» ويقول إن ناظم تلك القصة كان تخلصه شمسى لأنه كان مداحاً =

والآن أيها العاقل العالم      انصت إلى مرة بقلبك وعقلك وذكائك  
ومن البداية استمع منى عن سبب      نزول السورة من عند الله  
سمعت من كلام العلماء      ذوى العقول الراجحة والبلاغة الواضحة  
أنه ذات يوم كان الرسول الكريم      فى بيت على الوصى (١) (٢)

ويذكر الشاعر بعد ذلك أن جبريل أبلغ النبي عليه الصلاة والسلام بالأحداث الدامية التى ستقع للحسن والحسين وأنها سيظلمان كما ظلم أبناء يعقوب شقيقهم يوسف. وتطالعنا بعد ذلك أبيات فى الموعظة والاعتبار.. يشكو فيها الشاعر من شيخوخته وكيف غزاه المشيب وسرقت منه يد الدهر المسك ونثرت مكانه كافوراً يابساً وأنه لهذا أقدم على نظم قصة من كلام رب العالمين فليس هناك كلام أفضل منه.

هذا... وإذا كان الشاعر قد اعتمد فى مقدمته السابقة على كتب التفسير فإنه يعتمد فى القسم الذى يليها من المنظومة على ما ورد بشأن القصة فى التوراه.. فنحن نراه بعد ذلك وقد بدأ بالحديث عن الأنبياء منذ خلق الله إبراهيم ورزقه اسماعيل عليهما السلام وتدرج فى الحديث عنهما حتى وصل إلى الحديث عن يعقوب.. ويتصل حديث الشاعر عن أسرة يعقوب حتى تبلغ أبياته فى ذلك

= لشمس الدولة طغانشاه بن الب أرسلان وعليه فإن الملك المقصود فى هذا البيت ربما يكون شمس الدولة طغانشاه بن الب أرسلان، وكانت عاصمة ملكه هراة، وقد ولى هراة عدة أعوام، مرة فى عهد أبيه الب أرسلان ومرة فى عهد أخيه ملكشاه السلجوقى (٤٦٧ هـ).

نقلا عن أبو نصر مسعود الأنوى «أنيس القلوب»، صورة من نسخة آيا صوفيا، نشر مجتبى مينو، انقره ١٩٦٠م

(١) كنون أى خرد مند دانش بندير      يسكى سوى من دل وهوش ودير  
از آغاز بشنوکه جون بد سبب      كه اين سورت آميد زبزد ان رب  
شنيدم ذكفتان دانشوران      خرد يروران وسخن كستران  
كه يك روز بيهمه ابطحى      بد اندر سراى على الوصى

(٢) تعتقد الشيعة الإمامية أن الله سبحانه وتعالى لا يغلى الأرض من حجة على العباد من نبي مشهور أو غائب مستور وفى رأيهم أن النبي نص و أوصى لعلى، وأوصى على إلى ولده الحسن، وأوصى الحسن أخاه الحسين، وهكذا إلى الإمام الثانى عشر المهدي المنتظر، وأن هذه سنة الله فى جميع الأنبياء. محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصول الشيعة وأصولها : ص القاهرة ١٩٥٨ م

أربعمائه وثمانية وخمسين بيتا ومنها نعرف أن يعقوب كان توأما لأخ آخر «عيسا» وأن عيسا كان مفضلا عند والده اسحق في حين كان يعقوب محبوبا لدى أمه وكان بين الشقيقين عداوة شديدة بعد أن اشترى يعقوب الباكورة من عيسا وحصل بذلك على ضعف ميراثه من أبيه ثم استعرت نار العداوة واشتد لهيبها حين احتال يعقوب على والده الذي كان ضريرا وجاء له في هيئة عيسا وقدم له القربان وحصل بذلك على بركته التي كانت من حق عيسا.. وحينما جاء عيسا إلى والده فوجئ بما حدث من أخيه يعقوب وضياع البركة عليه - وهذا الوالد من روع الابن الفاضب الهائج ونصحه بالاحسان إلى أخيه، إلا أنه لم يكثرث بنصيحته وراح يعلن في كل مكان أنه سوف ينتقم من يعقوب بعد موت أبيه.. ونمضى مع الشاعر وهو يتحدث عن خوف يعقوب وشكواه لأمه من جبروت عيسا فتصحه الأم بالهرب عند خاله بالشام.. وفي بيت خاله لا بان «بالشام» يواصل يعقوب العمل والعبادة.. وتمر عليه سنوات سبع ثم يهبط الوحي عليه باصطفائه للرسالة وأن عليه أن يتزوج بعد أن اصطفاه الله وذريته لخدمة الدين الحنيف.. ويمتثل يعقوب لأمر الله فيطلب إلى خاله لابان أن يزوجه ابنته راحيل بعد أن اشتعلت نار حبها في قلبه وأثار ضياؤها حياته ونفسه ويستجيب الوالد الحنون لذلك مقابل أن يعمل يعقوب في خدمته سبع سنوات.. وتمضى السنوات السبع في جهد وعمل مستمرين فيقصد يعقوب بيت خاله ويطلبه بتنفيذ وعده ويتم الزواج. لكن يعقوب يفاجأ صباح يوم العرس أن خاله احتال عليه وزوجه ابنته الكبرى ليا بدلا من راحيل.. وتملأ الحيرة نفس يعقوب فيسرع إلى خاله «لا بان» يستوضحه الأمر، وبعد أن يوضح له خاله «سبب تزويجه «بليا» مكان «راحيل» يتفقان فيما بينهما على أن يعمل يعقوب لحساب خاله سبع سنوات أخرى مقابل تزويجه «براحيل».. وتمر السنون السبع من العمل المتواصل ويتزوج يعقوب من «راحيل» ويرزقه الله من الأختين ومن جاريتيهما «زلفا» و«بليا» كثيرا من الأولاد... إلى أن يشأ الله بولادة يوسف من راحيل.. ونمضى مع يعقوب في رحلة العودة إلى أرض كنعان - بعد أن أمره الله على لسان جبريل عليه السلام - بأن يحمل أسرته ومتاعه إلى أرض كنعان... وبعد أن أقام مأتما كبيرا حزنا على وفاة «راحيل» - التي ودعت

الدنيا وهى تلد بنيامين - وهكذا وجد يعقوب نفسه مضطرا لأن يدع ولده يوسف عند أخته لتتولى رعايته والاشراف عليه، فقد كان يؤثره بحبه على بقية إخوته... ولكنه مالبت بعد فترة - عانى فيها ألم الفراق - أن طلب يوسف من أخته مرة أخرى - بعد أن أدرك أنه لا يطيق البعد عنه. ولكنها دبرت حيلة لاستيقائه فلقت خصره بمنطقة كانت تملكها أسرة يعقوب منذ القدم وأحكمت لفها عليه دون أن يشعر.. وكان العرف فى ذلك العصر يقضى بأن يسترق السارق عامين متواليين فتمكنت عمته بهذه الحيلة من استعادة طمأنينتها عامين آخرين وسعد قلبها برؤية يوسف فترة أخرى من الزمن.. ونمضى مع الشاعر نتتبع حياة يعقوب وما سيحل به من هموم وأحزان فالرسل كما يرى الشاعر - قد لحق بكل منهم غير قليل من الشدة والألم وتتوعدت أسباب هذه الآلام وتلك الشدة:

كان هناك رسولان من رسل الله      كان بكأؤهما أكثر من الآخرين  
الأول آدم أول الأنبياء      وكان الآخرون من نسله  
إنه بكى مائتي سنة على التوالى      وأمطر الدموع كسحاب الربيع  
أما الثانى فكان يعقوب النقى الذكى      الذى بكى طيلة أربعين سنة<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

ويذكر الشاعر نقلا عن كتب القصص القرآنى قصة حول سبب البلاء الذى سيحل بيعقوب وهو أنه ذات يوم انتهى شواء وكان عنده بقرة ذات وليد فذبح يعقوب الوليد أمام عينها مما كان سببا فى غمها وحزنها، فعاقبه الله على قسوته بفقد يوسف وبيعه عبدا. وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى الحديث عن رؤيا يعقوب عليه السلام والتي كانت بمثابة النذير لما سيحل به وبأسرته من هموم وأحزان حيث رأى عشر ذئاب يلتفون حوله ويندفع من بينهم ذئب شرس يخطف يوسف من حضنه ويحمله إلى مكان بعيد لا يعلمه إلا الله. ونمضى مع الشاعر من رؤيا يعقوب وما تحمله من نذير وفأل سيئ مأ قلبه بالهم والخوف إلى رؤيا يوسف

(١) دويدند بيغمبر كرد كار      كشان بد گرسنتن فراوان بزار  
نخست آدم آغاز بيغمبران      كه بود نسدازنسل او ديگران  
دومند ساله بيوسته گرينده بود      جوابريهارا شك بارنده بود  
دگر بود يسمقوب ساكيزه دل      كه بگريست بيوسته سالي جهل

الأولى... ويفرد لها الشاعر ما يزيد عن العشرين بيتا يصف فيها كيف أنه واخوته قد غرسوا إحدى عشر غصنا في الصحراء وأن كل واحد من الأغصان العشر انحنى راکما أمام غصن يوسف. ولما سمع يعقوب رؤيا يوسف سعد بها ونصحه أن لا يبلغ إخوته بمضمونها لكن يوسف ومع مطلع الشمس يذهب إلى إخوته ويحكي لهم رؤياه رغم تحذير الأب بالألا يفعل ذلك. وانقضت على هذه الحكاية سنة «وذهبت رؤيا يوسف تلك كأنها أكلوبه.. وكلام أجوف».. ومع مطلع السنة الجديدة يرى يوسف رؤياه الثانية ومفادها بأنه كان يعمل في الحطب مع إخوته العشر وبعد أن ربط كل واحد منهما حملة ووضع فوق رأسه فجأة أزهز حمل يوسف ونبتت فيه الزهور والرياحين وخرت أحمال إخوته ساجدة أمام حملة. ومرة ثانية لا يسمع يوسف نصيحة الوالد وينطلق مع مطلع النهار صوب إخوته الحاقدين الحاسدين فيبلغهم برؤياه الثانية فتضيق روحهم من تلك الرؤيا التي كانت تليق بالملوك ويتجدد عداؤهم ليوسف.. وجرى ماء الحقد في الجدول مرة ثانية ومضى عام آخر ازداد فيه حسن يوسف وجماله حتى أصبح محسودا من الشمس والقمر والكواكب.. وذات ليلة رأى يوسف رؤياه الثالثة «الأحد عشر كوكبا» التي أوردها القرآن الكريم وراح الأب الحنون يحذر ولده من كيد إخوته وينصحه بأن لا يبلغ إخوته بهذه الرؤيا وينبئه بما سيكون عليه من شأن عظيم.

ومع الحديث عن هذه الرؤيا يسير الشاعر بأحداث قصته طبقا للمنهج القرآني.. ثم ينتقل بنا إلى لوحة أخرى نرى فيها الإخوة وقد اجتمعوا يتذاكرون أمرهم وينفثون سموم حقدهم فيما بينهم، بعد أن أبلغهم يوسف بأمر رؤياه، فأجمعوا أمرهم فيما بينهم على الخلاص منه.. ولتنفيذ ذلك يتوجه الإخوة الضالون إلى أبيهم يسترضونه بمعسول القول وكاذب الحديث ليسمح لهم باصطحاب يوسف إلى الصحراء. ويرفض الأب في البداية خوفا على ولده من أن يأكله الذئب.. ورغم فشل الطفمة الفاسدة في اقناع الوالد باصطحاب يوسف إلى الصحراء، إلا أنهم لم يياسوا.. وتوجهوا إلى يوسف وأغروه بالخروج معهم.. وأمام الحاج يوسف على الأب المسكين يوافق في النهاية على خروجه معهم بعد أن أوصاهم بالمحافظة عليه. وراح هؤلاء الإخوة يتوددون إلى يوسف إلى أن ابتلعهم

الصحراء بعيدا عن أنظار الأب المسكين وهناك كشروا عن أنيابهم واستمروا فى إلحاق ألوان الأذى والتعذيب بهذا الطفل الضعيف. وتذهب توسلات يوسف لهم أدراج الرياح. ويعمل الشاعر خياله الخصب ليرسم لنا لوحة معبرة ومؤثرة يظهر فيها يوسف متوسلا ومستعطفا اخوته ليرحموه من العطش وألوان العذاب والمهانة التى استمروا واحدا وراء الآخر فى إلحاقها به.. ويسهب الشاعر فى وصف مناظر هذه اللوحة حتى يبلغ عدد أبياتها ما يزيد على مائتى بيت. نختار منها قوله:

فهرع إلى روبيل وقال له      إن روحى بلفت شفتى  
وقد ماى منهكتان وقلبى مضطرب      وسقط قلبى وتورمت قدمى<sup>(١)</sup>

وبعد وصف مسهب لهذا اللوحة ينتقل الشاعر بعدها إلى الحديث عن يوسف فى قاع البئر، بعد أن أجمعوا أمرهم على التخلص من يوسف بالقائه فى البئر.. وفى داخل البئر يهبط جبريل ويحتضن يوسف ويحول خوفه وهلمه وجزعه إلى أمن وطمانينة، حيث بسط بأمر الله جناحا فاتسع ذلك البئر وتحول ليله الحالِك إلى نهار مضئ وألبسه حلة من الجنة وأطعمه وسقاه من طعام الجنة... ويخرج الشاعر من هذا الموقف بتقديم عظة استقاها من تاريخ آل يعقوب يقول فيها<sup>(٢)</sup>:

كل من يكن مع رب العالمين      أثناء شدة الروح ومحنها  
تكن عاقبته هكذا      فوجه قلبك إلى هذه الحكاية  
فإبراهيم الذى كان خليل الله      انك قد سمعت فى تلك القصة المبهجة  
أن نمرود الذى صنع له نارا محرقة      عندما القاه فى النار

(١) بن زديك روبيل دويد      بدوكفت جانم سوى لب رسيد  
نه بايم درستت ونه دل بجاي      فتاده دل وأبله كشته باى

(٢) تعكس هذه الفقرة لمحات صوفية يتحدث فيها الشاعر عن نقاء السريرة وصفاء النفس وضرورة ارتباط الروح بخالقها فى لحظات الشدة والمحنة... ثم هى من جهة أخرى تعكس براعة الشاعر ومقدرته الفنية فى خلق نوع من الربط لاثبات قدرة الله على تغيير أحوال عباده المخلصين من الشدة إلى الفرج ومن ألمس إلى اليسر. ويذكر الشاعر أمثله أخرى على تكريم الله لأنبيائه المخلصين. وضرب لنا مثلا بإبراهيم خليل الله واسماعيل عليهما السلام.

فی ذلك المسکنان ربط إبراهيم قلبه بالله باخلاص<sup>(۱)</sup>

ونترك يوسف مع جبريل في البئر ونعود مع الشاعر إلى بيت يعقوب وهناك نقابل أبناء يعقوب عائدين في المساء إلى أبيهم ومعهم قميص لطحوه بدم كذب وفي عيونهم دموع التماسيح. وأدرك يعقوب بقلب النبي الطاهر ما حل بيوسف.. وينفجر قلبه في بكاء وأنين أهاج مشاعر الرفق والرثاء في قلب الشيطان وسيطرت على نفسه سحب الكآبة والحزن حتى أن الحجر تقطر منه الدم من شدة تأثره وراح يعاتب القميص لعودته وحده بدون حبيبه يوسف ونسمعه يقول له:

- هكذا قال أيها القميص الجافى إنك لم تخرج من عندي وحدك<sup>(۲)</sup>

ويمضي يعقوب مجادلاً بنيه العشرة بعد أن رفض عقله وقلبه ما ادعوه من زيف الحديث.. إذ كيف مَزَّقَ الذئب جسد يوسف بأسنانه وكيف بقى القميص سليماً كأنه حيك من جديد، وإذا كان يوسف عارى البدن وقد خلع قميصه عن جسده فكيف وصل هذا الدم إلى القميص.. ويخجل الإخوة العشرة من كذب دعواهم أمام الأب المسكين ويصبح لامفر من إحضار الذئب الذي مَزَّقَ جسد يوسف وهم عنه غافلون.. وانطلق الجميع إلى الصحراء وصادوا ذئباً ولوثوا فمه ومخالبه بالدم واحضروه إلى يعقوب بزعم أنه هو الذي أكل يوسف؛ ويتوجه يعقوب بالدعاء إلى خالقه العظيم أن ينطق الذئب ليقف منه على حقيقة ما حدث.. واستجاب القادر الكريم لدعواه فأسرع يعقوب إلى سؤاله ومحاورته، وفي هذا الحوار يذكر الذئب ليعقوب أنه ذئب غريب أقبل من الشام إلى كنعان بحثاً عن صغيره وأن إخوة يوسف اصطادوه لينسبوا إليه هذه الفرية.. فلم يجد يعقوب بداً من الصبر والدعاء لهذا الذئب بالمغفرة وأن يعيد الله إليه ابنه.

---

(۱) هر آنکو بود باخدای جهان  
بدینگونه باشدش فرجام کار  
براهیم گوید خلیل خدای  
که نمرد کان آتشی ساختش  
براهیم رانید آن جایگاه  
جنین گفت کای بیوفا بهرهن

بهنکام سختی و آسیب جان  
یکی دل براین داستان برکمار  
شنیدی در آن قصه دلکشای  
در آنکه که بر آتش انداختش  
باخلاص دل بستته شد با اله  
نه تنها بیرون رفتی از پیش من



وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى بيت أقامه يعقوب واعتزل فيه عن الناس واسماه (بيت الأحزان)... ثم يعود الشاعر إلى تتبع ما حدث ليوسف بعد اخراجه من البئر على أيدي رجال إحدى القوافل العابرة بالصحراء واختلاف أهل القافلة حول شخصية يوسف ومن يكون إلى أن يعم ضياء يوسف وريحه المسكية منطقة البئر وما حولها حتى يبلغ مراعى أولاد يعقوب فيهرعون إلى حيث مصدر الضياء ليقفوا على حقيقة الأمر... ولما رأوا يوسف بين يدي مالك وجماعته أمطروه بسبابهم ولعناتهم مدعين أنه عبدهم وأنه هرب منهم، وقالوا لمالك أن به ثلاث عيوب فاحشة تفزع قلوب الخلائق منها: أنه دائم الهرب، وكاذب، ولا يكف عن البكاء، فمن ذا الذي لا يغضب منه... وتجرى المساومة على ثمنه بينهم وبين مالك وتتم الصفقة الخاسرة ويصبح يوسف عبدا بعد أن وَقَعَ اخوته على صك العبودية «البيع» لمالك ذعر.

\*\*\*\*\*

ويذكر الشاعر بعد ذلك أن يوسف عليه السلام بعد أن أدرك أن الأمر قد ضاق عليه من كل ناحية، توجه إلى مالك ذعر واستأذنه في أن يسلك الطريق إلى البئر لوداع اخوته، رغم ما حل به من قسوتهم وظلمهم... فيقوده إلى موضع البئر عبد زنجى بعد أن قيده بالأغلال الثقيلة القاسية. وبعد ذلك يصف الشاعر لنا موقف الوداع بين يوسف واخوته في خمسين بيتا يعاتبهم فيها على قسوتهم عليه وبيعه بدراهم معدودة. وينتهي العتاب بين يوسف واخوته.. وتيمم القافلة وجهها صوب مصر. وفي الطريق يمر يوسف على قبر أمه ويشكو لها ما حدث من اخوته وكيف اهانوه... وتكتشف القافلة غياب يوسف عند قبر أمه فتبعث أحد عبيدها خلفه، فيجده عند قبر أمه ويصفعه صفة ارتعدت من قوتها ملائكة السماء وهبط عليه جبريل يسأله أن يشق الأرض على هذه القافلة فتبتلعها... لكن يوسف أبى أن يوافق على الانتقام وآثر الصفح والغفران.. وحينما بلغت القافلة مشارف مصر وأصبحت على مقربة من النيل طلب مالك من يوسف أن يستحم في ماء النيل - وبأمر من الله العادل خرجت سمكة كبيرة من الماء وحالت دون رؤية الخلائق جسد يوسف الطاهر «وكان فوقه قبه من النور جاءت من عند الله

العزیز<sup>(١)</sup>، فرأى كل أهل مصر وما حولها نورا مثل نور الشمس<sup>(٢)</sup>.. ثم أحضر جبريل الأمين ثيابا من الجنة ليوسف فزادته حسنا على حسنه مما أوقع مالك بن زعر في حيرة من أمره فقد رآه في ثياب غير التي أعطاهها له<sup>(٣)</sup>. ومع الشاعر ننتقل إلى ساحة العرض التي ازدحم فيها أهل مصر للمزايدة على ثمن يوسف وتبارى الجميع في رفع ثمنه. ولكن عزيز مصر ضاعف ثمنه مرة واحدة. وحين تمّ البيع أراد مالك بن زعر أن يفوز بتاج يوسف الذهبي، لكنه حين مد يده لياخذ التاج من فوق رأسه<sup>(٤)</sup> شلت يده في مكانها بأمر الله وانكسرت عظامه من الخوف وأخذ يبكي ويولول واستغاث بيوسف طالبا منه أن يدعو الله أن يشفي يده، فلما استجاب الله دعائه رفض أن يتقاضى في يوسف من العزيز أكثر مما دفعه لاختوته قبل ذلك... وحمل العزيز يوسف إلى بيته وأوصى امرأته زليخا<sup>(٥)</sup> به خيرا فوجهت همتها لرعايته والسهر على راحته بصورة فاقت كل الحدود...

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى الحديث عن بلوغ يوسف واكتمال نضجه مما لفت نظر زليخا وحول قلبها إلى عشقه ومن ذلك قوله:

فاعلم أنه اشتد عوده وبلغ مبلغ الرجال جديرا بتاج الملوك<sup>(٦)</sup>

لكن عشق زليخا ليوسف واهتمامها الزائد به لم ينسه والده المكلم، فكان يوسف يخرج كل أسبوع إلى الطريق المؤدية إلى كنعان أملا في لقاء من يستفسر

(١) ببلا لا يكي قلبه از نور نيز \* بيامهد بتقد يرب عزيز

(٢) همه مردم مصر وأن بوم وير يكي نور ديند جون نور خور

(٣) يقدم الثعلبي في كتابه «قصص الأنبياء» وصفا لرحلة يوسف إلى مصر قائلا: إن مالك زعر كان يسمع تسليم الملائكة على يوسف صباح ومساء وهو في طريقه إلى مصر وأنه كان ينظر فيرى غمامة بيضاء تظله وتصير فوق رأسه وتقف على رأسه إذا وقف (الثعلبي: قصص الأنبياء ص ١٢٤) ومن ذلك يتضح أن شاعرنا قد نقل هذه الصورة الوصفية من الثعلبي وغيره من كتب التفسير وقصص الأنبياء... وفي فقرة أخرى يقول الثعلبي: فلما قدموا إلى مصر أمر مالك يوسف أن يفتسل فأغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع». (المرجع السابق ص ١٢٤ وما بعدها...)

(٤) بفرمان يزدان شددش خشك دست زيمش همه استخوانها شكست

(٥) لم يرد ذكر لا سم هذه المرأة لا في القرآن ولا في التوراه لكن روايات المفسرين تطلق عليها أسماء مختلفة فمرة تسميها «راعيل» أو زاحيل أو امرأة فوطيفار «أو» امرأة سيده «كما في التوراه وامرأة العزيز كما جاء في القرآن الكريم، وكتب أخرى تسميها «زليخا» وهو الاسم الذي اشتهرت به في أغلب كتب القصص...

(٦) جنان دان كه بالغ شد ومرد شد بتاج كيان سسخت در خورد شد

منه عن أبيه... وتصادف أن التقى يوسف بأعرابي قادم من كنعان فسأله عن أحوال يعقوب فأخبره بأن يعقوب يقيم في بيت الأحزان لا يكف عن البكاء «فقد كان له ابن جميل كان يتعلق به ويهواه صباح مساء وقد أكل الذئب ذلك الابن فاضحى يعقوب حليفا للألم والأسى» ولما عرف يوسف أن أباه قد كف بصره من كثرة البكاء عليه اطلع البدوي على حقيقة أمره وحمله رسالة إلى يعقوب يشرح له فيها كل ما ألم به. ويعود يوسف إلى بيت العزيز فيجد زليخا وقد تهيأت لاستقباله ومطارحته الهوى، لكن يوسف الطاهر الدين ينصحها بالاقلاع عن المعاصي فهي تعرض المرء لغضب الله من ناحية، ولسيف الملك من ناحية أخرى. ولكن زليخا لم تقتنع بكلام يوسف ولم تأبه لنصحه ووعظه وباحت في نهاية الأمر لمريبتها بدفين سرها. ونصحتها المريية بالعمل بأمرين : أولهما أن تصبر عاما آخر وثانيهما أن تأمر بقدر من الذهب وذلك لكي تبنى لها قصرا وتكسو جميع جدرانه الداخلية وسقفه وأرضه بالمرايا، كي تظهر صورتها أمام يوسف في كل اتجاه.

ولما انتهى بناء القصر، طلبت ألمريية من زليخا أن تلبس ثوبا شفافا تسلب به لب يوسف.. ويبين الشاعر كيف استدعت زليخا يوسف وكيف أخذت تستعرض جمالها أمامه، وأنه كان يدير وجهه في اتجاه آخر فيرى صورتها في كل صوب.. وعادت تبين له أنها على استعداد لأن تُكفّر عن خطيئته، فعندها من الأموال والكنوز ما لا يدخل في عداد الحصر، وعندما كاد يتقلب هوى يوسف على عقله إذا بيد تمتد من ركن القصر وتشد أذنه وقد كتب عليها بوضوح: إن خالق الكون يراك.. ولما لم يتنبه يوسف ظهر له جبريل من أحد الأركان في صورة يعقوب الطاهر وقال ليوسف: يا كنز الحكمة احفظ جسدك من النار واصغ إلى يعقوب الحزين ولا تصفر وجهي بهذا الاثم، فارتعد يوسف وولى هاريا<sup>(١)</sup>... وحاولت

(١) يبدو تأثر الشاعر هنا بما ورد في كتب التفسير وقصص الأنبياء من اسراييليات في مسألة الهم والشاهد ونقل هنا فقرة مما أورده الفيروز ابادي في تفسيره يقول: «وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب الرحمة وصرف الفاحشة عنه فاختلوا فيه فقيل مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال آخرون.. انفرج سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه. وقال آخرون: لما جلس يوسف من المرأة مقعد الرجل من امراته إذا كف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم ومكتوب عليها «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله» - فقام يوسف هاريا وقامت راعيل وراءه وأتبعته فادركته قبل خروجه من الباب فجذبتة بقميصه من قبل ظهره فقدت قميصه والذى سيدها وهو زوجها اطفير جالسا عند الباب مع ابن عم راحيل «محمد بن يعقوب الفيروز ابادي: تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : ص ٦١.

زليخا الامسك به فقدت قميصه من دبر فأظلت الزمام من زليخا وأخبرت العزيز أن يوسف حاول الاعتداء عليها وهي فى خلوتها وطلبت منه أن ينزل به من العقاب ما هو جدير به... ويبين الشاعر كيف انطق الله طفلا رضيعا ببراءة يوسف مجريا على لسانه قوله تعالى: «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين» فأسرع العزيز فى الحال وتفحص القميص فتأكد من براءة يوسف ولام زليخا على خزي صنيعها.. لكن زليخا حاولت الدفاع عن نفسها مدعية أن يوسف قد استعان على إثبات براءته بالسحر.. فانطق ذلك الطفل الرضيع لإثبات التهمة عليها... وينتهى الأمر بافتضاح أمرها لدى زوجها وأمام نساء مصر.. وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف الاحتفال الذى اقامته زليخا لنسوة مصر بهدف الانتقام منهن بعد أن لاكت السننهن ما حدث بينها وبين يوسف ومراودتها له ثم تمنعه وهروبه منها. وينتهى الاحتفال على نحو ما جاء فى القرآن الكريم «وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» إلا أن الشاعر يأبى إلا أن يضيف من خياله الشعرى صورة أخرى ترى فيها زليخا وهي تعترف لنسوة مصر بعشقتها وولها ليوست طالبه» عونهن على استمالة يوسف لمبادلتها الحب والعشق... ويتجه وفد النسوة إلى يوسف فى محاولة لاقتناعه بما طلبت زليخا بل انهن حاولن استمالاته إليهن، لكن يوسف نصحن بالاقلاع عن هذه المحاولات مبينا لهن أن قلبه معلق بريه.. وعاد الوفد يجر أذيال الفشل والهزيمة ولم يكن أما مهن إلا أن يطلبن من زليخا أن تجعل من السجن مقرا ليوسف عسى أن يتحول قلبه إليها بعد العناء الذى يلقاه فيه... وفكرت زليخا فى خيلة جديدة تكون مبررا لإدخال يوسف السجن، فاتجهت إلى رفيقاتها لينصبن معا شركا للايقاع بيوسف... فما كان منها إلا أن مزقت ثيابها وأخذت تصرخ وتولول وأسرع العزيز إليها سائلا عن سبب ذلك، فازدادت صراخا وهياجا وادعت أن يوسف حاول الاعتداء عليها مرة أخرى واتهمت العزيز بالتقصير فى حقها، خاصة وأن عندها من شهد على صدق أقوالها... ولما سمع العزيز شهادة النسوة استشاط غضبا وأمر من فوراه بالقاء يوسف فى السجن... ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن حب السجناء ليوسف

وثقتهم فيه لما رأوا فيه من طيبة وخلق كريم وحب للخير وعبادة دائمة للواحد القهار.

وتصادف أن دخل معه السجن فتيان : هما ساقى الملك وصاحب طعامه.. وذات ليلة رأى الأول فى منامه أنه يعصر للملك خمرا والملك يشرب من يده ولما قص على يوسف هذه الرؤيا بشره يوسف بقرب خلاصه من السجن وبعودته إلى سابق منزلته عند الملك. ورأى الثانى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه.. وفسر له يوسف ذلك بأنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه. وحاول الأخير التتصل من هذه الرؤيا إلا أن يوسف أجابه بأن الأمر قد انتهى: جرى قضاء الله بهذا.. ولا فائدة الآن من الكلام.. ثم طلب يوسف من الساقى أن يُذكَرَ الملك بأمره.. وهنا يبعث الله بجبريل معاتباً يوسف على توجهه بطلب العون من مخلوق مثله.

وهكذا مكث فى السجن سبع سنوات إلى أن هبط عليه جبريل مرة أخرى وبشّره بقرب الخلاص وبلوغ أعظم الآمال.. والشاعر هنا يبدو متأثراً بما ورد فى كتب التفسير حول مدة سجن يوسف<sup>(١)</sup>.

---

(١) من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين فى مدة سجن يوسف وفى سبب لبثه فى السجن بضع سنين وذلك عند تفسير قوله تعالى : وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين آية ٤٢ .

قد ذكر ابن جرير والثعلبى والبنوى وغيرهم أقوالاً كثيرة فى هذا ، فقال وهب بن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وعذب بختصر فحول فى السباع سبع سنين «وقال مالك ابن دينار: لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك وقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلاً لأطيلن حبسك فبكى يوسف، وقال يارب انسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة ولن اعود. وقال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول من خلقك قال الله عز وجل، قال فمن حببك إلى أبوك ؟ قال الله، قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله، قال، فمن نجاك من البثر قال الله، قال فمن صرف عنك سوء الفحشاء؟ قال الله، قال : فكيف استشفعت بأدمى مثلك ؟ فلما انقضت سبع سنين جاءه الفرج من الله فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة وعجز الملأ عن تفسيرها وتذكر الساقى يوسف.

ويعلق محمد ابو شهبة على ذلك بقوله : وأغلب الظن عندى أن هذا من الاسرائيليات، فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل كلمة قالها فالبلاء بالسجن للانبياء ليس عقوبة وإنما هو لرفع درجاتهم وليكونوا أسوة وقدوة لغيرهم. ونقطة أخرى وهى تفسير البضع فالبضع من الثلاث إلى التسع أو إلى العشرين من غير تحديد للمدة فجائز أن تكون سبعا وجائز أن تكون تسعا، وجائز غير ذلك ما دام ليس هناك نقل صحيح عن الرسول..

محمد ابو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير: ص ٢١٥ ومابعدها - القاهرة ١٩٧٢م

وصدق الله وعده ليوسف وذلك حين رأى ملك مصر رؤياه الشهيرة والتي يتحدث عنها الشاعر متتبعا في ذلك المنهج القرآني الكريم. فالملك يرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرياسات. ثم يطلب من المفسرين تأويل رؤياه، ولكنهم عجزوا عن فهم مفزاها، وانتهى تعبیرهم إلى اعتبارها أضغاث أحلام وما هم بتعبير الأحلام بعارفين.. وهنا يتذكر الساقى يوسف ومهارته في هذا الباب، فيسرع إليه بأمر الملك.. وفي السجن يعبر يوسف الرؤيا للساقى تلك التي سبق وأن أعلمه جبريل الأمين بشأنها ومفزاها. فعاد الساقى إلى الملك وأعاد على مسامعه تأويل يوسف. فأمر الملك باحضار يوسف من السجن.. لكن يوسف رفض الخروج من السجن قبل أن تظهر براءته، ويتأكد الملك أن ما نسبته زليخا ونسوة المدينة إليه محض افتراء. وبعد أن وقف الملك على جلية الأمر، أمر فأحضر يوسف على عربة ملكية مذهبة وفي معيته عليه القوم، وأحسن الملك استقباله واستجاب لطلبه فجعله على خزان البلاد.. ثم يذكر الشاعر بعد ذلك أن الملك وحاشيته قد دخلوا في الإسلام على يد يوسف، وأن الملك أمر أن يخلفه يوسف على العرش بعد موته:

وقد مكننا ليوسف كثيرا فلم يكن في الأرض مثله شخص آخر  
وتحقق له كل ما يريد وتم له منا مراد قلبه<sup>(١)</sup>

فلما مات الملك اعتلى يوسف العرش ولم يكن يلقب في ذلك الوقت إلا بالعزيز  
فقد أعزه الله بتلك الصورة<sup>(٢)</sup>.

ويمضي الشاعر فيتحدث عن القحط الذي أصاب البلاد، وكيف جاء أخوة يوسف إلى مصر مع من جاءها من مختلف أرجاء الأرض طلبا للزاد، فلما مثلوا بين يدي العزيز أخذ يسألهم عن أحوالهم، فما كان منهم إلا أن قصوا عليه حكايتهم دون أن يعرف حقيقته أي منهم وأكد عليهم يوسف أنه لن يمد لهم بالزاد إذا لم يحضروا أخاهم بنيامين.. ولما عاد الركب إلى أرض كنعان وأبلغوا والدهم بما طلبه يوسف منهم، خاف يعقوب أن يفعل أبناؤه ببنيامين ما فعلوه بيوسف.

(١) نوديم تسمكين يوسف بسى جودر زمين نيهست ديه گركسى  
بود هرگجا راى كاش بود مراد دل ازت ماما مش بود  
(٢) كس آنكه سخواندش جزا و راعزيز خداوند كردش بدا نسيان عزيز

فأخذ عليهم من العهود والمواثيق ما يضمن حفاظهم عليه ورعايتهم له، ثم حملهم رسالة إلى عزيز مصر.

ومرة ثانية يعود أبناء يعقوب إلى مصر وبرفقتهم بنيامين، ويستقبلهم يوسف فرحا بشقيقه. ثم إنه أمر عماله فوضعوا السقاية في رحل بنيامين. ثم أعلن عماله نبأ سرقتها، وبذلك نجح يوسف في استبقاء السارق لديه عقوبة له على سرقة.. وذهبت محاولات الإخوة العشر لاستعادة بنيامين أدراج الرياح.. واضطر شمعون إلى البقاء في مصر وطلب من إخوته أن يخبروا والدهم بما حدث من أمر اخيهم، وأكد أنه لن يبرح مصر إلا إذا أمره والده بذلك أو أن يحكم الله وهو خير الحاكمين... ويعود الركب حزينا قلقا إلى كنعان، ويزداد يعقوب هما على همه بعد أن علم من أبنائه بما جرى على بنيامين.. فيبعث برسالة أخرى إلى عزيز مصر يرجوه ألا يزيد من آلام قلبه، فقد تألم وحزن بما فيه الكفاية لفقد يوسف.. وعند ما عاد أخوة يوسف إلى مصر سلموا العزيز رسالة يعقوب الحزين.. فلما قرأها يوسف طلب منهم أن يصارحوه بحقيقة ما فعلوه بيوسف مبينا لهم أن لديه جاما ذهبيا يكشف له الحق من الباطل.. فشرع شمعون في سرد قصة الذئب، فضرب يوسف الجام بقضيب ثم قال لهم إن الجام يبلغني أن شمعون، كاذب فيما يدعى، ومضى يوسف يحكى لهم ما فعلوه به، وكيف ألقوه في الجب.. ولما أصروا على انكارهم أخرج لهم يوسف وثيقة بيعة التي وقعوها بأيديهم لمالك بن زعر، فتأكدوا أن عزيز مصر هو يوسف وعلا وجوهم الخجل والندم، وخرروا له ساجدين طالبين العفو والصفح والغفران.. وبسماحة الأنبياء عفا يوسف عنهم. وبعث بهم إلى كنعان مرة أخرى ليحملوا قميصه إلى والده فيلقوه على وجهه فيرتد إليه بصره.. ثم بعث يوسف بقافلة عظيمة اصطحبت والده إلى مصر وخرج آلاف المصريين يتقدمهم يوسف وقواد جيشه لاستقباله والترحيب به فلما دخلوا إلى مصر رفع أبويه على العرش<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك يعود الشاعر إلى الحديث عن زليخا وهرمها وانحناء ظهرها وفقد بصرها، واستمرارها على حبها القديم ليوسف ومناجاتها لطيفه ليل نهار.. فعندما سمعت دق الطبول وتحرك المواكب لاستقبال آل يعقوب سألت جاريتها عن

(١) اختلف في الذين رفعهما يوسف على العرش وأجلسهم عليه. فقال بعضهم كان أحدهما أبوه يعقوب والآخر أمه راحيل. ولكن الصحيح أن الأخرى كان خالته لبا، وكانت أمه راحيل قد ماتت من قبل...

هذا الموكب فاخبرتها أنه موكب يوسف عزيز مصر، فتعجبت زليخا وراحت تقص لجارتها حكايتها معه، وكيف تغيرت الأمور فصار هو ملكا وصارت هي بغير جاه أو سلطان..

وأسرعت زليخا إلى صنمها وتوسلت إليه أن يعيد إليها بصرها وشبابها وجمالها، فلما لم يستجب لدعائها حطمته وأمرت جارتها أن تأخذ بيدها إلى طريق يوسف.. لما سمعت وقع حوافر خيله راحت تتاديه بأعلى صوتها، فأمر الله الريح أن تحمل صوتها إلى أذن يوسف، فلما سمعها أمر خادمه فجاء بها إلى حضرته الملكية.. ويمضى الشاعر إلى الحديث عن استقبال يوسف الجافل لآل يعقوب في قصره، وسجود الجميع ليوسف تحقيقا لما جاء في رؤياه المباركة.. ولما فرغ يوسف من استقبال والده بعث في طلب زليخا التي حكى له قصتها وكيف حطمت صنمها وأشهدت يعقوب على إسلامها وطلبت منه أن يدعو الله ليحقق لها أربع حاجات :

- الأولى: ألا يتركني في الكفر... ويخلصني من براثن الشيطان

- ويمن علي بالإسلام.. ويخرجني من الألم إلى الراحة

- الثانية: أن يعيدني شابة كما كنت من قبل

- الثالثة: أن أكون بكرا بخاتم الله.. ذات جسد طاهر وقوام متين..

- الرابعة: أن يكون يوسف زوجي.. وأن يعبني قلبه ويهواني..

- ومن هذه الحاجات الأربع.. تحققت حاجة إذ تطهرت روحى من الكفر

- ودخلت في الإسلام ودين الله... وصار الحظ والسعادة دليلي آخر الأمر

- والآن تلزمنى هذه الحاجات الثلاث - وأرجو أن يحققها لى الله(١).

زجـنـگـال دـيـوان بـسـرون آورم	بـكى آنـكه در كـفر نـكـذارم
زرنج آورد سـوى آسـانـم	بـدارد بـسـاسـلام آرزائـم
بد انسان كه بودم جنانم كند	دوم آنسكه از سرجوانم كند
درستی و بساكي تن من بسجای	سه ديكر كه باشم بهر خدای
دلش مهریان وهوا جوى من	چهارم كه يوسف بود شوى من
كزاند يشة كفر جانم بشست	از اين چار حاجت يكى شد درست
مرا عاقبت بسخت شد رهمنمناى	رسيدم بساسلام ودين خدای
كه ازداد كسـتـر روا آهـدم	كنون اين سه حاجت همى بسايدم



ويقول الشاعر: وفي الحال نزل جبريل الأمين على يعقوب وأبلغه استجابة الله  
الكريم لمطالب زليخا، وأن يبارك زواج يوسف منها..

وهكذا تم زواج يوسف من زليخا، وأصبح هوى قلبه حارا جياشا، ولكنه أخفى  
ذلك حياء.. وكان حبه يزداد من آن لأن، وتجاوز قلبه الحد. لكن زليخا تحولت  
بحبها إلى الله، فأعرضت عن يوسف وكأنها لم تره ولم تقاسى حبه أبدا، ولم يكن  
في قلبها حرارة العشق قط، ولم تنتهياً لوصل يوسف، وكانت ليل نهار على قدميها  
متعبدة أمام رب العالمين<sup>(١)</sup>.

وحار يوسف في أمر زليخا وضاق صدره لتحولها عن حبه؛ فكان دائما حزينا  
مطرقا عابس الوجه «إلى أن أردته رحمة رب العالمين ونزل عليه جبريل الأمين  
وطلب منه أن يتجه إلى يعقوب ليدعو الله له ليصلح ما بينه وبين زليخا. ويمثل  
يوسف للنصيحة ويستجيب المولى لدعاء يعقوب فيعود حب زليخا إلى سابق  
عهده.. وزادها يوسف عزا ومكانة... وأرجعها كما كانت سيدة لمصر وأجلسها  
على عرش ذهبي ووهبهم الله ثلاثة أولاد.. ومرت عشرة أعوام من السعادة على  
يوسف وزوجته انتقل بعدها يعقوب إلى دار القرار، ودفنه يوسف - حسب وصيته -  
إلى جوار أخيه عيسا. ثم إنه وَزَّع ملكه على اخوته ومنح كل واحد منهم حكم  
إقليم..

وتمر السنوات وينتقل يوسف إلى دار القرار، ويجلس مكانه أفرام السعيد  
ويبسط يديه بالعدل والعطاء..

---

(١) دلش را هوا كرم وجوشنده كشت  
زمان تازمان مهرش افزون شدى  
جانان بد كه كفتى خود اورانديد  
دلش را نبود كرمى عشق هسيج  
شب وروز بيوسنه بودش بببای  
همى بود بيوستسه بساد رد وغم

ولى يوسف از شرم بوشنده كشت  
همى دل ازاندازه بيرون شدى  
نه هرگز يبدل بار مهرش كشييد  
نكردى زيونند يوسف بسسيج  
عبادت كننن بيش كيهان نخدای  
سرا فكننده در بيش وجهره نزم

ويختم الشاعر منظومته بالحديث عن نهاية كل حي:

لا يولد شخص إلا ويموت      ويودع في التراب الأسود  
هكذا فعل ربنا في الحياة الدنيا      وهكذا يكون حكم خالق الروح  
فكل من يولد من بنى آدم      لا يخلد في الدنيا  
ولو كان ملكا للعالم أجمع      ولو كان نبيا طاهرا مفضلا<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

بخساک منیه در سیرده شود  
جسین است حکم خدائی روان  
نمانند فراوان بی روی زعی  
وگر یاک شایسته بی فهم بر است

(١) نژایسد کس الا که مرده شد  
جنسین کرد یزدان ما در جهان  
هر آنکس پیدا شود ز آدمی  
اکسر پادشاه همه کششور است

**الباب الثالث**

**القصة في مجال التحليل الفني**



## الفصل الأول

### رؤية تحليلية للمنظومة المنسوبة للمردوسي

يتفق الباحثون والنقاد على أن حاجة الإنسان إلى رواية الأحداث التي تقع في حياته ودفع الآخرين إلى مشاركته والتجاوب معه فيما يشعر به وهو يعيش حياته بأفراحها وأحزانها وآلامها غريزة إنسانية موهلة في القدم. ربما رجعت في قدمها إلى العصور التي استطاع فيها الإنسان نقل تجاربه إلى الآخرين بالإشارة والصوت ثم باللغة.

وانطلاقاً من هذه النظرية عدت الأشكال الروائية والقصصية نشاطاً إنسانياً مفرقاً في القدم، صاحب تطور المجتمع الإنساني في صورته المختلفة وفي مراحل تطور حياته على مر العصور والأزمان.

وتعد القصة<sup>(١)</sup> بمفهومها وشكلها الأدبي الحديث فنا حديث النشأة يهدف إلى معالجة الواقع الإنساني - النفسي والاجتماعي - من خلال وصف الحياة والأشخاص وما يدور بينهما من صراعات وما يعمل في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تُكوّن في مجموعها مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيباً سببياً تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث في إطار أو هيكل فني له بداية ووسط «عقدة» ونهاية.

(١) القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهي تتناول حادثة أو عدة حوادث تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض. ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثير والتأثر.  
(محمد يوسف نجم : فن القصة، ص٩، بيروت ١٩٥٦م)

والقصة التي بين أيدينا تتصل بالفن القصصي بسبب وثيق حيث يتوافر لها عدد من العناصر الفنية التي قررنا نقاد هذا الفن<sup>(١)</sup> وأول هذه العناصر اعتمادها على فكرة استقائها الشاعر من القرآن الكريم وهي حسد أخوة يوسف له وحقدهم عليه بعد أن قص عليهم رؤياه الأحد عشر كوكباً. وكان جل اعتماد الشاعر لصياغة هذه الفكرة في قالب قصصي قائماً على شخصية يوسف عليه السلام وما تزخر به من أحداث تاريخية معروفة ومقروءة في التوراة والقرآن الكريم وقصص الأنبياء. كما كان ذلك دافعاً له إلى اختيار اسم يوسف عنواناً لهذه القصة حتى يضمن لها منزلة رفيعة بين القصص التاريخية باعتبارها تدور حول حياة نبي كريم. كما وضع اسم زليخا ضمن هذا العنوان كي يضمن لها رواجاً شعبياً على اعتبار أن زليخا تلعب دوراً هاماً في حياة يوسف داخل الإطار العام للقصة.

هذا ويرى نقاد هذا الفن أن مقدمة القصة تعتبر عنصراً هاماً من عناصرها الفنية إذ أن لها دوراً مؤثراً في الإرهاص بما سيقع من أحداث ولهذا نجد شاعرنا بعد أن بدأ قصته بحمد الله والثناء عليه يتطرق إلى الحديث عن تأثير هذه القصة على النبي محمد ﷺ وعن علاقتها بما سيقع لسبطيه (الحسن

(١) يقسم النقاد الفن القصصي إلى الفنون التالية: -

أ - الأقصوصة: وهي قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانباً من حياة لا كل جوانب الحياة، فهو يقتصر على سرد حادثة أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته...

ب - القصة: وهي التي تتوسط بين الأقصوصة والرواية وفيها يعالج الكاتب جوانب أرحب مما يعالج في الأولى ولا مانع هنا من أن يطول الزمن وتمتد الحوادث ويتوالى تطورها في شيء من التشابك.

ج - الرواية: وفيها يعالج المؤلف موضوعاً كاملاً أو أكثر زاخراً بحياة تامة واحدة أو أكثر فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألم بحياة بطل أو الأبطال في مراحلها المختلفة.

د - الحكاية: فهي سوق واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة، بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه، والحكاية عادة ما تكون منقولة من أفواه الناس.

(محمود تيمور: فن القصص، ص ٩١، مصر ١٩٥٤م)

أما عن أنواع القصص فمنها القصص الرومانتيكية؛ وهي تلك التي تدافع عن القضايا الاجتماعية وتحمل الطابع العاطفي المشبوب النائر. والقصص الواقعية؛ وهي التي تعنى بالتحليل النفسي للأشخاص. والقصص التاريخية؛ وهو النوع الذي يتناول حياة شخصية تاريخية تبرز من خلالها حياة هذه الشخصية وذلك من خلال الاحتفاظ بمظاهر الحقيقة التاريخية التي عاشتها هذه الشخصية. وهذا النوع الأخير هو الذي يعنينا في هذا الفصل، إذ يمكن لنا أن نصنف قصة يوسف ضمن هذا النوع.

(محمد يوسف نجم: القصة في الأدب العربي الحديث، ص ٢٠٦، ٢٠٧ بيروت ١٩٦١م)

والحسين) من ظلم وجفاء رابطاً بين ما وقع ليوسف من ظلم على يد إخوته وما سيقع لسببى الرسول من ظلم مشابه له.

وإذا كان "الحدث" هو الركن الأساسى فى الفن القصصى على اختلاف ألوانه فإن حادثة المؤامرة على قتل يوسف تشكل اللبنة الأساسية التى اعتمد عليها الشاعر فى بناء أحداث قصته وقدم لهذه الحادثة بمجموعة من الحوادث التمهيديّة التى تمثلت فى الرؤى الثلاث التى رآها يوسف ويعقوب والتى كانت نتيجتها اشتعال نار الحقد فى قلوب الاخوة تجاه يوسف، حتى جاءت رؤيا الأحد عشر كوكباً بمثابة حافز ودافع إلى انتقال الشاعر بالقصة من مرحلة وصف الأحاسيس الإنسانية المتباينة إلى مرحلة الفعل، وذلك فى صورة ترتيب مؤامرة للتخلص من يوسف انتهت بالقائه فى الجب، ثم بيعه عبداً، وإدراكاً من الشاعر لأهمية العناية بالسياق الدرامى للأحداث، نراه يبذل جهداً طيباً فى ترتيب أحداث قصته فى تسلسل منطقى أدى إلى تفاعلها وتشابكها فى وحدة موضوعية دفعت بأحداث القصة إلى "الذروة" التى تشكل أدق عناصر القصة فى فنونها المختلفة. ولهذا نرى الشاعر ينقل مسرح الأحداث من بيت العزيز إلى حيث يوسف فى السجن، وقد سُدت الأبواب فى وجهه بعد أن أنساه الشيطان ذكر ربه، فلبث فى السجن بضع سنين إلى أن تذكره ساقى الملك حين رأى الملك رؤياه "السنبيلات والبقرات السبع" وحر المفسرون والمنجمون فى تأويلها. وكان إبراز الشاعر لدور يوسف فى تفسير رؤيا الملك - باعتبار ذلك ملمحاً أساسياً من الملامح الرئيسية لشخصية يوسف اتجاهاً منه إلى حل عقدة القصة والاتجاه بها نحو "النهاية" التى هى آخر عناصر البناء الفنى للقصة.

وعند محطة النهاية نلتقى بيوسف وقد اعتلى عرش مصر يتبوا من الدنيا حيث يشاء، ويقدم عليه اخوته طلباً للغلة، فيحتجز أخاه بنيامين فى دين الملك، إلى أن يعترف اخوته بجريمتهم فى حقه. ويلتئم شمل أسرة يعقوب حين ينتقل الجميع إلى مصر حيث العزيز "يوسف" ويسجد الجميع له.. وبذلك تتحقق الغاية التى وضعها الشاعر للقصة.

هذا... وقد وفق الشاعر فى توظيف العناصر الأخرى للبناء القصصى فاهتم بخلق مجموعة من الشخصيات المساعدة "أخوة يوسف، والده، زليخا. نسوة مصر، العزيز، أصحاب القافلة، صاحبى السجن، المريية" وذلك كى تخدم الشخصية المحورية "يوسف"، حيث ساهمت بمجموعة من الأفعال والأحداث التمهيدية والمساعدة. إضافة إلى دورها الهام فى إثراء "الحوار" الذى هو جزء هام من مكونات الشخصيات بما يعكسه من مواقف لها داخل الاطار العام للقصة.. كما حرص الشاعر على تصوير الانفعالات النفسية لإبطال قصته وإعطائها الدور المناسب للمساهمة فى تطوير أحداث القصة والوصول بها إلى غايتها المنشودة.

ويحمد للشاعر اختياره "الشعر" أداة لصياغة أحداث قصته على اعتبار أن لغة الشعر هى لغة العاطفة القادرة على بعث صور ايحائية قادرة على تصوير النفس الإنسانية وإبراز مكوناتها وانفعالاتها<sup>(١)</sup>. فالجملة الشعرية لها رنينها وجرسها وإيقاعها الموسيقى السريع النفاذ إلى أعماق النفس البشرية.. إضافة إلى أن الشعر يستعين بالموسيقى الكلامية التى هى أقوى الطرق الأيحائية، فالموسيقى طريق السمو بالأوراح والتعبير عما يعجز التعبير عنه. خاصة وأن قصة يوسف قصة ذات طابع إنسانى تلعب فيها العواطف والانفعالات دوراً رئيسياً فى تطوير أحداثها.

يضاف إلى ذلك أن طول أحداث القصة وانتقالها بين بيئات وأزمنة مختلفة وتمثيلها لفترة تاريخية طويلة يجعل من الشعر الأداة المناسبة لتصوير مثل هذه الأحداث والانتقال بين أجواء مختلفة وأزمنة تاريخية متباعدة.

.....

هذا... ويجمل بنا أن نقدم تحليلاً تفصيلياً للعناصر الفنية التى قام عليها البناء الفنى لقصة يوسف وزليخا... وأول عناصر هذا البناء هو عنوان القصة<sup>(٢)</sup>.. عنوان قصتنا هو "يوسف وزليخا" وقد أحسن الشاعر صنفاً حين

(١) أحمد الشايب : الأسلوب، ص٦٢، مصر ١٩٧٦م.

(٢) يرى إبراهيم يونسى أن عنوان القصة هو عنصر هام لازم لكل قصة فهو الذى يميزها عن سائر القصص ويلفت نظر القارئ إليها ويدفعه إلى الإقبال على اقتنائها وقراءتها.

إبراهيم يونسى: هنرداستان نويسى، ص ٩٨، طهران ٢٥٢٥.



اختار هذين الاسمين عنوانا لقصته ليخبرنا بأن أحداث القصة ستدور حول هاتين الشخصيتين "يوسف" النبي الكريم، "وزليخا" زوج العزيز.. وهو اختيار موفق من الشاعر<sup>(١)</sup>، إذ أن سيدنا يوسف شخصية تاريخية ودينية يهتم الناس - في كل زمان ومكان - قراءة تفاصيل ما حدث له من محن وابتلاء وخطوب. كما أن اختيار هذين الاسمين عنواناً للقصة يوحى للقارئ بأن هناك شخصية أخرى تشارك سيدنا يوسف أحداث حياته.

كما أن هذا العنوان يأتي منسجماً مع النهاية التي وضعها الشاعر للقصة على نحو ما سيرد في السياق..

والعنصر الثاني من عناصر البناء الفني هو «مقدمة القصة»<sup>(٢)</sup>. وقد بدأ الشاعر مقدمة قصته بحمد الله والثناء عليه وعلى رسوله محمد وأهل بيته. ثم يبلغنا بعد ذلك بأن الله - جل وعلا - قصَّ على رسوله قصص الرسل والأنبياء السابقين، وأن النبي لم يتأثر بواحدة من تلك القصص كما تأثر بقصة يوسف عليه السلام، وذلك بعد أن علم من جبريل - عليه السلام - بما سيقع على سبطيه «الحسن والحسين» من ظلم وقسوة وجفاء. واتخذ الشاعر من تلك المقدمة مدخلاً إلى قصة يوسف ليربط بين ما حدث ليوسف من ظلم على يد اخوته وذويه وما أنبأ به جبريل رسول الله بما سيحل بسبطيه من ظلم وجفاء...

---

(١) يرى إبراهيم يونسى في كتابه "هنداستان نويسى" أن أضعف عنوان لأي قصة، هو الذي يكون اسماً لشخصية بطل القصة. ونحن نخالفه الرأي في ذلك. ذلك لأن أغلب القصص التاريخي - مثل قصة يوسف - تدور أحداثها حول شخصية تاريخية ودينية معروفة ومن الأفضل أن يحمل العنوان اسم بطل القصة، إذ أن ذلك يعطيها جاذبية وشهرة أكثر ويفرغ القارئ باقتنائها والاقبال على قراءتها. خاصة وأن سيدنا يوسف وردت قصة حياته في العهد القديم والقرآن الكريم. والناس على مر العصور ومن مختلف الأجناس والطبائع - تواقين إلى معرفة تفاصيل حياته..

(إبراهيم يونسى : هنداستان نويسى، ص ١٠١)

(٢) تعد المقدمة ركناً أساسياً من أركان القصة. ويرى نقاد هذا الفن أن هيكل القصة بفنونها المختلفة يقوم على ثلاثة أعمدة: "مقدمة ووسط ونهاية" ويعدد يونسى وظائف المقدمة في القصة على النحو التالي: -

(أ) إثارة الرغبة لدى القارئ. (ب) تبدأ بها حادثة القصة والغاية منها. (ج) إلقاء الضوء على مضمون القصة. (د) التعريف بشخصيات القصة أو الشخصية الأصلية فيها.. (هـ) تتقل جو القصة.

(المرجع السابق؛ ص ١٠٥)

وقد أحسن الشاعر صنماً حين اختار هذه المقدمة التي جعلت القارئ يتأثر وتتحرك مشاعره مشاركة لمشاعر النبي في تأثرها وحزنها وألمها على ما سيحدث - وما حدث بالفعل - لسبب من بعده. وأثار بذلك عنصر التشويق عند القارئ ليسارع إلى قراءة أحداث قصة يوسف عليه السلام كما أحسن اختيار الأسلوب الذي عرض من خلاله تلك المقدمة<sup>(١)</sup> وذلك حين اختار آيات من القرآن الكريم - من سورة يوسف - ليشعر القارئ أنه مقبل على قراءة قصة ذات وقائع حقيقية حدثت ووردت في الكتاب الكريم، وسمعها النبي نفسه من جبريل عليه السلام. كما أنه استطاع من خلال تلك المقدمة أن يقدم لنا نبذة تمثل "مدخلاً" للفكرة الأساسية للقصة والجو العام الذي سيعرض القصة من خلاله... وكذلك نوعية القصة - باعتبارها قصة تاريخية ذات وقائع حقيقية ومحددة ولها شخصيات حقيقية ورد ذكرها في القرآن الكريم.. واستمرارا في حرص الشاعر على أن يضيف على مقدمة القصة جواً من الصدق فقد ذكر لنا أنه إنما يقدم هذه القصة توبة وندما على ما أضاعه من عمره في نظم قصص الفرس وحكاياتهم التي كانت بمثابة نوع من الحمق ضيع فيه زهرة شبابه.

من هنا جاء اختياره لفكرة القصة<sup>(٢)</sup> والتي استقاها من القرآن الكريم وهي حسد إخوة يوسف له وحقدهم عليه بعد أن قص عليهم رؤياه الأحد عشر كوكباً. وكان جُل اعتماد الشاعر - لتحقيق هذه الفكرة - قائماً على شخصية يوسف باعتبارها الشخصية المحورية التي تدور حولها المؤامرة التي دبرها اخوته لتحقيق مرادهم في التخلص منه وابعاده عن حياتهم ليخلوا لهم وجه أبيهم ويصبحوا من

(١) يرى إبراهيم يونسى أن الكاتب يجب أن يختار أسلوباً ذا كلمات مشوقة وجذابة ومؤثرة يصوغ من خلاله مقدمة قصته حتى تكون تلك المقدمة بداية لأحداث القصة ومؤثراً صادقاً ومختصراً لما سيمر بالقارئ من أحداث.

(المراجع السابق : ص ١٠٦)

(٢) يرى نقاد فن القصة أنه لا بد لكل قصة - بمختلف فنونها - من هدف تسعى إلى تحقيقه وغاية تكتب من أجلها. وهذه الغاية هي الفكرة التي يدبر الكاتب قصته حولها. وترد الفكرة بصورة ضمنية خلال أحداث القصة.

(محمد يوسف نجم : فن القصة، ص ١٤، ٢٥ - ١٥)

بعده قوما صالحين. لهذا راينا الشاعر يوظف "حسد الاخوة" توظيفاً درامياً بعد أن جسده في مجموعة من الحوادث التمهيدية<sup>(١)</sup> في القصة بحيث أصبح جزءاً رئيسياً من الفكرة الأساسية للقصة.

وأول الحوادث التمهيدية التي لعب فيها «الحسد» دوراً رئيسياً هو حادث مائدة اسحق<sup>(٢)</sup> وما نتج عنها من حقد وحسد وعداوة بين الأخين مما اضطر يعقوب إلى الهرب ليلاً من موطنه في أرض كنعان والإقامة عند خاله لابان بأرض الشام.

وتشكل الرؤى<sup>(٣)</sup> التي حدثت في هذه القصة عنصراً هاماً من عناصر البناء الفني للقصة، إذ أنها - في مجموعها - تُكوِّن سلسلة من الحوادث التمهيدية والفرعية - والتي ساهمت بشكل مباشر - في تطور أحداث القصة في مراحلها

---

(١) الحوادث التمهيدية : هي مجموعة من الأحداث المساعدة يلجأ إليها المؤلف لتوسيع قاعدة الحدث الرئيسي. ويجب أن تتصل حلقات الحوادث الفرعية بالحدث الرئيسي للقصة وتكون تمهيداً له ومنسجمة في مجموعها مع السياق العام للقصة.  
(المرجع السابع ص ٤٧)

(٢) نشأت هذه العداوة - كما جاء في سفر التكوين - بسبب المائدة التي أعدها يعقوب عليه السلام وأسرع في تقديمها إلى والده اسحق. فاعتقد اسحق - لضعف بصره - أن هذه مائدة عيصا، خاصة وأن الأم غطت جسد يعقوب بشعر ماعز ليبدو كثيف الشعر مثل عيصا. وحين ذلك دعا له اسحق واستجاب الله لدعائه وشمل يعقوب ببركته وفضله. ولما علم عيصا بالأمر أضمر في نفسه الحقد والعداوة ليعقوب. مما دفع يعقوب إلى الهرب إلى الشام حيث أقام عند خاله لابان وتزوج بابنته "ليا" و"راحيل".  
(سفر التكوين : الأصحاح السادس والعشرون والسابع والعشرون)

(٣) الرؤيا الأولى: إذا رأى يعقوب في منامه عشرة ذئاب ضارية وقد التفت حول يوسف وقام أحدهم بخطفه وأخفاه في باطن الأرض.

ب) الرؤيا الثانية: جاءت هذه الرؤيا بمثابة إنذار ليعقوب بما سيكون عليه يوسف من شأن عظيم وما سيحيق به من جراء ذلك من بلاء ومحن. وقد رأى يوسف أنه وأخوته يلهون في الصحراء ومع كل منهم عصا، وأنهم ألقوا عصيهم على الأرض فاختلطت العصى معاً، ثم نهضت فجأة واصطفت في طايور وسجدت جميعها أمام عصا يوسف.

ج) الرؤيا الثالثة: رأى يوسف فيها نفسه وهو يعمل مع أخوته بالتحطيب وأنهم كانوا يجمعونه حيناً ويكسرونه حيناً آخر، فربط كل منهم حزمته ورفعها فوق رأسه كالدرع، وفجأة صار حمل يوسف مزهراً مثل البستان في الربيع ونبتت منه مائة ألف زهرة مسكية بلون شقائق النعمان تفوح منها رائحة الكافور والعود. وفجأة سجدت أحمال أخوته أمام حمله المزهر.

(التوراة، سفر التكوين ت ٢٦، ٢٧، طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة)

المختلفة، كما كانت عنصراً فعالاً في تكوين مجموعة من ردود الأفعال عند شخصيات القصة.. وقد أورد الشاعر - نقلاً عن التوراة ثلاث رؤى قبل رؤيا الأحد عشر كوكبا<sup>(١)</sup>. وقد أحسن الشاعر صنعا بتقديم الرؤى الثلاث حتى لا يفاجئنا بالحديث مباشرة عن رؤيا يوسف الرئيسية وإنما مهد لذلك بعرض الرؤى الثلاث، وما تولد عنها من مشاعر إنسانية متباينة بين اشتداد خوف يعقوب على يوسف من ناحية، وازدياد حقد الأخوة عليه من ناحية أخرى، ثم شروعهم في تنفيذ مؤامرتهم للتخلص منه.

(ب) رؤيا صاحبي السجن: تشكل هذه الرؤيا علامة بارزة في حياة يوسف، فبعد هذه الرؤيا تحول يوسف إلى دوره المنوط به كنبى مرسل وراح يدعو أصحاب السجن إلى الايمان بالله الواحد الأحد القهار.

(ج) رؤيا ملك مصر: وكانت هذه الرؤيا بمثابة فتح جديد في حياته إذ أعلن الملك - عقب نجاح يوسف في تفسير هذه الرؤيا - براءته وطهارة ذيله مما نسب إليه ظلماً من قبل زوجه العزيز ونسوة مصر، وخرج يوسف من ظلمة السجن ليتقلد منصب العزيز وليمكن الله له في الأرض يتبوا منها حيث يشاء.

هذا... وبالإضافة إلى الدور الذى لعبه عنصر الرؤى فى تطور الحدث الدرامى للقصة - باعتباره يشكل مجموعة من الحوادث التمهيديّة والفرعية - فإن هذا العنصر جاء متفقاً مع الطابع الدينى للقصة، حيث عادة ما تفسر الرؤى على أنها من الأشياء القريبة من أمور الوحي والتي لا بد أن تصدق وتقع فى الحياة كما أن هذه الرؤى وما أنبأت عنه من صدق يوسف وعلمه وفضله وتوفيقه فى تفسيرها تعد علامة من علامات نبوته وسمة من السمات التى اتسمت بها شخصيته، والتي اكتسبت نوعاً من القداسة فى الأقوال والأفعال.

وهكذا كانت الرؤى الثلاث ليوسف ويعقوب سبباً فى إثارة حقد الإخوة ومحركاً لتدبير مؤامرتهم للتخلص منه.

---

(١) تعتبر الحادثة العصب الرئيسى فى بناء القصة بفتونها المختلفة. وتنقسم الحادثة إلى نوعين. حادثة أو حوادث أصلية وحادثة أو حوادث فرعية. والحادثة الأصلية هى الحادثة التى يعد وجودها عنصراً أساسياً وجوهرياً فى بناء هيكل القصة.

(إبراهيم يونسى هنرداستان نويسى صد١٤٢)

وتمثل حادثة المؤامرة اللبنة الرئيسية فى بناء أحداث القصة فمن خلالها شرع المؤلف فى بناء القواعد الرئيسية لهيكل قصته.

وقد حرص الشاعر فى عرضه لحادثه المؤامرة على رسم صورة توضح تردد الاخوة وحيرتهم حول الطريقة التى يريدون اتباعها فى التخلص من يوسف، ونراهم فى هذه الصورة وهم يرددون الأمر بين جانبين : جانب القتل وجانب الالتقاء فى الجب. وندرك من سياق الأحداث أن قد رجح الأمر الأخير. ثم نلاحظ الجريمة وقد بدأت تأخذ شكلها العملى. فهم يحتالون على أبيهم لحمل يوسف للعب معهم بعد أن أكدوا له حرصهم على المحافظة على يوسف وهو يخاف أن يأكله الذئب، وهم يقسمون أن هذا لن يكون ولن يحدث وهم عصبية أولو قوة. ثم يمضون بأخيهم حيث أرادوا وخططوا. وفى العشاء يعودون إلى أبيهم باكين وزاعمين أن الذئب أكل يوسف.. وقد حرص الشاعر على إبراز صورة اللجو العام للمؤامرة. فنراهم فى هذه الصورة وقد حرصوا على التخفى فى ظلمة الليل كي لا يفضح ما إرتدوه من أقنعة زائفة وباطلة. كما بينت الصورة خوف يعقوب من أن يأكله الذئب. والتجاوب بين خوف يعقوب والاعتذار - الذى قدمه الاخوة - مهارة فى التناول الفنى للحادثة وفق المؤلف فى عرضها فى صورة شعرية متقنة تثير مشاعر الحزن فى نفس القارئ وتدفعه إلى مشاركة يعقوب فيما حل به من حزن وألم على فقد يوسف. واستكمالاً لوصف الصورة التى رسمها الشاعر لمؤامرة الاخوة نراهم وقد ذهبوا إلى الصحراء مرة أخرى واصطادوا ذئباً لطحوا فمه بدم كذب وعادوا به إلى والدهم لإثبات صدق دعواهم. إلا أن الله جلت قدرته كشف زيفهم وبطلان دعواهم. فاستجاب لدعاء يعقوب وانطق الذئب وحاوره يعقوب وعلم منه الحقيقة كاملة. وقد حرص الشاعر على تضمين قصته ما دار من حوار بين يعقوب والذئب، والذى اتضح من خلاله أنه ذئب مسكين ضاع ولده فى الصحراء فقدم أرض كنعان بحثاً عنه حتى أوقعه مصيره التمس بين أيدي أبناء يعقوب، ليقف فى النهاية بين يدي يعقوب متهماً بجريمة هو برئ منها. ونقرأ من دفاعه قوله:

- إن الله سبحانه وتعالى حرم علينا أجساد الرسل الطاهرة

- إننى إذا رأيت خرافك فى الصحراء لا أسير حولها أبداً  
- وإذا كنت لا أنظر إلى خرافك فكيف يمكننى أن أمزق قلبك وعينيك وروحك<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

وقد حرص الشاعر على عرض هذه الصورة الشعرية الطريفة التى وردت فى الكتب التى تناولت قصص الأنبياء<sup>(٢)</sup> وذلك ليقدم من خلالها معادلاً موضوعياً<sup>(٣)</sup> لحزن يعقوب على فقد ولده فى صورة حيوان مفترس أنطقه الله ليشارك يعقوب حزنه وألمه على فقد ولده، خاصة وأن هذا الذئب فقد ولده وجاء إلى صحراء كنعان بحثاً عنه. ويبكى الإثنان معاً مصيبتهما بعد أن أنس يعقوب له ودعا الله أن يرد عليه ولده الغائب.

ثم ينتقل الشاعر بعد حديثه عن لقاء يعقوب مع الذئب البرئ إلى الجب الذى ألقى يوسف فى غيابه ليلقى مصيره المقدر له. ويحرص الشاعر على السير<sup>(٤)</sup> بسياق القصة سيرته الطبيعية على النحو الذى جاءت عليه فى كتب قصص الأنبياء. هذا ويجمل بنا أن نوجز ما تبقى من أحداث رئيسية تُكوِّن السياق العام للقصة، وهى على النحو التالى:-

- خروج يوسف من البئر بواسطة أصحاب القافلة وبيعه عبداً لهم.  
- مالك ذعر - صاحب القافلة - ينقله إلى مصر وبيعه على عزيز مصر قظفير.  
- اهتمام زوجة العزيز بتربيته إلى أن بلغ أشده واستوى عوده وافتتانها به ومراودته عن نفسه..

(١) خدواند كرده است برما حرام تن باك يهفم بران والسلام  
- من گرگوسفند توبهينم بدشت نيارا به بىرامنش هيج كشت  
- جوهر كوسفندت همى ننگرم دل وديده وجانان راجو نغورم

(١) هذه الكتب هى: قصص الأنبياء للثعلبى (ص ١٢٢) وقصص الأنبياء للكسائى (ص ١٦٠)  
(٢) المعادل الموضوعى: هو أن يوجد الكاتب أو الشاعر شخصية ثانوية أو حادثة فرعية لها ظروف مشابهة لظروف بطل القصة الرئيسى وتمثل نوعاً من التفسيرية لبطل القصة فيما يحيط به من مشاكل ومحن وأحزان (مجدى وهبة، معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب ص ٢٧٠ (طبع بيروت ١٩٨٤م)  
(٣) السياق: هو ترتيب مجرى القصة حسب تتبع الحوادث فيها إلى أن تصل إلى الذروة ثم إلى الحل (نقلاً عن أحمد أبو سعد، فن القصة ص ١٩١٤، بيروت ١٩٥٩).

- رفض يوسف مساومة نسوة مصر وزوج العزيز وتفضيله الإقامة فى السجن.
- رؤيا صاحبي السجن وتفسيرها والدعوة إلى وحدانية الله.
- رؤيا ملك مصر وتفسيرها وإعلان براءة يوسف وتقلده منصب العزيز.
- انتشار المجاعة فى أطراف الدنيا وقدم اخوة يوسف إلى مصر طلبا للغلة وعودتهم إلى كنعان لاحتضار بنيامين تلبية لطلب يوسف.
- عودة الاخوة إلى مصر واحتجاز يوسف لبنيامين بعد اتهامه بسرقة صاع الملك.
- عودة الإخوة إلى مصر مرة ثالثة وإعلان يوسف عن شخصيته واعتراف الاخوة بجريمتهم.
- قدوم أسرة يعقوب إلى مصر وسجودهم أمام يوسف ورفع أبويه على العرش.
- زواج يوسف من زليخا ووفاة يعقوب ثم وفاة يوسف..

\*\*\*\*\*

وهكذا يتضح لنا من السياق السابق للأحداث وتسلسلها الدرامى مدى حرص الشاعر على السير بأحداث قصته إلى "ذروتها" الطبيعية والمنطقية<sup>(١)</sup>.. كما كانت هذه الأحداث فى مجموعها تمثل سلسلة مترابطة الحلقات تُسَلِّمُ كل حلقة منها ما تحمله من أحداث شقيقتها لتصعد بها نحو القمة أو الذروة، إلى حيث يوسف وقد لبث فى سجنه بضع سنين بسبب نسيانه ذكر ربه.. ثم يأخذ خط الأحداث بعد ذلك فى النزول من القمة فى اتجاه الحل<sup>(٢)</sup>. وذلك حين رأى الملك رؤياه

(١) الذروة: هى أدق عناصر القصة وخاصة تلك القصص التى تعتمد اعتماداً رئيسياً على الشخصية الواحدة. فمثل هذا النوع من القصص يحتاج إلى ذروة قوية تعتمد على لحظة فاصلة فى حياة الشخصية. وهذه اللحظة تمثل الحدث الهام والمصيرى فى حياة الشخصية والذي من خلاله تصل القصة إلى الحل. على أنه يجب أن تكون الذروة مختصرة وتؤدى إلى حل منطقي وطبيعي يتسق مع الأحداث التى مرت بها الشخصية (إبراهيم يونسى: هنرداستان نوسى، ص٤٨٢، ٤٨٣)

(٢) هو آخر ما تصل إليه القصة ونتيجة نهائية للذروة التى وضعها المؤلف للقصة. ويتضمن حل القصة تحقيق الفكرة أو الغاية التى قامت عليها أحداث القصة. (أحمد أبو سعد : فن القصة، ص١٥).

"السنبلات والبقرات السبع" وتذكر ساقية مهارة يوسف في تفسير الرؤى، فأرسل الملك في استدعائه ليفسر رؤياه. وأخذ خط الأحداث في الانحدار فرأينا يوسف يعتلى منصب العزيز وتتحقق رؤياه فيسجد له أبواه وأسرته، وبهذا يصل بنا المؤلف إلى حل عقدة القصة والذي كان مطلباً آثار اهتمام القارئ وظل يتابع أحداثها تطلعاً للوصول إليه.

وحتى يكتمل شمل أسرة يعقوب وترفرف السعادة على الجميع نرى الشاعر وقد وضع زليخاً بعد أن هَرَمَتْ في طريق يوسف مرة ثانية. وأعاد الله عليها شبابها وجمالها بطلب من يعقوب وتزوجت بيوسف وعاش الجميع تحت سقف واحد مؤمنين وموحدين إلى أن اختار الله يعقوب إلى جواره وتبعه يوسف فيما بعد. وقد جاءت نهاية القصة منسجمة مع إطارها العام باعتبارها قصة تلعب فيها المشاعر الإنسانية دوراً هاماً ومؤثراً في حركة الشخصيات وأفعالها.

هذا... وقد مر بنا - من خلال سياق القصة - كيف لعبت الانفعالات النفسية - بأنواعها<sup>(١)</sup> المختلفة - دوراً هاماً في تشكيل حياة بطل القصة المحوري "يوسف"، وبالتالي فإن لها وزنها وثقلها وتأثيرها في تطور أحداث القصة وسياقها العام. وقد لاحظنا في القسم الأول من أحداث القصة - كيف لعبت المشاعر الإنسانية دوراً هاماً في حياة يوسف.. فقد كان حب والده له وإيثاره بعطفه وحنانه سبباً رئيسياً في تحريك مشاعر البغض والحسد في قلوب اخوته نحوه، ودفعهم هذا الحقد إلى تدبير مؤامرة للتخلص منه. وما ترتب على ذلك من أحداث انتهت ببيعه عبداً إلى عزيز مصر. ثم فقد يعقوب بصره حزناً وكمداً عليه.. وفي المرحلة الثانية من حياة يوسف كانت المشاعر الإنسانية التي امتلأ بها قلب زليخا من حب له وافتتان بجماله وفتوته دافعاً إلى محاولاتها المستمرة لمطارحته الهوى ودفعه

(١) إذا كانت الذروة تشكل عنصراً هاماً ورئيسياً في بناء القصة الفنية فإن الانفعالات الإنسانية هي "ملح" القصة الذي لا غنى لها عنه. ذلك أنه لا يوجد شخص على وجه البصيرة يستطيع أن يعيش بدون أحاسيس مختلفة مثل الألم والخوف والسعادة والحب والحسد. فالإنسان يتركب من مجموعة من الأحاسيس المتناقضة التي تؤثر في سلوكه وتصرفاته نحو الآخرين.

(إبراهيم يونسى : هنرداستان نويسى، ص١٧٦).



إلى عصيان ربه، وما تبع ذلك من تشهير به وبأخلاقه فى مجتمع مصر، ثم ايثاره السجن منجى وملجأ وطاعةً لله. وقد وفق الشاعر فى إبراز هذه المشاعر المتباينة حتى ظهر لنا تأثيرها الواضح فى تطوير أحداث القصة ودفعها نحو الذروة الدرامية لها، وإبراز الجوانب النفسية لشخصيات القصة.

هذا.. وتحفل قصة يوسف وزليخا بعدد كبير من الشخصيات التى<sup>(١)</sup> تؤدى أدوارها التى رسمت لها فى إطار التسلسل الدرامى لأحداث القصة. وشخصية يوسف هى الشخصية المحورية التى تدور<sup>(٢)</sup> حولها وتقوم على كتفيتها أحداث القصة. وتنعكس ردود أفعال الآخرين على ما يصدر عن هذه الشخصية من أفعال وأقوال، ولما تتصف به هذه الشخصية من مواصفات حسية ومعنوية خاصة. فلقد كان يوسف منذ صغره جميل الطلعة كالقمر ليلة البدر يُرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر<sup>(٣)</sup>. وكان هذا الجمال - الذى أسرف الشاعر فى وصفه - أحد أسباب حب والده له وحسد اخوته وحقدهم عليه، مما حرك فى نفوسهم مشاعر البغض والضغينة والكره نحوه فاندفعوا إلى القائه فى الجب ثم بيعه عبداً. وكان هذا الجمال نفسه سبباً آخر لتحريك مشاعر العشق والهوى فى نفسية زليخا تجاه يوسف، فاندفعت هى الأخرى - بدافع من غرائزها ومشاعرها المتلاطمة إلى رسم الخطة تلو الأخرى لمطارحته الهوى. حتى كان ما كان من افتضاح أمرها بين أهلها وقومها. ولولا ما طبعت عليه نفس يوسف من الايمان بالله والخوف من عقابه لما أثر السجن ووحشته إرضاء وطاعة لخالقه وبارئه.

---

(١) يقصد بها كل شخصية وقعت منها أحداث وصدرت عنها عبارات وأفكار أدت دوراً ايجابياً فى القصة. ويوجد فى كل قصة شخصيات رئيسية تكون محور اهتمام القارئ لما تؤديه من أدوار هامة تساهم مساهمة ايجابية وفعالة فى تطور أحداث القصة. والنوع الثانى من الشخصيات هو الشخصيات الثانوية أو الشخصيات المساعدة وهى شخصيات تظهر وتختفى بحسب ما تؤديه من ادوار بسيطة تساعد على إبراز الشخصيات الرئيسية فى القصة. ولا بد أن يقوم بينهم جميعاً رباط يوحّد اتجاه القصة ويدعم الفكرة أو الأفكار الجوهرية فيها. (الغنىمى هلال؛ النقد الأدبى الحديث ص٥٢٢، ٥٢٣).

(٢) يرى إبراهيم يونسى أن القصة الجيدة هى التى تقوم على شخصية أصلية واحدة تكون محور اهتمام الكاتب وتتمركز فيها أحداث القصة وتخدمها مجموعة من الشخصيات الفرعية.

(إبراهيم يونسى ؛ هنردامستان نوسى، ص٢٨٢)

(٣) الثعلبى ؛ قصص الأنبياء، ص١٢٤.

والى جانب الصفات الحسية التى تتميز بها هذه الشخصية، فهناك الصفات المعنوية التى اختص الله بها يوسف عن سائر خلقه ممن تعامل معهم داخل إطار هذه القصة. فقد اختصه الله بعلم تفسير الرؤى. وكان لهذه الخاصية تأثيرها الهام فى مجريات أحداث هذه القصة على نحو ما مر بنا من قبل.. ويوسف شخصية تتميز بالصبر على تحمل المكاره والصعاب والايذاء من الغير، من قبيل «محنة الاتهام بالسرقة من قبل عمته، ومحنة التعذيب والعطش فى الصحراء من قبل اخوته ومحنة الجب وظلامه والخوف من المصير المجهول، ومحنة العبودية وقد التفت الناس حوله فى أحد ميادين مصر يزايدون على ثمنه ثم محنة امرأة العزيز ومرآودته عن نفسه واستعصامه بخالقه وأخيراً محنة السجن ومواجهة المجاعة التى حلت بمصر بعد أن مَنَّ الله عليه بمنصب العزيز»

هذا عن الشخصية الرئيسية فى القصة.. أما عن الشخصيات الثانوية فهى كثيرة نظراً لضخامة أحداث القصة وتعدد أزمنتها وأمكانتها.

فى أرض كنعان "البيئة الأولى التى نشأ فيها يوسف" هناك شخصيات عديدة تظهر على مسرح الأحداث لتؤدى أدوارها المنوطة بها كلما دعت الحوادث إلى ذلك. فيظهر الاخوة والوالدة والعمة فى أرض فلسطين حيث كان يقيم يوسف معهم، ويختفون حيث رحل، وتظهر السيارة بقيادة مالك بن زعر كوسيلة لانتقال يوسف من البدو إلى الحضر فى مصر ويمضون إلى غير رجعة بعد أن باعوه على عزيز مصر. ويظهر العزيز وامراته وواحد من أهلها ومربيتها ونسوة المدينة كل يؤدى دوره المرسوم له حين يكون مسرح الأحداث بيت العزيز، ثم يختفون بانتقال يوسف إلى السجن، وهناك يظهر ساقى الملك وخبازه ويتركه أحدهما إلى غير رجعة ويعود الآخر إلى الظهور مرة ثانية حين يرى الملك رؤياه. ويظهر الملك على مسرح الأحداث فترة تنتهى بتعيين يوسف عزيزاً لمصر وإعلان براءته أمام المجتمع المصرى وبحضور زليخا ونسوة المدينة ويختفى الملك ونسوة المدينة وامرأة العزيز ليظهر أخوة يوسف من جديد ويبقون على المسرح حتى ينتقلوا إلى مصر ومعهم يعقوب.. تعود زليخا للظهور من جديد وهى عجوز شمطاء إلى أن قبل الله دعاء يعقوب لها فيعود إليها شبابها وجمالها وفتنتها وتتزوج بيوسف وتتجه إلى الزهد والاستغراق فى حب الله، ثم يتجه قلبها ثانية إلى حب يوسف ويعيشان معاً إلى أن يرحلا عن الدنيا الفانية.

وقد وفق الشاعر في الاستفادة من عنصر الحوار<sup>(١)</sup> ونجح في توظيفه درامياً لتطوير أحداث القصة وحسن التعبير عن مواقف شخصياتها. وكان نجاح الشاعر في هذا المجال راجعاً إلى عدة عوامل نوجزها فيما يلي: -

(أ) أنه ركز اعتماده على عنصر الحوار في التعبير عن المواقف المهيجة للشجون والمحركة للمواقف الإنسانية مما ولد عند القارئ شعوراً من التعاطف الإنساني مع شخصيات القصة.

(ب) اختار الشاعر فنين من فنون البلاغة ملائمين لطبيعة القصة وهما التلميح والاقْتِباس، فقد اقتبس آيات من سورة يوسف في القرآن الكريم ووضعها على لسان شخصيات القصة، وخاصة في المواقف المؤثرة، من قبيل حادث المراودة ومشهد اعتراف زليخا بجريرتها أمام الملك، واعتراف أخوة يوسف - بجريمتهم في حقه.. ومن الجمل الحوارية التي اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم قوله على لسان يعقوب بعد أن فسر ليوسف رؤياه الثالثة: -

- وسوف تكون مجتبي من الدهر      ولك في الدهر رب العالمين  
- وسوف يعلمك علم تفسير الأحلام      وسوف يصبح قلبك متبحراً في هذا الباب  
- وسوف يتم نعمته عليك كاملة      وعلى أهل بيتي يا صاحب السمعة الطيبة  
- كما كان أباًؤك في السابق      وكانوا قبلك وفي مكانك<sup>(١)</sup>

(١) الحوار جزء هام من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية، لا تفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، وبواسطته تتصل شخصيات القصة اتصالاً صريحاً مباشراً. ويجب أن يكون الحوار طبيعياً سلساً رشيحاً مناسباً للشخصية وللموقف كما يجب أن يندمج في صلب القصة لكي لا يبدو للقارئ وكأنه عنصر دخيل عليها متطفل على شخصياتها، كما يجب أن يحقق فائدة ملموسة في تطوير الأحداث وتقوية عنصر الدراما فيها وكذلك في رسم الشخصيات والكشف عن مواقفها من الحوادث..

(محمد يوسف نجم: فن القصة، ص ١١٧، ١١٨)

(١) ترا مجتبي أزروزگار      هـمان کوترا هست بروردگار  
بسیاموزدت علم تعبیر خواب      در باب گسرد دلت زرق یساب  
شود نعمتش برتو یکسر تمام      ابراهل بیت من نسیکنام  
بدانسان که بودند آباي تو      که بیش ازتو بودند برجای تو

وهي اقتباس لقوله تعالى في القرآن الكريم "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق إن ربك عليم حكيم". «سورة يوسف آية ٦»

ج) استغلال الشاعر لعنصر المناجاة للتعبير عن المواقف المهيجة للمواطن الانسانية التي تموج بها أحداث القصة. ومثالا على ذلك المشهد الذي يقف فيه يوسف وحيداً في الصحراء الموحشة مناجياً ربه وشاكياً له ظلم اخوته وقسوتهم عليه. ومن ذلك قوله:

- يا أعبد العبادلين      ويا مزين النجوم في السماء  
- انك حافظ كل مخلوق      وتسمع نجوى المناجين  
- فماذا أقول فأنت العليم البصير      وإنك الا له الواحد البصير  
- فاعف عن ذلك العبد العجوز      وسامحه ولا تأخذه على قوله

د) ابتعاد الشاعر عن السرد التقليدي المتعارف عليه في مثل هذا النوع من القصص التاريخي، تلك التي تعتمد على سرد الحوادث دون التعمق في المواقف والأحداث، والذي يولد السأم والملل في نفس القارئ ويعوق التسلسل الدرامي للأحداث.. وقد استعاض الشاعر عن أسلوب السرد باستخدام أسلوب "الحوار" بين شخصيات القصة..

هـ) تأكيد الشاعر في افتتاحيات الفصول على أنه يروي قصة واقعية عن رواة صادقين مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه..

أما عن أسلوب الشاعر في تناول الفنى للقصة، فقد حرص ذلك<sup>(١)</sup> الشاعر على أن يقدم القصة في إطار انساني ذي طابع شعبي يضمن به رواجها بين الناس. ومن المعروف أن التوراة وكتب القصص القرآني وكتب التفسير قد جعلت للقصة مذاقاً شعبياً محبباً لدى العامة والخاصة على السواء. بينما أكسبها القرآن الكريم منزلة دينية وأدبية رفيعة، وجعل منها نموذجاً ومثلاً لا ينسى في العظة والاعتبار والصبر على المكاره وانتصار الحق على الباطل.. ومن هنا كان حرص الشاعر على الاستفادة من كل تلك المصادر بالقدر الذي يخدم البناء الفني

(١) الأسلوب: هو الطريقة الفنية التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه لتحقيق أهدافه الفنية. والوسائل التي يمتلكها الكاتب هي الشخصيات والحوادث وجمعها في عمل فني متكامل.  
(محمد يوسف نجم: فن القصة، ص ١١٣)

للقصة ويضمن لها وضعا أدبيا مقبولا لدى مختلف الناس . ولتحقيق هذا الهدف اختار الشاعر أن يبدأ القصة من حيث بدأت في التوراة مصورا مراحل الصراع الإنساني بين الخير والشر . فقدم لنا الصراع بين "عيسا ويعقوب" على الفوز ببركة اسحق . وفرار يعقوب إلى الشام خوفاً على حياته . وانتقل الصراع فيما بعد إلى أولاد يعقوب أنفسهم إلى أن انتهى ببيع يوسف عبداً في مصر . واتجه الشاعر بعد ذلك إلى الغوص في أعماق نفسيات أبطال قصته لإخراج ما يموج بداخلها من مشاعر وأحاسيس انسانية قبل الأحداث التي تجري حولهم . ولهذا نراه يخصص مساحة واسعة من رقعة العرض لبكائيات يعقوب في بيت الأحزان حتى ابيضت عيناه كمدأ وحسرة وألماً على فراق يوسف . كما قدم مساحة واسعة للمشاهد التي يقف فيها يوسف مناجيا ربه شاكياً له ظلم اخوته وقسوتهم عليه . كما حرص الشاعر على تضمين قصته مشهد بكاء يوسف عند قبر أمه شاكياً لها قسوة اخوته وظلمهم وتجبرهم . كما عمل الشاعر على وصف مشاعر الخوف والقلق التي انتابت يوسف داخل البئر إلى أن هبط عليه جبريل وأشاع في نفسه الطمأنينة والسكينة .. ولما أوقفه في ساحة البيع في مصر حرص على أن يضع أبياتاً على لسانه تثير في النفس مشاعر الشفقة والرحمة بهذا الطفل المظلوم . ومن ذلك قوله :-

- من يشتري غلاما يتيما أسيرا      لا ممين له في الدنيا  
- من يشتري غلاما حزينا كاسف البال      كانت قدمه في القيد حتى أمس  
- من يشتري غلاما ضال الطريق      حبالاً به سوء القيد<sup>(١)</sup>

ولما انتقل يوسف من بادية كنعان إلى معيشة مزقة في قصر زليخا لم ينس أحزانه على فراق والده ، فكان يخرج ليلاً إلى الصحراء ويقف في ظلمتها مناجيا ربه وشاكيا له قسوة الحياة ووحشتها بعيداً عن أهله وذويه .

(١) - كه خرد غلامی يتيم وأسيرا      كه کسی نیتش درجهان دست کنیر  
- كه خرد غلامی ذلیل وغریب      كه کسی نیتت مررد اورا طیب  
- كه خرد غلامی کسریزان بهای      نه باکیزه منزونه شایسته رای

هذا وقد حرص الشاعر على أن ينقل لنا كل هذه المواقف الإنسانية لأبطال قصته داخل إطار مأساوي حزين. ويحمد له أنه لم يكن مجرد راوٍ لأحداث تصور وقائع تاريخية مجردة، بل إنه كان كثيراً ما يحدد موقفه من شخصيات قصته ويتعاطف مع جوانب الخير في تلك الشخصيات وخير مثال على ذلك تعاطفه مع احزان يعقوب ويتجلى ذلك في قوله:

- ومع أن عينيه صارت بلا نور من ذلك الألم فإنه كان حقاً ممدوراً في ذلك  
- فالرجل الذي يفقد ابناً مثل يوسف يفقد بصره من ذرف الدم<sup>(١)</sup>

وفي مشهد آخر يعقب على موقف يعقوب من الأعرابي الذي أوصل إليه رسالة من يوسف، فيقول:

- إذا كنت تريد الحسن في الدارين ويـلـوـغـوـعـود الـلـه  
- فلا تحم إلا حول الطيبين الأطهار ولا تبتعد لحظة عن خالق الدنيا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

هذا.. ومن العناصر الايجابية في أسلوب الشاعر في هذه المنظومة استغلاله لشخصية يوسف وما تمثله من مكانه دينية - باعتباره نبياً مرسلًا - لتوجيه النصيح والارشاد إلى بنى البشر عامة. فالنصح يستحب ويقبل من الأنبياء والرسول. بالإضافة إلى أن يوسف هو الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث القصة والتي ظهرت في مراحل حياتها المختلفة في صورة «مأساوية» تثير في النفس الشفقة والرحمة وتحمل الإنسان على التعاطف معها في مواقفها المختلفة داخل أحداث القصة.. كما حرص الشاعر على أن تتسم الأحداث الرئيسية لقصته بالصدق والموضوعية وقد تم له ذلك بفضل أمانته في نقل الأحداث من مصادرها الدينية سواء في التوراة أو القرآن الكريم أو كتب التفسير المختلفة. إلا أننا نعيب عليه أسلوبه في تناول الفنى لحادث المراودة بين يوسف وزوج العزيز. فقد اتبع

(١) - كسرش ديسده زآن درد بن نور بسود  
- كسى كش جو يوسف از او كمشود  
(٢) - آكر نيكخواهى بهرد وسراى  
- بجز كرد بساكان ونهكان مگرد  
روا بسود حقا وممدور بسود  
زخون راند نش ديدها كمشود  
رسيدن بدانوعده هياى خدای  
مشو يكزمان ازجها ندار فرد

الشاعر الاسرائيليات التي شاعت وراجت ظلما وافتراء على موقف يوسف في هذه الحادثة، إذ ذهب مذهب أصحاب الاسرائيليات فيما أدعوه زاعمين بأن يوسف هم بارتكاب المعصية مع زليخا وقعد منها مقعد الرجل من امرأته.. ومن ذلك قوله: -

- وحين جاء الهوى إلى الباب كالغبار الأسود صار العقل متهما وكبه على رأسه  
- فاشتعلت نار في قلبه فأحرق حياءه كله  
- فلما مال قلبه مع هواه حل الرجل بسرعة ثلاثة أربطة من عقدة إزاره<sup>(١)</sup>

كما نعيب عليه كذلك وصفه المفرط في الحسية لجسد زليخا ومفاتها وطريقتها في غواية يوسف.

\*\*\*\*\*

هذا... ومن السمات الأخرى لأسلوب هذا الشاعر حرصه على أن تنتهي القصة نهاية سعيدة وذلك بعد أن سيطر جو مأساوى على كثير من فصولها وأحداثها، فزوج زليخا بيوسف بعد أن أعاد الله عليها شبابها وجمالها وحسنها، وبعد أن تركت الدنيا واتجهت إلى الزهد، فتح الله طاقة حب في قلبها فأقبلت على الحياة مع يوسف ورزقها الله بالذرية الصالحة.. وقد مر بنا في تحليلنا الفننى للقصة كيف انصب اهتمام مؤلف المنظومة على الوصف الحسى لشخصيات القصة.. وإذا كان الشخص هو ابن بيئته فيما يصدر عنه من أفعال وأقوال تجاه أحداث حياته، فإن تصوير هذه البيئة يعد ركنا هاما وعاملا أساسياً في تصوير الشخصية نفسها.. ولهذا فإنه يعاب على هذا الشاعر عدم اهتمامه بتصوير البيئة<sup>(٢)</sup> التي عاشت فيها شخصيات القصة، رغم ما لهذا العنصر من

(١) - هوا جون سيه كرد آمد بدر خرد متهم شد فكندش بسر  
- جنان آتش بردلش برفروخت كه مرشرم اورا سرار بسسوخت  
- جودل برهوا جستنش ميل كرد سه بنده ازكره زود بكشاد مرد

(٢) نعى بالبيئة مجموعة العوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد وتؤثر في تصرفاته في الحياة وتوجهها وجهة معينة. فالإنسان لم يعد سيد نفسه بل هو عضو في أسرة كبيرة متشعبة وآلة ضخمة قوية هي يد الطبيعة أو يد القدر أو يد المجتمع وبيئة القصة هي حقيقتها الزمانية والمكانية وكل ما يتصل بوسطها الطبيعى وبأخلاق الشخصيات وشماثلهم في الحياة.  
(محمد يوسف نجم: فن القصة، ص٢٢، ٢٣)

أهمية في البناء الفني للقصة بفنونها المختلفة<sup>(١)</sup>. ذلك أن جوهر القصة لا يتم بمجرد إبلاغها إلى ذهن القارئ بأوجز العبارات، ولكنه ينبغي أن يمر من خلال حكاية كل حال من الأحوال التي يجمل ذكرها بحيث يخرج من مجموعها هيكل يُرسم وأشخاص تتحرك وتتكلم<sup>(٢)</sup>.

وقد اتفق نقاد الأدب على أن تصوير الواقع الخارجى له دوره الهام فى التشكيل الروائى للقصة بحيث يتآزر تصوير الواقع الخارجى "الزمان والمكان والأشياء" فى إلقاء الضوء على واقع الشخصية النفسى<sup>(٣)</sup>. وقد مر بنا فى هذه القصة مجموعة من الأماكن تمثل بيئة ومسرحاً لعدد من أحداث القصة وتنتقل بينها بطل القصة فى مراحل عمره المختلفة وتغير خلالها تكوينه الجسدى والنفسى، كما تغيرت طبيعة عمله. لكننا لم نحس بذلك ولم نلمسه إلا من خلال العرض التاريخى للشاعر. ورغم أن البيئة المكانية فى هذه القصة وما صاحبها من أجواء متابينة ومناظر مختلفة كان يمكن أن يكون لها تأثيراتها وردود أفعالها على بطل القصة وشخصياتها الثانوية. إلا أن هذا الشاعر تجاهلها تجاهلاً تاماً. فقد خرج يوسف من أرض كنعان «بطبيعتها البدوية» وانتقل إلى مصر «بطبيعتها الحضرية» بل إن الشاعر أنزل يوسف نهر النيل ليستحم فيه ولم يخطر بباله أن يصف هذا النهر وتضاريسه وما يحيط به من طبيعة خلابة. وحين انتقل يوسف إلى قصر العزيز - الذى يختلف كلية عن البيئة التى نشأ فيها يوسف فى كنعان، لم نلاحظ لذلك أثراً يذكر فى القصة. وكان قصر المرايا الذى أقامته زليخا هو المكان الوحيد الذى حظى باهتمام الشاعر فوصفه فيما لا يزيد عن سبعة أبيات..

(١) يرى الغنيمى هلال أن الوصف العام لمجالات الأحداث لا يجب أن يكون منعزلاً عن الحوادث والشخصيات فى القصة، إذ أن هذا الوصف يفسر الحالات والدوافع النفسية.

(الغنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث، ص ٥٢٥)

(٢) دأب الأفرنج فى كل نقطة من نقط الوصف على أن يشبعوها اشباعاً فيتخيل الكاتب فى كل نقطة من نقط الوصف أن الطبيعة واقفة أمامه حية تتكلم ويكون قلمه إذ ذاك كالفرشاة فى يد المصور الحاذق فلا تفوته أقل حركة يكون لها أثراً أو غاية فى مجموع المؤلف، ولذلك يخرج السفر من بين يديه وهو كالصورة المتحركة لا ينقصها عن محاكاة الطبيعة غير الصوت والحس..

(أحمد الهوارى: نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث، ص ٧٢، عصر ١٩٨٢م)

(٣) أحمد الهوارى: نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث، ص ٦٢.



أما عن تصويره للجو التاريخي للقصة وما يتصل بهذا الجو من ظروف وعادات تؤثر في أخلاق الشخصيات وتوجه تيار الحوادث، فقد لاحظنا أن الشاعر تعرض لذلك من خلال بعض حوادث متناثرة من القصة منها على سبيل المثال تصويره للصراع بين عيسا ويعقوب باعتبارها عادة من العادات التي عرفت عن أسرة يعقوب وكان لها تأثيرها في الصراع داخل هذه الأسرة. كما صور لنا حادثة تاريخية أخرى عن زواج يعقوب بابنتي خاله "ليا" وراحيل، وكانت الحادثة التاريخية الثالثة التي استلهمها الشاعر من التاريخ هي قصة اتهام يوسف بالسرقة من قبل عمته وواستبقائه عبداً عندها لمدة سنة طبقاً للعادة والعرف في ذلك الزمان. وكان لهذه الحادثة أثرها في نفسية يوسف بعد أن شاعت عنه وذاعت بين الناس ورددتها اخوته على مسامعه وهو في منصب العزيز..

\*\*\*\*\*

ولنا أن نتساءل في نهاية هذا العرض التحليلي للقصة هل تحققت وحدة<sup>(١)</sup> الحدث الدرامي للقصة؟ وللإجابة على هذا التساؤل يجب أن نتذكر أن فكرة القصة قامت على تحقيق رؤيا يوسف "الأحد عشر كوكبا" وتحقيق هذه الفكرة وما تبعها من صراع بين أخوة يوسف وما نتج عن ذلك الصراع من مؤامرة للتخلص منه يمثل وحدة عضوية لهيكل البناء الفني للقصة، وتتحصر هذه الفكرة في الصراع بين الخير والشر، الخير الذي يمثله يوسف ويعقوب، والشر الذي يمثله الأبناء العشرة إضافة إلى زليخا ونسوة المدينة.

وتدخل الحوادث الفرعية (حادثة الصراع بين عيسا ويعقوب \_ حادثة المراودة حادثة الهم) ضمن الكيان العضوي لموضوع القصة..

(١) يقصد بوحدة الحدث تركيز الحقائق حول حقيقة واحدة جوهرية أو فكرة عامة أو شخصية أساسية تتعلق بها الحقائق والأفكار والشخصيات الأخرى، وينتج عن ذلك وحدة الاهتمام ووحدة الشعور بالموضوع أو الشخصية، ثم تتقدم القصة في الحركة لتضاعف الشعور والاهتمام بالموضوع بعرض الحوادث أو بوصف صداها في الأبعاد النفسية للشخصيات.

(الغنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث : ص ٥١٠)

وقد تجلت وحدة الحدث في القصة في ترتيب أحداثها. لتحقيق الغاية من القصة وتحقيق فكرتها التي قامت على حلم في مخيلة يوسف عليه السلام وتحول هذا الحلم إلى حدث وواقع حتى له هيكل تمثل في شكل مؤامرة الأخوة وما انتهت إليه هذه المؤامرة من نتيجة مرجوة لدى أولاد يعقوب "أبعاد يوسف ليخلوا لهم وجه أبيهم" ثم واصل الحدث تطوره نحو ذروته التي عرضناها في الدراسة الفنية للقصة.. إلى أن تحقق حلم يوسف واعتلى عرش مصر وسجد له أبواه وأهله، وتحققت في النهاية فكرة انتصار الخير على الشر.

\*\*\*\*\*

## الفصل الثانى

### أوجه البلاغة فى لغة المنظومة

كتب الشاعر قصة يوسف وزليخا باللغة الفارسية الإسلامية<sup>(١)</sup> التى تتوافر فيها الكلمات العربية نظراً لارتباط القصة بأصل دينى فى التوراة والقرآن الكريم. ومن المتعارف عليه بين علماء اللغة أن كثرة استخدام اللغة العربية ووفرة الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية يعد مقياساً للرقى الأدبى عند الفرس. وعلينا أن نضع فى الاعتبار ونحن نؤكد ريادته فى هذا المجال أنه - أى الشاعر - كان ينقل عن مصادر أغلبها عربية، وإن كان بعضها مترجماً إلى اللغة الفارسية مثل كتابى "تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى". ومن هنا كان نقله للأفكار التى وردت عند أصحاب كتب التفسير منطقياً ومنسجماً مع طبيعة موضوع القصة. ولهذا رأينا الشاعر ينقل مشاهد بأكملها من بعض كتب التفسير وكتب القصص القرآنى مستخدماً جملاً فارسية نصف كلماتها عربية الأصل<sup>(٢)</sup>.

---

(١) لما دخلت فارس فى الدين الإسلامى أقبل الفرس على تعلم اللغة العربية تاركين لغتهم ومعتقداتهم القديمة. واستمر النشاط الأدبى فى فارس خلال القرنين الأولين للإسلام - أى السابع والثامن ومنتصف التاسع. وتطور الأمر وظهرت الدول الإسلامية الإيرانية كالطاهرية والصفارية والسامانية ليتم ظهور اللغة الفارسية الإسلامية التى استعارت من اللغة العربية أبجديتها. بل وأخذت منها الكثير من المفردات التى لا تزال حتى الآن تمثل نسبة كبيرة من تلك اللغة.

(السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى؛ ص ٥)

(٢) يبلغ عدد الكلمات العربية فى كل صفحة من صفحات المنظومة ما يزيد على الكلمات العشر. ومن ذلك قوله فى أحد أبيات القصة: =

هذا وقد صاغ الشاعر القصة بأسلوب يغلب عليه السهولة والوضوح في أغلب مشاهد القصة. وكان ذلك راجعا إلى استخدامه للجمل القصيرة. إضافة إلى استغلاله فنون البلاغة المختلفة وتوظيفها في ثنايا القصة...

ويجمل بنا أن نقدم في هذا الفصل ألوانا من فنون البلاغة التي استخدمها الشاعر في صياغة مشاهد القصة على النحو التالي:

(١) فن الترصيع: (١) يكثر الشاعر من استخدام هذا الفن وذلك في مثل قوله:

- زكيتى هرآنكس كه دانا تراست      دربايه ومايه بالا ترست

ومعناه:

- وفي الدنيا فإن كل صاحب علم      له المنزلة الرفيعة والشأن العظيم

الشاهد "بايه" و "مايه" ..

وقوله:

- زبان زنان همه مصر باک      ورا برده صبر کردند جاک

ومعناه:

- فقد مزقت السنة نساء مصر      حجاب صبر زليخا

والشاهد: في كلمتي "زبان" و "زنان"

وقوله:

- بسی گوهر داستان سفته ام      بسی نامه باستان كفته ام

- ببزم وبرزم وبيكين وبمهر      يكي اززمين ويكي از سبهر

= كسريم است وجان آفرين و حكيم      سميع و بصير و حلیم و علميم

- ومعناه: كريم و خالق الروح و حكيم      سميع و بصير و حلیم و علميم

(١) معناه في الفارسية نظم الجواهر، ويكون بأن يقسم الشاعر العبارات في النظم أو النثر إلى أقسام بحيث تتساوى فيها كل كلمتين وتتفقان في الوزن والروي.

(الرادوياني: ترجمان البلاغة: ت د. محمد نور الدين، ص ٦٦، مصر ١٩٨٧م)

ومعناه:

- كم صنفت من جواهر الحكايات  
- عن المجالس والحروب والبغضاء والحب  
وكم ألفت من الكتب القديم  
عن الأفلاك وعن الأرض

وقوله:

- توئى بي شريك و توئى بي مثال  
تسوئى حى داور توئى بي زوال

ومعناه:

أنت بلا شريك لك ولا مثال  
وأنت الحى السبب ابقى

(٢) الجناس التام (١)

وذلك فى مثل قوله:

- سر انجام كفت اى همايون عزيز  
ذليلان عالم بمعزت عزيز

الشاهد: فى كلمتى "عزيز" و "عزيز" فالأولى يقصد بها عزيز مصر والثانية  
بمعنى عزيز فى الدنيا .

ومعنى البيت:

وقال فى النهاية: أيها العزيز المبارك  
إن أذلاء العالم أعزاء بالمعزة

وكذلك قوله:

- زبیم خداوند شرم بدر  
برون جست يوسف زخانه بدر

ومعناه:

- من خوف الله ومن الخجل من أبيه  
قفز يوسف من البيت إلى الباب

فقد جانس الشاعر بين كلمتى "بدر" بمعنى «الأب» و "بدر" بمعنى الباب:

(١) ويكون هذا الفن بوجود كلمتين أو أكثر متشابهة الصورة فى النطق والكتابة ولكنها مختلفة فى المعنى، ويجب أن تكون هذه الكلمات متفقة فى التركيب وفى الحركات دون زيادة أو نقصان.

(رشيد الدين الطواطى: حدائق السحر فى دقائق الشعر، ت الشواربى صد٩٤، مصر ١٩٤٥م)

وقوله:

- گشادست برتودرکاخ وکنج نبایدت بردن بی گنج رنج

ومعناه:

- باب الخزانة والقصر مفتوحان لك ولا يلزمك أن تعنى نفسك من أجل المال

فقد جانس الشاعر بين «كلمتى «كنج» بمعنى «الخزانة» والأخرى بمعنى «المال»

ومنه قوله:

- که داند که از شرم جونیبود جون که از شرم و رخصاری شد جون خون

ومعناه:

كيف كان حاله من الخجل لقد صار خده من الخجل مثل الدم

وقد استخدم الشاعر كلمة "جون" بمعنيين الأولى بمعنى "كيف" والأخرى بمعنى

"مثل".

وقوله:

نگفتم زیانم خود این داستان نبودی بدین هوش هم داستان

ومعناه:

إن لسانى لم يقل هذه الحكاية ولم تكن أنت بهذا الفعل موافقا لى

وقوله:

کرامی ترت بودم از جان خویش نبودت زمن هیجکس بیش بیش

ومعناه:

وكنت عندك اظلى من روحك ولم يكن لديك أحد أكثر اعزازا منى

فقد استخدم الشاعر كلمة بیش بمعنى "كثير" ومرة أخرى بمعنى "من

قبل"

(٣) الجناس الناقص (١)

وذلك في مثل قوله:

- كواهي همى داد روشنندكش كه درگل نهان كشت خواهد گلش

ومعناه:

- وأدرك بوضوح أن وردته سوف تختفي في التراب

فقد جانس الشاعر بين كلمتي "گل" بمعنى الطين و"گل" بمعنى "الورد" وكذلك قوله على لسان يعقوب مخاطباً أبناءه:

- باندرز مانتان بند هوش دل كنون لا جرم گل فروشد بگل

ومعناه:

- ولم تنتبه عقولكم وقلوبكم فلا جرم أن الزهرة دفنت في التراب

(٤) التجنيس الزائد، (٢)

وذلك في قوله:

- زييفمبرانك كنيم اختيار شود نامه نام تو آشكار

ومعناه:

- وسنختارك رسولا من رسلنا وستظهر رسالتك ظهوراً بينا

والشاهد: هو في لفظ "نام" بعد أن زاد عليه حرف الهاء

وقوله:

- زماني عبادت همى گستريد بنزديك آنكو عباد آفريد

(١) هو كالتجنيس التام في اتفاق الحروف، ولكنه يختلف عنه في اختلاف الكلمات المتشابهة في الحركات. مثاله:

جبة البرد وجنة البرد، وفي الفارسية: راه كشنده وكرماه كشنده ومعناه قاطع للطريق قاتل للكرام.

(المرجع السابق: ص ٩٥).

(٢) ويسمونه التجنيس المذيل ويكون بتجانس الكلمتين في الحروف والحركات، ولكن إحدى الكلمتين تنتهي بحرف زائد.

(المرجع السابق ص ٩٦)

ومعناه:

- وقضى مدة فى العبادۃ مستقرباً لمن خلق العباد  
والشاهد: فى كلمتى "عباد" و "عبادت"  
وكذلك قوله على لسان زليخا:

- بدورهر كسز روى فراز كه اى رويت از نيكوئى بى نياز

ومعناه:

- فقالت لكل واحدة يا من وجوهكن مستغنية بالحسن  
والشاهد: فى كلمتى: "روى" و "رويت"  
التجنيس المكرر<sup>(١)</sup>:

ومنه قوله واصفا حالة يعقوب بعد فقد يوسف:

- دگر باره نامرده جون مرده شد روان دربيش زار وبرمرده شد

ومعناه:

- مرة أخرى أصبح كالميت بغير موت وضعفت الروح وذبلت

والشاهد: هو فى كلمة "مرده" حيث وردت بمعان مختلفة فى نفس البيت

التجنيس المطرف:<sup>(٢)</sup>

ومنه قوله على لسان يعقوب مخاطباً ابناه:

- يكى حجت است اين ز كرك تباه نكويد چنين مرد باراي وراه

(١) ويسمونه أيضاً "المردد" او المزدوج ويكون بان يجعل الكاتب او الشاعر فى نهاية الأسجاع او أواخر الأبيات لفظين متجانسين ويجب أن يكون هذان اللفظان متتاليين ويجوز أن يكون فى صدر اللفظ الأول منهما زيادة. ومثاله فى الفارسية: -

«فلان زار ونزار است» ومعناه فلان حزين وهزيل»..

(٢) ويكون هذا النوع باتفاق الكلمتين المتجانستين فى جميع حروفهما ما عدا الحرف الأخير منهما. ومثاله فى الحديث النبوى: «الخيل معقود فى نواصيها الخير» ومثاله فى الفارسية: «دل كريم از آزار آزاد باشد» ومعناه:

قلب الكريم يخلو من الأذى.

(المرجع السابق: ص ٩٨ : ٩٩)



والشاهد: هو في كلمتي "راى" و "راه"

ومعناه:

- هذه الحجة عن الذئب فاسدة لا تصدر عن صاحب رأى ودراية

ومنه كذلك قوله:

بچاه اندرون مرده زود برآرد زوى مرك ناچار دود

الشاهد: في كلمتي "زود" و "زوى"

ومعناه:

وفي داخل البئر سوف يموت وحده بسرعة ولا بد أن يصعد منه دخان الموت

وكذلك قوله:

- نشستن برخشك بالان بود نه بالاي اورخت ألوان بود

ومعناه:

- وأن يكون جلوسه على برده خشنه مجردة من الألوان

والشاهد: هو في كلمتي «بالاي» و «بالان»

التجنيس المركب<sup>(١)</sup>

ومنه قوله:

- از آغازتا من ترادیده ام نه ازدل بكامم نه از دیده ام

ومعناه:

- ومنذ أن رأيتك في البداية وأنا لست سعيدة بقلبي ولا قريرة بعيني

---

(١) وذلك بأن تكون إحدى اللفظتين المتجانستين - أو كلاهما - مركبة. وينقسم إلى قسمين، القسم الأول: تتشابه فيه الكلمتان في اللفظ وفي الخط والقسم الثاني: تتشابه فيه الكلمات في اللفظ وتختلفان في الخط وهي هذه الحالة يسمى بالتجنيس المفروق. ومثاله في النثر العربي كنت أطمع في تجريبك، مطايا الجهل تجرى بك، ومثاله من النثر الفارسي "من مرده نيم ولكن مرد نيم" ومعناه "أنا لست ميتا ولكنى لست انسانا" (المرجع السابق ص ٩٧)

والشاهد: هو في كلمتي «ديده ام» بمعنى «رأيتك» و «ديده» بمعنى «عين»

التجنيس المفروق:

ومنه قوله:

- هم از مام وهم بساب زاده ايم بمهر ببيوند آزاده ايم

ومعناه:

- أنت شقيقتي من الأم والأب يربط الحب والأصل بيننا

والشاهد: هو في "زاده ايم" و "آزاده ايم"

وكذلك قوله:

- بگستر يكي فرش خوب از بهشت ملون جو بستان اردي بهشت

ومعناه:

وابسط فرشاً جميلاً من الجنة ملون مثل حديقة في شهر اردي بهشت

تجنيس الخط: (١)

يسرف الشاعر في استخدام هذا اللون من البلاغة إسرافاً شديداً، ربما

لسهولته ولهذا فإن الأمثلة عليه كثيرة في القصة على النحو التالي:

من ذلك قوله:

- سبک خواندار ويرا جواب كه من ساخت خواهم يكي نغز خواب

والشاهد: في كلمتي "جواب" و "خواب"

ومعناه:

- فأجابه مشرف الخان في الحال أنني سأصنع حلماً جميلاً

وقوله:

- بجاهش فروهشت شمعون بخشم برون كرد آب حياراز چشم

---

(١) ويسمونه أيضاً المضارعة أو المشاكلة، ويكون بتشابه الكلمتين المتجانستين في الخط مع اختلافهما في النطق،

ومثاله في الفارسية "شب تاريك وراه باريك، ومعناه الليل مظلم والطريق ضيق".

(المرجع السابق ص ١٠٢)

ومعناه:

- وانزله شمعون إلى البئر بحقد وأفرغ العين من ماء الحياة

والشاهد: هو في كلمتي "خشم" و "جشم"

وكذلك قوله:

- جه مرد زبر دست وجه زير دست بدند آنزمان سریت برست

ومعناه:

- كان الناس في ذلك الزمان غنيهم وفقيرهم وعظيمهم وحقيرهم عبدة للأصنام

والشاهد: هو في كلمتي "زير" و "زبر"

وقوله:

- چو آگاه شد که ازچه نالد همی دلش راجه تيمار بالدهمی

ومعناه:

- وحين علم مما يشتكى الذئب وأى جرح أصاب قلبه

والشاهد: هو في كلمتي "نالد" و "بالد"

وكذلك قوله:

- مكو نقش ديبای زربافته است جوره برتن گل رخی تافته است

ومعناه:

- لا تقل ما أحسن نقش الديباج المنسوج بالذهب حيث يكون ملقا على ذي وجه وردى

والشاهد: هو في كلمتي "بافته" و "تافته"

وقوله:

- ببايد که بادی همين داستان بگوئيد ای پاک باک دل راستان

ومعناه:

أيها الرفاق ذوو القلوب الطاهرة يجب أن تقولوا لي تفسيرا لهذه الحكاية

والشاهد: هو في كلمتي "راستان" و "داستان"

وكذلك قوله:

- بياراست آن روى آراسته      ز نور جهان دار ييراسته

ومعناه:

- وزينت ذلك الوجه المزين والمحلى      بنور ملك العالم المزين

والشاهد: هو في "بياراست" و "آراسته" و "ييراسته"

"الأسجاع"

(١) السجع المتوازي<sup>(١)</sup>:

يشكل هذا النوع من البلاغة ركنا أساسياً من فنون البلاغة التي اعتمد عليها الشاعر في صياغة القوالب البلاغية لمنظومته، حتى أن أغلب عروض الأبيات وأعجازها يعتمد اعتماداً رئيسياً على السجع المتوازي ولذلك فالأمثلة على هذا اللون من البلاغة وفيرة وفرة لأحد لها، نختار منها ما يلي:-

- بدان بي رهان گفت كاین نیست روى      نباید زمیدان جنین برد كوى

ومعناه:

- وقال لهؤلاء الضالين      إنه ليس معقولاً أن يتم الأمر هكذا

والشاهد: هو في كلمتي: "روى" و "كوى"

وكذلك قوله يصف حادثة اسقاط يوسف في البئر:

- رسن را بکردند درجه دراز      همی رفت درجاه ماه از فراز

ومعناه:

- وطولوا الحبل في البئر      وكان القمر ينزل من أعلى إلى أسفل

(١) وذلك إذا وجدت في جملتين أو أكثر كلمات متفقة في الوزن وعدد الحروف والروى. مثالها من الحديث النبوي "اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً". ومثاله في الفارسية: كوى باخته واسب تاخته، ومعناه "العب الكرة وأجرى الفرس"

والشاهد: هو في كلمتي "دراز" و "فراز"

وكذلك قوله:

- بآب اندرش جایگه ساز خشك همه جاه را براز بوی مشك

ومعناه:

- واجعل موضعه على الماء يابساً واملأ البئر كله من عطر المسك

والشاهد: هو في كلمتي "خشك" و "مشك"

وقوله:

- زبانها همه شد ستایش گرش روانها همه شد روایش گرش

ومعناه:

- فالألسن كلها صارت مثية عليه والنفوس كلها صارت مطيعة له

والشاهد: هو في كلمات "زبانها" و "روانها" و «ستایش» و "روایش"

وكذلك قوله:

- دهسان از دل عاشقان تنگتر لب از سرخ یاقوت رنگتر

ومعناه:

- وفمها أضيق من قلب العاشقين وشفتها أكثر حمرة من الياقوت الأحمر

والشاهد: هو في كلمتي "تنگتر" و "رنگتر"

وقوله:

- دویستان اوجون دوسیمین انار اکر سرو سیمین آورد نار بار

ومعناه:

- ونهداها مثل رمانتین إذا كان السرو الفضي يثمر الرمان

والشاهد: في كلمتي "نار" و "بار"

- السجع المحرف<sup>(١)</sup>:

ومنه قوله في وصف زليخا:

- دو ساقش بسان دو سيمين ستون      بدان ايستاده كه بيستون

ومعناه:

- ساقاها مثل عمودين من الفضة      واقف عليهما جبل بيستون

والشاهد: في كلمتي "ستون" و "بيستون"

وقوله:

- رضاي خدای جهان آفرين      نيابند دركار های جنين

ومعناه:

- إن رضاء الله خالق العالم      لا يظفر به في مثل هذه الأعمال

والشاهد: في كلمتي "آفرين" و "جنين"

وكذلك قوله:

- هوای تودر كور يارم بود      نكهدار وانده گسارم بود

ومعناه:

- إن هواك سيكون مصباح قلبي      وحارسي وأنيسي

والشاهد: هو في كلمتي "يارم" و "گسارم"

وكذلك قوله:

- سر انجام گفتم بآن سيمتن      كه أي دیده دايه خویشتن

(١) وذلك إذا وجدت في آخر جملتين أو أكثر كلمات متقمة الروي ولكنها مختلفة من حيث الوزن وعدد الحروف.

ومثاله من القرآن الكريم "ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا"

ومثاله في الفارسية "فلانرا كرم بسياراست وهر بي شمار" ومعناه "فلان مكارمه كثيرة وأفضاله لا تحصي"

(المرجع السابق ص ١٠٦)

ومعناه:

- وفي النهاية قالت لتلك الفضية البدن يا قرة عين مريبتك  
والشاهد: هو في كلمتي "سيمتن" و "خويشتن"

وكذلك قوله:

- بشد دايه وخواند كا آوران مهندس تنى جند زيرك سران

ومعناه:

- فمضت الداية واستدعت الصناع وعددا من المهندسين والخبراء المهرة  
والشاهد: في كلمتي "آوران" و "سران"

وقوله في وصف قصر المرايا الذي اعدته زليخا للقاء يوسف:

- همه سقف وديوارها وزمين ببوشيد برتخته آبكين

والمعنى:

- وأن يغطى سقفه وجدرانه وأرضه بألواح السبلور

والشاهد: هو في كلمتي "زمين" و "آبكين"

السجع المتوازن<sup>(١)</sup>:

ومنه قوله:

- نداند كس آغاز وانجام او جهان هست بر عدل واحكام او

(١) ويكون بأن ترد في أول الجملتين أو في آخرهما أو في أول المصراعين أو آخرهما كلمات تتفق من حيث الوزن ولكنها تختلف في حروف الروى. ومثاله من كتاب الله: "وآتيناها ما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم" وقوله في الفارسية:

- شامى كه رخس اورا دولت بود دليل شاهى كه تيغ اورا نصرت بود فسان

ومعناه:

- أنه ملك تصبغ السعادة دليلا لجواده وسلطانه

«المرجع السابق ص ١٠٦ و ص ١٠٧»

ومعناه:

- لا يعلم أحد بدايته ولا نهايته والعالم قائم على عدله واحسانه

والشاهد: هو في قوله "آغاز" و "انجام" و "عدل" و "أحكام"

وكذلك قوله:

- دل بآك تو عادل ومنصف است اگر عاشق چهره يوسف است

ومعناه:

- إن قلبك الطاهر يكون عادلا ومنصفا إذا كان عاشقا لوجه يوسف

والشاهد: هو في قوله "عادل" و "عاشق"

وكذلك قوله:

- منور شد ایوان ز دیدار او منقش هـواز دورخسار او

ومعناه:

- فنور الايوان بوجهها وتزين الهواء بخديها

والشاهد: هو في كلمتي "منور" و "منقش"

وكذلك قوله:

- منور منقش معطر بجشم بيامد دكر با زآنشوخ جشم

ومعناه:

- وجاءت هذه الجريئة مرة أخرى وهي تبدو للعين منورة منقشة ومعطرة

والشاهد: هو في كلمات "منور" و "منقش" و "معطر"

وكذلك قوله:

- هم ازمام وهم باب هم زاده ايم بيمهر بسويند آزاده ايم

ومعناه:

- انت شقيقتي من الأب والأم يربط بيننا الحب والأصل



والشاهد: هو فى كلمتى "مام" و "باب"

الاشتقاق<sup>(١)</sup>.

هذا الفن من البلاغة شحيح فى المنظومة وعلى هذا فإن الأمثلة عليه قليلة فى المنظومة. ومن ذلك قوله عن المولى عز وجل:

- توائى زناجيز جيز آفريد هم ازتو شود جيزها نابديد

ومعناه:

- وتستطيع أن تخلق الشئ من العدم وتنعدم الأشياء بقدرتك

والشاهد: فى هذا البيت بين كلمات "جيز" و "جيزها" و "ناجيز"

وكذلك قوله عن دخول عدد كبير من أهل مصر فى دين الله أفواجا عدا زليخا التى جلست حزينة . ويصف ذلك قائلاً:

- بجزآنز ليخاى انده زده بدان غمزده جاى ما تم زده

ومعناه:

- عدا زليخا تلك المسحوقة فى الحزن حزيننة فى ذلك المأتم

والشاهد: هنا بين كلمات "انده زده" و "غمزده" و "ما تم زده"

وكذلك قوله عن يوسف:

- خدایش رهانید ازبى رهان رها كرد ازكيد بدخواه جان

---

(١) ويسمونه الاقتضاب، ويمتبره اصحاب البلاغة نوعاً من التجنيس ويكون بأن يورد الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه الفاظاً متقاربة الحروف فى النطق. وأمثلة الاشتقاق فى كتاب الله كثيرة منها قوله "يا أسفى على يوسف وقوله جل وعز" وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين". وفى الفارسية قول الشاعر "أكر بدره رساند همى بيدر منير مبادرات كن وخامش مناش جندينا".

ومعناه:

إذا أوصلتك البدره إلى البدر المنير فبادر إليه ولا تصمت هكذا

المرجع السابق ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

ومعناه:

- ونجاه الله من هؤلاء الضالين وخلص روحه من كيد المنتقمين

والشاهد: في هذا البيت بين كلمات "بي رهان" و "رهانيد" و "رهاکرد"

المقلوبات<sup>(١)</sup>؛

ومنها: -

(أ) مقلوب الكل<sup>(٢)</sup>؛

وذلك في مثل قوله؛

- بگفتار وکردار یار تونیست بجزنیکوئی رای وکار تونیست

ومعناه:

- فانه لا نظير لك في القول والسلوك إلا الرأى الصائب والعمل الطيب

والشاهد: في كلمتي "يار" و "رای"

وكذلك قوله؛

- دگر روز بامرد خواندار گفتم كه ای باخرد یار وبا رای جفت

ومعناه:

- وفي اليوم التالي قال الرجل للمشرف على الخان أيها العاقل صاحب الرأى

والشاهد: في كلمتي "يار" و "رای"

(ب) مقلوب البعض<sup>(٣)</sup>؛

ومنه قوله

- ستم دیده یعقوب کردش نگاه درآن گرگش جواره بی کناه

(١) هي جملة من الصناعات الفريية البديعة التي يتخذونها في النظم والنثر وتدل على قوة الشاعر وسلامة طبعه وخاطرهم.

(٢) ويكون بأن يجعل التقديم والتأخير في جميع حروف الكلمة من أولها إلى آخرها مثل "سك" بمعنى كلب" و"كس" بمعنى شخص" و "ريش" بمعنى "ذقن" و "شير" بمعنى "أسد"

(٣) ويكون بأن توجد في النظم أو النثر كلمتان أو أكثر يكون فيهما تقديم وتأخير في بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الاختلاف، الحروف كلها مثل "رقيب" و "قريب" وشاعر و "شارع"، وفي الفارسية "رشك" بمعنى "حسد" و "شكر" بمعنى "سكر"

ومعناه:

- فنظر يعقوب المظلوم إلى ذلك الذئب المسكين البيرئ

والشاهد: هو في كلمتي "نكاه" و "كناه"

وكذلك قوله:

- چوشد خوردنی جمله شستد دست بنزدیک یعقوب یوسف نشست

ومعناه:

- فلما انتهوا من الطعام غسلوا جميعا أيديهم وجلس يوسف بجوار يعقوب

والشاهد: هو في لكمتي "شستد" و "نشست"

"رد العجز على الصدر"<sup>(١)</sup>؛

ومنه قوله على لسان يعقوب مخاطباً ومعاتبا ابناؤه على تقصيرهم في حق

يوسف

- بدادی شما یوسفم بیاد بدادی زید مهری خویش داد

ومعناه:

- لقد سلمتم يوسف للريح وافنيتموه من سوء محبتكم

والشاهد: في "دادى" و "داد"

وكذلك قوله:

- بدر شادمان بد بهر بسر بسر شادمان بد بهر بدر

(١) يعتبر هذا الفن من العلوم المختارة والصناعات المحببة المقبولة في باب البلاغة. والمعجز هو آخر البيت،

والصدر هو أوله، والبيت المردود عجزه على صدره يسميه الفرس المطابق أو المصدر. وتكون هذه الصنعة بأن

يذكر الشاعر في أول كلامه المنثور أو بيته المنظوم لفظة معينة، ثم يذكرها ثانية في آخر العبارة أو البيت، ومنه قوله:

- طلب ملکم فسلب ما طلب ونهب ما لهم فوهب ما نهب

وفي الفارسية: كُوهر شناس داند قدر كُوهر "ومعناه" الصائغ يعزف قدر الجواهر".

«المرجع السابق ص: ١١٠، ١١١»

ومعناه:

- كان الوالد سعيدا بالأبن كما كان الابن سعيدا بالأب

وكذلك قوله على لسان العزيز موجهها لومه إلى زليخا:

- زكيد شما خيزد آفات ما عظيم است يكباره كيد شما

ومعناه:

- من كيدكن تنشأ آفاتنا إن كيدكن عظيم

المتضاد<sup>(١)</sup>:

ومنه قوله على لسان يوسف مخاطباً اخوته:

- بدان آب جنندان بيابى ثواب كه ازكشتن من نبينى عذاب

الشاهد: فى كلمتى "ثواب" و "عذاب"

ومعناه:

أنك ستجد فى ذلك الماء الكثير من الثواب . ولا تجد من قتله إلا العذاب

وقوله:

بدر سخت پيراست وجشمش تباه سفيدى ندارد همى ازسياه

ومعناه:

والوالد هـرم ضعيف لا يميز بين البياض والسواد

والشاهد: فى كلمتى "سياه" و "سفيد"

وقوله:

تن وجان سبردم بحكم خدای بسخت ويسست وبه بند وكشای

(١) يكون هذا الفن بأن يذكر الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه الفاظاً يكون الواحد منها مضاداً للآخر مثل

"حار" بارد "النور والظلمة"، وفى الفارسية "سرد" و "كرم" و "شيرين" و "تلخ"

(المرجع السابق ص ١١٧، ص ١١٨)

ومعناه:

- سلمت الروح والجسد لأمر الله وحكمه في الضعف والشدة والقييد والحرية

الشاهد: في كلمات "سخت" و "سست" و "بند" و "كشاي"

وكذلك قوله:

- توكل كنم برخدای جهان كه او بس مرا آشكار ونهان

ومعناه:

- وأتوكل على رب العالمين فهو وحده كافي في السر والعلن

والشاهد: في كلمتي "آشكار" و "نهان"

وقوله:

- بآرمكاه شد همه دام ودد بخفتند هر جانور نيك وبد

ومعناه:

- وهجعت كل الحيوانات المفترسة والأليفة ونام كل كائن حي طيب وشرير

والشاهد: في كلمات "دام" و "دد" و "نيك" و "بد"

الاعنات(١):

ومنه قوله على لسان يعقوب بعد أن أحضر له أولاده قميصا ملطخا بالدم

- گرامیتر از مال وجیز من است كه این بوشش آن عزیز من است

ومعناه:

- فهو أعز من مالي وأشياءى إذ أنه لبس عزي

---

(١) ويسمونه أيضاً لزوم ما لا يلزم، ويكون بان يتكلف الكاتب أو الشاعر شيئاً ليزين به كلامه ولا يكون هذا الشيء لازماً ويستقيم الكلام ويتم بدونه، كأن يلتزم في آخر الأسجاع أو آخر الأبيات حرفاً قبل حرف الروى أو الرديف، بحيث إذا لم يلتزمه لم يكن هنالك ضرر من ذلك، لأن غرضه من التزامه لم يكن إلا تنميق الكلام وتزيينه. ومثاله تاء "كتاب" و "عتاب"، وقاف "نقم" و "رقم" فلو أنه جعل كلمة "كتاب" مقفاة مع كلمة "صواب" لجاز ذلك ولجاز أن يجعل كلمة "رقم" مقفاة مع كلمة "علم"

«المرجع السابق ص ١١٩»

والشاهد: هو في استخدامه الضمير "من" لتزيين الكلام وجعله أكثر قبولا

وكذلك قوله واصفا حال يعقوب وتقواه:

- زمانى نبيد كونيبد باخدای اگرید نشسته اگرید بیای

ومعناه:

- كان دوما مع الله سواء كان واقفا أو جالسا

والشاهد: في هذا البيت هو استخدامه حرف الباء في "باخدای" و "بیای"

وكذلك قوله واصفا عمه يوسف:

که اوید همواره دین دارتر بکار خدائی کرفتارتر

ومعناه:

- فقد كآنت دائماً اتقى النساء وأحرصهم على عبادة الله

والشاهد: هنا هو في استخدامه أداة التفصيل "تر" وكان من الممكن الاستغناء عنها.

تضمين المزدوج<sup>(١)</sup>:

ومنه قوله:

- چب راست بیش وبس وزیر وزیر زلیخای بت روی سر بسر

ومعناه:

- كانت زليخا الجميلة الوجه تُرى في كل جهة يميناً ويساراً وأماماً وخلفاً وتحتاً وفوقاً

الشاهد: في كلمتي "بیش وبس" و "زیر" و "زیر"

---

(١) ويكون بأن يورد الشاعر أو الكاتب في عباراته أو أبياته لفظين أو أكثر مزدوجين وذلك بمراعاته لحدود الأسجاع والقوافي. ومثاله من القرآن الكريم: "وجنتك من سبأ نبأ يقين" وقول النبي: "المؤمنون هينون لينون"، وفي الفارسية هزاران جنبر از عنبر بروی روز بر بندى. ومعناه "إنك تمقد على صفحة النهار (أي وجهك الصبيح) كثيرا من الفللات العنبرية" (المرجع السابق ص ١٢١).

وكذلك قوله:

- نه بنشستى كش يريدن بود      نه بيوستنى كش بريدن بود

ومعناه:

- استقرارا لا طيران بعده      والتصاقا لا قطع بعده

الاستعارة<sup>(١)</sup>،

ومن ذلك قوله على لسان الشاعر يشكو قسوة الدهر عليه واشتعال رأسه شيئا:

- زمن دست گيتى بدزديد مشك      بجايش براكسند كافور خشك

- برآمد زناكاه باز سفيد      گسستند زاغانم ازجان اميد

ومعناه:

- وقد سرقت منى يد الدهر المسك      ونشرت مكانه كافورا يابسا

- وفجأة ظهر العقاب الأبيض      وقطعت غريانى الأمل من الروح

وكذلك قوله على لسان والدة يوسف حينما أحست بدنوا أجلها:

- چودست أجل شاخ من بشكند      بن وبيخ جانم زتن بركند

ومعناه:

- وعندما تكسر يد الأجل غصنى      وتقتلع جذور روحى من جسدى

وقوله على لسان زليخا من حديثها مع يوسف:

- جو فردا فلك تاج برسر نهد      جهانرا ز نور روشنائى دهد

ومعناه:

- وغداً حين يضع الفلك التاج على الرأس      ويوزع الضياء على العالم من جديد

(١) الاستعارة فى اللغة طلب العارية، ومعناها اصطلاحاً أن يكون للفظ معنى حقيقى فينقله الشاعر أو الكاتب من معناه الحقيقى إلى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية.. ومثالها فى القرآن الكريم: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة" ومثال آخر "واشتعل الرأس شيئا" وفى الفارسية "خاك عمل از عنبر معزولى به" ومعناه: "تراب العمل خير من عنبر البطالة والمزل" (المرجع السابق ص ١٢٢، ١٢٣)

وكذلك قوله:

- زبانه زدش آتشی برجگر كه دودش بر آمد سوى مفسر

ومعناه:

- واندلعت السنة النار في كبده ونفذ دخانها إلى رأسه

مراعاة النظير<sup>(١)</sup>؛

وذلك في قوله:

- بس ازخانان خاستش سيم وزر همان سرخ ياقوت ولعل وكهر

- همان دق مصرى وديباى روم كه هم جون بهارى بدش نقش بوم

همان عنبر وعود وكافور ومشك فروهشت بركونه خاك خشك

ومعناه:

- ثم طلب من الخزينة الذهب والفضة وكذا الياقوت الأحمر والمرجان والجواهر

- روكذا الحرير المصرى والديباى الرومى لذى أرضيته ونقشه مثل الربيع

- وكذا العنبر والعود والكافور والمسك وضعا أمامه على وجه التراب اليابس

وكذلك قوله

- أكر باخدايت بود راى وهوش زيان ودل ودانش وجشتم وكوش

ومعناه:

- فإذا كان رأيك وعقلك مع الله وكذا اللسان والقلب والادراك والعين والاذن

وقوله على لسان أولاد يعقوب ووعدهم إياه بالاهتمام بيوسف:

- بجان ودل وديده با بويم بدان ره كه اومان نمايد رويم

(١) ما تدخله هذه الصنعة يسمونه أيضاً بالمتاسب... وتكون بأن يجمع الشاعر في بيت من أبياته جملة أشياء من

جنس واحد كالشمس والقمر والسهم والقوس، والشفة والعين والوردة وزهرة الفل.

(حدائق السحر ص ١٢٠)



ومعناه:

- وسنكون معه بالانفس والقلب والعين ونسير في الطريق الذي يشير علينا به  
وكذلك قوله عن يوسف عليه السلام ومكانته عند ابيه:

- كرامى همى داشت اورا بدر بديبا ودينار وزر وكهر

ومعناه:

- كان الوالد يعزه ويكرمه بالديباج والدينار والدر والجواهر  
وقوله واصفا الحزام الذي تمنطق به يوسف عند عمته:

- كيانى يكى هفت چشمه كمر بياقوت وفيروزه ودرور

ومعناه:

- فهو حزام كيانى ذا عيون سبعة مرصع بالياقوت والفيروز والدر والذهب  
وقوله على لسان اخوة يوسف محاولين اقناع يعقوب بالسماح ليوسف بالذهاب معهم الى الصحراء:

- ببايد زمانى تفرج كند بسبازى ولهو وطرب دم زند

ومعناه:

- يجب أن يتفرج فترة من الزمن ويقضى الوقت فى اللعب واللهو والطرب  
(فقد جمع الشاعر بين اللهو واللعب والفرجة والتتزه والطرب)

\*\*\*\*\*

"تأكيد المدح بما يشبه الذم"<sup>(١)</sup>

ومنه قوله على لسان زليخا عن جمال يوسف عليه السلام:

- چو آتش رخش بر فروز همى وليكن هوش وصبر سوزد همى

(١) يكون ذلك بأن يؤكد الكاتب أو الشاعر مدحه لشيء بأن يذكر شيئاً آخر فى مناقبه ومحامده بطريقة تجعل السامع يظن أنه يريد أن يذمه وأن يرجع عن مدحه "ومثاله" هم بحار العلم إلا أنهم جبال الحلم" وفى الفارسية قولهم: "فلان مردى فصيح است جزآنکه خط نيكو دارد" ومعناه "فلان فصيح القول إلا أن خطه جميل"

(المرجع السابق ص١٢٢)

ومعناه:

وإذا كانت نار وجهه تضيء دائماً فإنها تحرق العقل والقلب

وقوله:

- رخش دیدنش جانش براو مردمک دهان بسته لیکن تمامی نمک

ومعناه:

- وجهها عين روحها عليه كأنسان العين

ويصف جمال يوسف قائلاً:

- دو چشمش جو چشم کوزنان سیاه وليکن براز اشک بیگاه وگاہ

ومعناه:

- وعیناه سوداوان مثل عين الوعل ولكنها مليئتان بالدموع بين لحظة وأخرى

وكذلك قوله في وصف جمال يوسف:

- كه تابنده خورشید برزمی ولي صورتش صورت آدمی

ومعناه:

- فقد كان شمسا منيرة على الأرض لكن وجهه وجه إنسان  
"الالتفات" (١)

منه قوله على لسان يعقوب مخاطباً أولاده ليحافظوا على يوسف ومبدياً خوفه عليه.. ويقول لهم:

- شما را از هوش غافل بود ورا نوش زهر هلاهل بود

ومعناه:

- ويفضل عقلكم عنه ويكون شرابه السم الهالك

(١) تكون هذه الصنعة بأن تنتقل العبارة من المخاطبة إلى المفاتيحة أو من المفاتيحة إلى المخاطبة، وكلا النوعين موجود في القرآن الكريم، فمثل الانتقال من المخاطبة إلى المفاتيحة قول تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم" ومن المفاتيحة إلى المخاطبة قوله تعالى "مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين" (المرجع السابق ص١٢٤).

وقول يعقوب لأولاده:

- بواجب ندارید را نگاه شود روز روشن بر اویر سیاه

ومعناه:

- ولا تراعوا الواجب في الحفاظ عليه ويصبح النهار المضي ليلاً مظلماً عليه

وكذلك قوله على لسان يعقوب معاتباً خاله لا بان حينما زوجه بليا بدلا من راحيل:-

- گشادم زبان گل ز تو خواستم بدان کَل من ازرنج دل کاستم

- ندادی کلم کآب دادی بروز که دیدنش بودی مرا دلفروز

تم ينتقل من المغايبة إلى المخاطبة قائلاً لخاله:

- که لیبانید هیچ دردفترم چه دیدی که کردی ورا همسرم

والمعنى:

- فحدثتك وطلبت منك الوردة وأردت أن أقلل من همومي بها

ولم تعطيني وردتي اليانعة نهراً والتي كانت رؤيتها مبهجة لقلبي

فلم تكن ليا في خاطري قط فلماذا ارتأيت حتى جعلتها زوجتي

وكذلك قوله على لسان يوسف راجياً أخاه انقاذه من العطش:

- بنجواى برادر تو درمان من که هر دم برآید ز تن جان من

ومعناه:

- فأبحث أيها الأخ عن علاج لي فإن روحى تخرج من الجسد مع كل نفس

"التشبيهات" (١):

القسم الأول: التشبيه المطلق: (٢)

ومنه قوله في وصف زليخا:

- همه گیسویشی بگوهر بیافت که همچون شب تیره ستاره زرویش بتافت

(١) تكون هذه الصنعة بأن يشبه الكاتب أو الشاعر شيئاً بشئ آخر في صفة من صفاته. وأجمل التشبيهات

وأكثرها قبولا لدى الطباع هي التي إذا انعكست وشبه فيها المشبه به بالمشبه فإن الكلام يستقيم مع ضجة المعنى وسلامته مثل تشبيه الطرة بالليل، فإنهم إذا شبهوا الليل بالطرة كان التشبيه كذلك مقبولا وجميلاً.

(٢) ويكون بتشبيه شئ بشئ آخر بواسطة أداة التشبيه وبدون شرط أو عكس أو تفضيل

(المرجع السابق ص ١٢٨، ١٢٩)

- چو ابریشمی تیره وتافته  
ومعناه:  
جو مشکین کمند گهر بافته

- ورصعت جداولها بالجواهر  
مثل الحرير الأسود المجدول  
وقوله في وصف يداها:  
فاصبحت وكأنها ليل تسطع فيه النجوم  
وكانه الوهق المسكى المجدول بالجواهر

- دودستش زبس ياره انگشتری  
ومعناه:  
در خشان جو خورشيد وجون مشتری

- وقد تألفت يداها مثل الشمس وكوكب المشتري  
وقوله في وصف زليخا:  
من كثرة ما بهما من الجواهر والخواتم

- دو نرکس ولی رنک او همچو قير  
- دورخ همچو گلزار حزم بهشت  
- جو خورشيد تابان ز برج حمل  
- جوگل بر نهاده بر اطراف ماه  
- بزير لبش در ستاره نهان  
زالماس برکرد اورسته تير  
درخشنده چون ماه اردیبهشت  
بسندیده چون عقل وهوش وامل  
دل جادوی بابلی زآن تباه  
جو خورشيد بد ستاره عیان

ومعناه:

- ونرجستان ولكن لونها مثل القار  
- خداها مثل روضة ورد الجنة الناضرة  
- وكأنها ورد قد وضع حول القمر  
- وتحت شفاتها نجمة خفية  
وقد نما حولهما سهم من الماس  
متألقان مثل شهر اردیبهشت  
وقد هلك منها قلب الساحر البابلي  
كأنها الشمس فوق النجم عيانا

(ب) التشبيه المشروط (١):

ومنه قوله في وصف زليخا:

- زنج جون یکی سیب گرد از بلور  
اگر سیب روید زتابنده حور

(١) ويكون بتشبيه شئ بشئ آخر بشرط من الشروط، فيقولون لو كان هذا لكان ذاك وقولهم: "هو كاليد في ارتفاع قدره وكالبحر في اتساع صدره لو ان البحر لا يتغير ماؤه والبدر لا ينتقص ضياؤه". وفي الفارسية قولهم: "فلان جون شيراست اگر شهر عقل دارد، وجون ابراست اگر ابر گوهر بارد". ومعناه: "فلان كالأسد لو كان للأسد عقل، وكالسحاب لو كان للسحاب من الجواهر ويل"  
(المرجع السابق ص١٤٢)

ومعناه:

- وذقتها تفاحة مستديرة من البلور إذا كان التفاح ينبت من الحور الوضاء  
وكذلك قوله في وصف زليخا:

- دوبستان او جون سرو سيمين انار اگرسرو سيمين آورد نار بار

ومعناه:

- ونهداها مثل رمانتين فضيتين إذا كان السرو الفضى يثمر الرمان

(ج) تشبيه الكناية<sup>(١)</sup>؛

ينتشر هذا النوع من التشبيه في ثنايا القصة انتشار الأسماك في مياه المحيطات والأنهار، ولذلك فالأمثلة عليه وفيرة وفرة مطلقة نختار منها قوله على لسان راحيل وهي تحتضر:

- بناليد وكفت آه در دو دريغ كه خواهد شدن ماه عمرم بهيغ

ومعناه:

- فتاحت وقالت وا سفاه واحسرتاه إن قمر عمرى سيختفى بين السحاب  
وقوله واصفا احتضار راحيل:

- كه خورشيد عمرش بچند آن شكوه همانكه فرورفت خواهد بكوه

ومعناه:

- إن شمس عمرها بكل ذلك الجلال سوف تغرب خلف الجبال  
وقوله واصفا حزن يوسف بعد لقاء عاصف مع زليخا:

- دوجشمش يكي ابرشد سيل بار ناگه دريای خون شد از او در كنار

(١) وتكون هذه الصنعة بأن يكتفى عن "المشبه" بلفظ "المشبه به" بغير أداة من أدوات التشبيه، ومثاله ما قالوه في وصف قصيدة من القصائد: عرضت على تلك الغادة الحسناء والخريفة العذراء، ومثاله في الفارسية قولهم: "فلان در رزمگاه آمد، برشیر شرزه نشست، وگرزه ماری در دست گرفت" ومعناه: جاء فلان إلى الموقعة وقد ركب أسدا مصورا وأمسك في يده ثعبانا فتاكاً.

(المراجع السابق ص ١٤٢، ١٤٣)

ومعناه:

- وأمطر سحاب عينييه حتى انحدر منهما نهر ملئ بالدم  
وقوله يصف حالة يوسف وقد عذبه اخوته وأهانوه في الصحراء:

- همى سوخت بروى دل سنگسخت كه بس ممتحن بود وبس تيره بخت  
- كه داند كه يوسف زغم چون گريست ستاره زرد دلش خون گريست

ومعناه:

- وكان يحترق عليه قلب الحجر الصلد - من كان يعرف كيف بكى يوسف من الغم  
فقد كان شديد المحنة وسئ الحظ لقد ذرف النجم من ألم قلبه دما

وقوله يصف بداية يوم جديد في حياة يوسف:

- دگر روز چون گنبد لا جورد براکند برخاک ياقوت زرد

ومعناه:

- وفي اليوم التالي حينما نثرت القبة اللازوردية  
وكذلك قوله يصف هبوط الليل على زليخا وهي حزينة بعد أن تركها يوسف:

- هميگفت از اين گونه تا روى خاك شد از فرش زر بافته جمله باك  
- فلك شمع تابان بدريا فکند جهانرا بسيج زر آفشان بکند  
- ببوشيد گيتى برند سياه بهجران خورشيد گيتى بناه

ومعناه:

- وكانت تقول كلاما من هذا القبيل حتى تعرى وجه الأرض كله من الفراش الذهبى  
- والقى الفلك بالشمعة المضيئة في البحر وجرى الدنيا من متاعها الناشر الذهبى

- فاكتست الدنيا بالحرير الأسود لهجران الشمس ملجأ العالم  
ومن قوله في وصف شعر زليخا:

- فروهشته بر سرو سيمين طراز برنك شب تيره شد تيره ياز

ومعناه:

- وقد تدلى على السروة الفضية شعرها الذى فى لون الليل المظلم وطوله

(د) تشبيه الاضمار<sup>(١)</sup>

ومنه قوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف فى محاولة لاستمالته إليها:

- شدى سبز ونيكو ازخود بر من دريغ روانسرا وجانرا بكار آمدى

- هميدارى ازخود بر من دريغ فرورفته خواهم جومه زير ميغ

ومعناه:

- واخضر عودك وأثمر وصرت نافعا لنفسك وروحك

- وتضن بنفسك علىّ وأسفاً سأختفى مثل القمر تحت السحاب

فظاهر العبارة على لسان زليخا هو أنها ستختفى من حياة يوسف نهائياً، لكن الشاعر يقصد أنها مثل القمر فى جماله وأنها ستعاود المحاولة مع يوسف بوصاله

(هـ) تشبيه التفضيل<sup>(١)</sup>:

ومن ذلك قوله يصف أنف زليخا

- يكى بينى اوجو سيمين ولى بششت او همچو تيغ درم

ومعناه:

- وأنفها مثل القلم الفضى ولكن ظهره مثل السيف المسلط

(١) تكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر بحيث يبدو من ظاهر العبارة أن المقصود شيء آخر وليس هذا التشبيه، بينما الذى يقصده الشاعر فى ضميره هو نفس هذا التشبيه. ومنه قول الشاعر:

- إن كان وجهك شمعاً فما لجسمى يذوب

(٢) وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر، ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به، ومثاله فى قول الفرخى:

- بقدر كوثى سروسى درميان قبا بروى كوثى ما هست بر نهاده كلاه

ومعناه: . وكانما قد المحبوب شجرة سرو التفتت فى قبا

(المرجع السابق) (١٤٧، ١٤٨)

ویصف فم زلیخا وما به من جمال فیقول:

- دهان ازول عاشقان تتکثر لب سرخ یاقوت بارنکتر

ومعناه:

- وفمها أضيّق من قلب العاشقين وشفتها أكثر احمراراً من الياقوت الأحمر

ومنه قوله فی وصف جمال یوسف:

- دو رخسار او همجون بهار بهشت نگارنده هم جون نگار بهشت

- چو شمع سبهری ولیکن نه شمع همه حسن عالم او گشته شمع

ومعناه:

- وخداه مثل ربیع الجنة ملونین مثل لون الجنة

- مثل شمع الفلك ولكنهما لیسا بشمع فكل حسن العالم مجموع فیهما

فقد فضّل الشاعر جمال یوسف علی شمع الجنة فبعد أن شبهه بهذا الشمع جعله يفوقه جمالا بعد أن جعل حسن العالم مجموعا فی هذين الخدين.

وكذلك قوله فی وصف جمال یوسف حين أطل علی أهل مصر:

- همه مردم مصر وآن بوم وبر یکی نور دیدند چون نور خور

- فروزنده از جبهش نور باک همه نور خورشید راگرده چاک

ومعناه:

- وكل أهل مصر وما حولها رأوا نورا

- جبینه مضئ بنور خالص غطى وحجب نور الشمس

وفی بیت آخر یقول نفس المعنی:

- زیس حسن بی غایت نور تاب خجل بود از او قرصه آفتاب



ومعناه:

- ومن جماله الأخاذ وشدة ضيائه كان قرص الشمس خجلاً منه

"سياقة الأعداد" (١)

ومنه قوله عن زليخا واهتمامها برعاية يوسف:

- خودش بود مادر خودش بد بدر خودش مهربان دایه بر هنر

- خودش بود خادم برستوار وار خودش کار ساز و خودش کوشدار

والمعنى:

- كانت أمه وأبوه ومربيته العامرة بالفضائل

- وكانت هي بنفسها خادمة المطيع وهي وكيلته وجاريتها

وكذلك قوله يصف ارتفاع قدر يوسف عند العزيز وسيطرته على كل شيء في

القصر:

- هر آنچه آمدی سوی گنج شدی سراسر بفرمان یوسف بدی

- سرای ودر و بند و مهر و نگین بدر اندر کف یوسف باک دین

ومعناه:

- وكل ما كان يدخل إلى الخزانة أو يخرج منها كان كله بأمر يوسف

- فالدار والباب والسجن وفص الخاتم كلها في كف يوسف الطاهر الدين

"تنسيق الصفات" (١)

ومنه قوله في وصف الذات الالهية:

- یکی فرد و جبار وحی و صمد نه شبه و نه همتا نه جفت و ولد

(١) وتكون هذه الصنعة بأن يسوق الكاتب أو الشاعر في نثره أو نظمه، عدداً من الأسماء المفردة على نسق واحد، بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته، يكون كذلك اسماً لشيء آخر.

(١) وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الكاتب أو الشاعر شيئاً بجملة أسماء أو صفات متوالية ومثاله من القرآن "هو

الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن"

(المرجع السابق ص ١٤٩، ص ١٥٠)

ومعناه:

- هو الواحد الفرد الجبار الحي الصمد لا شبيهه ولا نظير ولا زوج ولا ولد له  
ومنه كذلك قوله على لسان يوسف باكيا عند قبر أمه وشاكيا لها سوء حاله:  
- غريبم اسيرم نزنند وذليل ندارم سوى نيك بختى دليل

ومعناه:

- اننى غريب وأسير وحزين وذليل وليس عندى دليل إلى الحظ الطيب  
وقوله واصفا حال زليخا بعد أن وهن عظمها واشتعل رأسها شيبا:  
- ضعيف ونزار ست وكور است وبير نزنند وحزين وذليل واسير

ومعناه:

- ضعيفة هزيلة عمياء شمطاء بائسة حزينة ذليلة أسيرة  
وقوله فى موضع آخر عن هرم زليخا وشيبتها:  
- زليخا بدانخانه اندرکه بود ضعيف ودوتا بير وكور وكبود

ومعناه:

- وكانت زليخا فى ذلك المنزل ضعيفة وعمياء وهرمة ومحدودة الظهر وزرقاء  
وكذلك وصفه لحال يعقوب بعد فراق يوسف عنه:

- بدر خسسته بى كناه غريب وذليل ونزنند وتباه

ومعناه:

- أب متعصب بلا ذنب وغريب وذليل وحزين وبائس  
ومنه قوله على لسان يوسف عليه السلام وهو يعدد صفات ربه وبارئه:

- كريم است وجان آفرين وحكيم سميع وبصير وحليم وعليم

ومعناه:

- إنه كريم وخالق الروح ورحيم سميع وبصير وعليم وحليم

ومنه وصفة لجمال زليخا وتعدد علامات الجمال في شكلها:

- نڱارى سخنگوى وسرو روان بهار دل وشمع جان وروان

- بلاى خرد بود وآسيب جان ربانىيده دل هلاك روان

والمعنى:

- صورة جميلة ناطقة وسرورة ممشوقة ربيع القلب وشمع الروح والنفس

- إنها بلاء العقل وشقاء الروح سائلة للقلب وهلاك للنفس

داعتراض الكلام قبل التمام،(١).

ومنه قوله على لسان يوسف مخاطباً زليخاً:

- اكر باتو - اى بانوى كامگار همى گفتم اندر نهان آشكار

ومعناه:

- إذا طال حديثى إليك - أيتها السيدة الفاضلة سراً وعلانية

الشاهد: فى البيت هو عبارة "أيتها السيدة الفاضلة" وهو حشو متوسط

يستوى ذكره مع عدم ذكره.

ومنه كذلك قوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف:

- دراین نيست اى جان ودل - آزمودن كه سوى تو دل شد مرا رهنمون

ومعناه:

- فليس فى هذا تجربة - يا روحى وقلبى - فإن قلبى هو الذى قادنى إليك

والشاهد: هو عبارة "أيها الروح والقلب" وهو حشو متوسط مثل سابقه.

---

(١) يسميه أرباب الصناعة بالحشو ويكون ذلك بأن يبدأ الشاعر معنى من معانيه فى بيت من أبياته ثم يأتى بكلام

آخر قبل أن يتم هذا المعنى، ثم يعود ثانية فيتم معناه الأول. وهو على ثلاثة أنواع "قبيح ومتوسط ومليح"

(المرجع السابق ص ١٥١)

ومنه كذلك قوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف:

- دكر أنكه كفتى تو - اى مهر وماه - كه بانوى مصر وهمتاى شاه

ومعناه:

- ثم ان ما قلته أنت - أيها الشمس والقمر - انى سيدة مصر وقرينة الملك

والشاهد هنا: عبارة "أيها الشمس والقمر".

وقوله على لسان يوسف عن مناقب العزيز:

- بخاصة عزيز آن سبهر هنر كه هرگز ندار ندمرا جز بسر

ومعناه:

- وبخاصة العزيز سماء الفضل ذاك الذى لا يرانى غير ولده

والشاهد: فى هذا البيت هو عبارة: "سماء الفضل ذاك" وهى حشو متوسط<sup>(١)</sup>

المبالغة<sup>(٢)</sup>

ينتشر هذا الفن فى ثايا المنظومة انتشاراً شديداً، حتى لكأن الشاعر يعتمد

عليه اعتماداً أساسياً فى وصف جمال يوسف وزليخا. ولهذا فالأمثلة عليه كثيرة

ومتنوعة. نختار منها قوله فى وصف جمال زليخا وشدة حسنها:

(١) هو تساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها، فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا مستحسنة غاية الاستحسان،

ومثاله قول الشاعر:

- وأنت، لعمر المجد، أشرف من حوى على رغم أناف العدى، قصب المجد

وفى الفارسية قول الشاعر:

- زهجر روى تو، اى دل رباى سيمين تن دلم نديم ندم شد تنم عدیل عنا

ومعناه:

. لهجرك، يا سالب القلوب، يا فضى الجسد أصبح قلبى نديما للندم وجسدى قرينا للعناء

(المرجع السابق، ص ١٥٢)

(٢) هو أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته ولا تقتصر فى العبارة على أدنى منازل وأقرب مراتبه. ومثاله

من القرآن الكريم قوله تعالى: "يوم تورنھا تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها" سورة

الحج، آية ٢ "ولو قال كل امرأة لكان بياننا حسنا وإنما خص المرضعة للمبالغة لأن المرضعة أشفق على ولدها

وتشتمل المبالغة على ثلاثة أنواع هى: المبالغة - الاغراق - الغلو.

(ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين، ص ٢٧٨، مصر ١٩٧١م)

- توگفتی یکی حور بد بی گمان برون جسسته ازجنت غیب دان
- مراد روان بود و آرام دل هوای تن و دینده و کام دل
- همه نعمت و کش ناز بود ز دل دین زتن هوش میر بود
- خدائی یکی نور بد آخته بسدین صورت و سیرتش ساخته

والمعنى:

- تظن أنها حورية من غير شك قد فرت من عالم الغيب
- كانت مراد الروح وراحة القلب وهوى الجسد والعين وسكينة القلب
- كانت كلها نعمة وحسن ودلال تسلب الدين من القلب والعقل من الجسد
- وكان الله قد أخذ شعاعاً من النور وجعله على تلك الصورة والسيرة

ومنه أيضاً قوله يصف جمال يوسف حين نزل يستحم في نهر النيل:

- بماليد اندام و بگزار موی شد آنرود سرتا بسر مشک موی
- همه رود مشکین شد زبوی او جهان باک روشن شد از روی او
- جوتن شسته بد یوسف باک دین بدو حله آورد روح الامین
- ز نور خداوند بپراسته بدان حله شد بد یوسف آراسته
- جو پوشید او آن بهشتی ثياب بهشت برین شد رخس بی حجاب
- بیفزود برنور رخسار او همی خیره شد ز دیدار او

والمعنى:

- ودلک جسده و مشط شعره فصار النهر كله مسكى الرائحة
- وصار النهر كله مسكيا من رائحته كما صارت الدنيا مضيئة من وجهه
- وحين انتهى يوسف الطاهر الدين من غسل جسده أحضر الأمين حلة من الجنة

- وصار يوسف بتلك الحلة مزيناً من نور الله الدائم  
- وحين لبس كسوة الجنة صارت الجنة بغير حجاب أمام وجهه  
- فزاد نور وجهه وصارت الشمس في حيرة من رؤيته  
وكذلك في قوله في جمال زليخا:

- زفرق سرش تا بانكشت باي چو نوري بد از نورهاي خدای  
ومعناه:

- وهي من فرق رأسها حتى أخص قدمها كأنها نور من أنوار الله  
وقوله كذلك واصفاً جمال يوسف حين خلع عنه اخوته قميصه ليلقوه في  
الجب:

- سر انجام بیرهنش بر کشید شد اندام یوسف سرا اسر بید  
- شنیدم که چون کند بیرهنش بید آمد آن بیکر روشنش  
- یکی نور اندام آن دلکشای بیوست تا ساق عرش خدای  
- فزون شد از نور هفت آسمان در خیره شد هم زمین وزمان  
ومعناه:

- وفي النهاية خلعوا قميصه وظهر جسد يوسف كاملاً  
- وسمعت أنه حين خلع قميصه ظهر ذلك الجسد المنير  
- فانبثق شعاع من ذلك الجسد الحبيب وامتد حتى بلغ عرش الله  
- فعم الضياء السموات السبع من نوره وغشيت الحيرة الأرض والأفلاك  
ويكرر الشاعر نفس المعنى في موضع آخر واصفاً جمال يوسف حين أطل على  
زليخا في قصرها، فيقول:

- از او نور بگرفت کاخ وسرای فروزنده شد تا بعرش خدای  
ومعناه:

- وفاض منه النور على البيت والقصر فاضاء حتى بلغ عرش الله

\*\*\*\*\*

## الاعراق(١):

ومنه صف الشاعر جمال يوسف وكيف شبع منه أهل مصر حين طلع عليهم  
صباح أحد أيام المجاعة. ويصف ذلك قائلاً:

- بس از سجده تازه و خنده باک      چنین گفت کای مردم مصر باک  
- بیائید هر بامداد انجمن      زمانی ببینید دیدار من  
- که سیری دهد تان ز رحمت خدای      شما رانماید ز رحمت خدای  
- بگفت این وانبوه خرم شدند      بیکباره بی شغل و بی غم شدند  
- از او باز گشتند خوشنود و شاد      شده فکرت آب و نانش زیاد  
- زدندی یکی تخت زرین بدان      نشستی بر آن یوسف کامیاب  
- یکی برقع از روی برد اشتهی      جهان را بدیدار بنگاشتی  
- جنان سیر گشتند از آن آب و نای      که دلشان نه این خواستی و نه آن

## والمعنى

- وبعد السجود صار نشيطاً سعيداً ومسروراً وقال  
- تعالوا معا كل صباح  
- فستشبعون من رحمة الله تعالى  
- قال هذا وسعد الجميع  
- وبسببه عادوا جميعاً سعداء فرحين  
- ورفع برقعاً عن وجهه  
- وهكذا شبعوا عن الخبز والماء  
- فلم تطلب قلوبهم لا هذا ولا ذلك

(١) تكون هذه الصنعة بالمبالغة في صفة شئ من الأشياء بحيث تصل بها إلى أقصى الغاية، ومثالها ما قالته  
سكينة بنت الحسين بن علي حينما زينت بنتها بثوب جديد "قائلة" والله ما البسته إياها إلا لتفضحه". ومثالها  
في الفارسية قولهم: "آي سكا ودریغ این نام برتو" ومعناه "أيها الكلب ويا ضيعة هذا الاسم عليك". ومنها كذلك  
قوله جل وعلا "وبلغت القلوب الحناجر" الأحزاب آية "١٠"  
(رشيد الدين الطواط: حدائق السحر في دقائق الشعر، ص ١٧٥)

"الغلو" (۱)؛

ومنه قوله في وصفه قصر يوسف:

- آزان بردها جون گذشتی برون برندت بضر دوسی یزدان درون

ومعناه:

- حينما تخرج من تلك الستر يأخذونك إلى داخل فردوس الله

وقوله عن القبة التي داخل قصر يوسف:

- یکی قبه اندر میان سرای بهشتی بمعنی بهشت خدای

ومعناه:

- وهناك قبة وسط القصر جنة بكل خصائص جنة الله

ومنه كذلك قوله يصف جمال زليخا حين رأت نفسها في قصر المرايا:

- بتن خویشتن دیدش ز سر تا بباي بدانسان که بد آفرید ش خدای

- وگر برگذا شتی بهرده جنان شدی زنده ازبوی وی در زمان

- وگر دیدی اورا فرشته بخواب ببیوند او زود کردی شتاب

ومعناه:

- ورأت ذاتها من رأسها إلى قدمها على ذلك النحو الذي خلقه الله

- بحيث لو مرت على ميت لصارحيا من رائحتها في الحال

- ولو رآها ملك في المنام لسارع معجلاً إلى وصلها

وكذلك قوله على لسان زليخا مخاطبة نساء مصر عن إعجابها بجمال يوسف

وقولها عنه:

- اگربوی وی مرد گان بشنوند هم اندر زمان باک زنده شونند

---

(۱) هو وصف الشيء بما يستحيل وقوعه عقلاً وعادة فإذا افضى إلى الكفر كان قبيحاً مردوداً.

(عبد القادر حسن: فن البديع ص ۸۰. طبع في مصر وغير معروف سنة الطبع)



ومعناه:

- إذا شَمَّ عبيره الموتى فانهم يحيون في الحال  
"الجمع" (١):

ومن ذلك قوله يصف زليخا وما به من جمال:

- دهان ازدل عاشقان تنكتر لب از سرخ ياقوت رنكتر

ومعناه:

- وفمها أضييق من قلب العاشقين وشفثاها أكثر احمرارا من الياقوت الأحمر  
والشاهد: هنا أن الشاعر قد جمع بين فم المحبوبة "زليخا" وقلوب العاشقين  
في صفة واحدة وهي الضيق.

ومنه قوله في وصف جمال زليخا:

- سرو پای او جون بت آذرى جوار زنگ مانی وجان برى

والمعنى:

- رأسها وقدمها مثل الصنم الأذرى مثل أرزنگ (٢) مانی وروح الحور  
والشاهد: في هذا البيت جمع الشاعر بين رأس الحبيبة في الصفة وروح  
الحوار

وكتاب ارزنگ مانی في صفة واحدة..

"المردف" (٣)

يستخدم الشاعر هذا الفن في ثلثيا أبيات المنظومة بصورة تساوى استخدامه  
لفن السجع المتوازي، ورغم صعوبة بناء هذا الفن، إلا أن الشاعر يعتمد عليه في  
تزيين وتمييق أبيات المنظومة.

(١) تكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر بين شيئين أو أكثر في صفة واحدة وهذه الصفة تعرف عادة باسم "الجامع"  
(حدائق السحر ص ١٧٨)

(٢) أرزنگ مانی: اسم كتاب مانی الملون والمصور. ويطلق على كل كتاب مزدان بالنقوش الجميلة، ويقال بل تطلق  
على مانی نفسه: المعجم الذهبى: محمد التونجى.

(٣) الرديف عبارة عن كلمة أو أكثر تأتي بعد حروف الروى في الشعر الفارسي، فيسميه أهل الصنعة بالشعر  
المردف. وأكثر أشعار المعجم مردفة. وثبات طبع الشاعر وقدرته على بسط الكلام يثبتان بقدرته على عقد  
الرديف المستحسن. ويسمى بعض أهل الصنعة الرديف بالحاجب ويطلقون على الشعر المردف كلمة  
"المحجوب" وقال البعض إنما المقصود بكلمة "الحاجب" وهو اللفظة التي يذكرونها قبل القافية في كل بيت،  
بينما المقصود بالرديف الكلمة التي تأتي بعد القافية.

(المرجع السابق ص ١٨٤)

ومن ذلك قوله على لسان يوسف يشكو لأمه ظلم اخوته له:  
- كرىزنده ووزد خواندند باز بتيز آتشم در نشانند باز  
ومعناه:

- فدعونى ثانية ابناً ولصاً وأجلسونى على النار المحرقة مرة ثانية  
والشاهد: هنا فى كلمة "باز" حيث أوردها الشاعر بعد حروف الروى فى  
شطرى البيت وكذلك قوله:  
- كه نه بودش ورا تارنه همه نور بسىوسته و نار نه  
ومعناه:

- لم يكن فيها لحمه ولا خيط فقط كانت قطعة واحدة من النور لا من النار  
والشاهد: هنا هو فى كلمتى "نه" و "نه" حيث جاء بهما بعد حرف الروى

هذا.. وإذا أخذنا بالرأى الثانى القائل بأن "الرديف" هو "الحاجب" وأن  
الحاجب هو اللفظة التى يذكرونها قبل القافية فى كل بيت وأن المقصود بالرديف  
الكلمة التى ترد بعد القافية، فإننا نجد امثلة كثيرة لهذا الفن البلاغى فى أبيات  
المنظومة . ومن ذلك قوله:

- نه بنشستنى كش بريدن بود نه بسوستنى كش بريدن بود  
ومعناه:

- استقرار لا طيران بعده والتصاقاً لا قطع بعده  
والشاهد: هنا هو فى كلمتى "بريدن" بمعنى "طيران" و "بريدن" بمعنى قطع..  
وكذلك قوله:

- جو عبرى يكى بنده پر بها نهادى همى داردش بر بها  
والمعنى:

- كل شخص يقدر ثمننا لعبد عبرى غالى القيمة  
والشاهد: فى البيت أن كلمة "بر" فى البيت هى الحاجب حيث ذكرت فى  
مصراعى البيت. وكلمى "بها" هى القافية. وبذلك يعد هذا البيت محجوباً.

وكذلك قوله على لسان يوسف مخاطباً زليخاً:

- نه توآن زليخاي كردن كشي      كه برماه وخورشيد كردن كشي  
ومعناه:

- الست أنت زليخا الطاغية      التي كانت تتعالى على الشمس والقمر؟  
ومن أمثلة الشعر المردف قوله:

- چو فرخنده يوسف بميدان رسيد      فروغ ازرخش سوي كيوان رسيد  
ومعناه:

- وحين وصل يوسف السعيد إلى الميدان      انبثق شعاع النور من وجهه إلى السماء  
وكذلك قوله واصفا جمال يوسف:

- دو رخسار او چون بهار بهشت      نگار نده همچون نگار بهشت  
والمعنى:

- وخذاه مثل ربيع الجنة      ملونين ومزدانين مثل لون الجنة وزينتها  
وكذلك قوله:

- از آن رنج وسختي ستاده همه      بيارب زبانهها كشاده همه  
ومعناه:

- وهم جميعاً مشدوهين من ذلك الألم والشدة      وداعسين بالسستنهم "يا رب"  
وقوله:

- برايشان چه رنج وعذاب آورم      كه طوفان ز آتش درآب آورم  
ومعناه:

- فكم سآتيهم من العذاب والألم      سآتيهم في الماء بطوفان من النار  
"الكلام الجامع"<sup>(١)</sup>:

ومن ذلك قوله بعد وفاة ملك مصر واسناد الملك إلى يوسف:

- جنين فرجام كارجهان      نباشد خرد مند بار جهان

(١) تكون هذه الصنعة بأن يحاول الشاعر ألا يترك أبياته خلوا من الحكمة والموعظة وشكايه الزمان.

(المرجع السابق؛ ص١٨٦)

جهان گریکی بکردون برد هم آخر بخاکش فرو آورد  
ومعناه:

- وهكذا نهاية أمر الدنيا  
- إذا رفعت الدنيا أحداً إلى السماء  
وكذلك قوله:

- از آدم درون تا که نفخ صور  
- نزیاید کس إلا که مرد  
- چنین کرد یزدان مادر جهان  
- هر آنکس که پیدا شود ز آدمی  
- اگر باد شاه همه کشور است  
- سرانجا مشان رفت باید بکور  
- اگر تخت سورت ببايد همی  
المعنى:

- هكذا يكون من حكم الغفور  
- لا يولد شخص الا ويموت  
- هكذا فعل ربنا في الحياة الدنيا  
- فكل من يولد من بنى آدم  
- ولو كان ملكاً لكل العالم  
- عاقبتهم أن يذهبوا إلى القبر  
- فلو أن عرشك سعيد وفرح  
من آدم حتى وقت النفخ في الصور  
ويودع في التراب الأسود  
وهكذا حكم خالق الروح  
لا يبقى كثيراً في الدنيا  
وحتى لو كان نبياً طاهراً مفضلاً  
ليهرب من عند القبر القريب والبعيد  
فإن قبرك حزن وألم

"الابداع": (١)

ومن ذلك حديث الشاعر عن نفسه بعد أن وهن عظمه واشتعل رأسه شيبا  
يقول في مقدمة القصيدة:

(١) قال أرباب البيان أن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعاني البديعة في الفاظ حسنة بعيدة عن التكلف.  
(المرجع: ص ١٨٨)

- زمن دست گیتی بدزدید مشک  
- برآمد زنگاه باز سفید  
- زمانی همی گشت ازقراز باغ  
- نه بنشستنی کش بریدن بود  
بجایش براگنده کافور خشک  
گسستند زاغانم ازجان امید  
سر انجام بنشست بر جای زاغ  
نه بیوستنی کش بریدن بود<sup>(۱)</sup>

والمعنى:

- قد سرقت منى يد الدهر المسك  
- وفجأة ظهر العقاب الأبيض  
- وأخذ يحوم فترة حول الحديقة  
- استقرارا لا طيران بعده  
ونشرت مكانه كافورا يابسا  
وقطعت غريانى الأمل من الروح  
وفى النهاية استقر مكان الغراب  
والتصاقاً لا قطع بعده

"التعجب": (۱)

ومن ذلك قوله على لسان زليخا:

- جه تیراست کزچرخ بیر آمده است  
دل من مراورا نشانه شده است

والمعنى:

- فأى سهم انطلق من الفلك العجوز  
وكذلك قوله على لسان زليخا:

- همی کفت باخسته دل روز وشب  
- دراین شغل جون بسای داری کن  
که ای دل عجب شغلی آمد عجب  
مراجون دراین درد یاری کنی

والمعنى:

- وكانت تناجى قلبها الجريح ليلاً ونهاراً قائلة  
- كيف تثبت فى هذا الأمر  
عجباً أيها القلب لقد حدث أمر عجيب  
وكيف تعيننى فى هذا الألم

وقوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف ومتعجبة من أمره معها:

(۱) يوسف وزليخا المنسوبة للفردوس : ص ۱

(۲) تكون هذه الصنعة بأن يظهر الشاعر فى أحد أبياته تعجبه وحيرته من شيء من الأشياء...

(المرجع السابق : ص ۱۸۹).

- جه جیزی زتخم که دار نزارد نه هم زآتش وآب وخواکی وباد  
- اگزین جهاری جه مانی وما زمانی نا آسود ایم از شما  
- ترا چونکه طبع هواجوی نیست دلت را سوی مهر من روی نیست

والمعنى:

- أى شىء أنت ومن نسل من أنت ألسن من النار والماء والتراب والريح  
- فإذا كنت واحداً من هذه الأربعة فماذا تشبه ونحن لا نستريح لحظة منك  
- فكيف لا يميل طبعك إلى هواى ولا يتجه قلبك نحو حبي

"حسن التعليل" (١)؛

ومن ذلك قوله واصفاً حال زليخا بعد أن اشتعل فى قلبها نار عشق يوسف:  
- شد از عشق يوسف جنان بی شکيب چون كهريا باشد ور سرخ سيب  
- دل شادوى شد نزنند و حزين چو خيبرى شدش لا له وياسمين

والمعنى:

- وهكذا صارت بلا صبر من عشق يوسف وصار تفاحها الأحمر مثل الكهرمان  
- وصار قلبها المبتهج كئيباً حزينا وصارت شقائقها ياسمينها صفراء مثل ورد الخيري  
ومنه كذلك وصف الشاعر لحالة يوسف فى السجن:

- از انديشه وازروى بدر نه آرام بودش نه خواب ونه خور

والمعنى:

- ومن تفكيره وشوقه إلى أبيه لم يكن يستريح أو يأكل أو ينام

\*\*\*\*\*

(١) تكون هذه الصنعة بأن يظهر الشاعر فى بيت من أبياته صفتين من الصفات ويجعل الواحدة منها علة للأخرى، وغرضه من ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين، ولكنه يذكرها بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه وابداع عباراته..

(المرجع السابق : ص ١٨٩)

"التلميح"<sup>(١)</sup>؛

ومنه قوله على لسان الملك موجهًا حديثه إلى زليخا:

- زكيد شما خيزد آفات ما عظيم است يكباره كيد شما

ومعناه:

- من كيدكن تنشأ آفاتنا إن كيدكن عظيم

الشاهد: تلميح الشاعر إلى قوله تعالى في سورة يوسف ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

وكذلك قوله على لسان زليخا موجهة حديثها إلى العزيز:

- جه باشد مرآن تيره دل راجزای كه براهل توگرد اين قصد رای

- بجز بند وزندان وجز جوب وبیم ویا داشستن در عذاب الیم

والشاهد: هنا تلميح الشاعر واقتباسه للآية القرآنية الواردة في سورة يوسف

من قوله تعالى ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>

وكذلك قوله:

- تویر مایه ودانش خود ما یست كه بالای هر دانشی دانش است

ومعناه:

- لا یقنع بما وصل إليه من العلم والمعرفة فان فوق كل ذي علم عليم

والشاهد: في هذا البيت هو تلميح الشاعر لقوله تعالى في سورة يوسف:

﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) هو إبداء المهارة في اقتباس الآيات القرآنية أو التلميح إليها، ويعتبر هذا الفن من أجمل الصناعات البلاغية التي يعجب بها المسلمون عامة والتي تحتل مكانة مرموقة في قلوبهم.

(براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي؛ ت الشواربي ص ٩١)

(٢) سورة يوسف آية رقم (٢٨)

(٣) سورة يوسف آية رقم (٢٥)

(٤) سورة يوسف آية رقم (٧٦)

وقوله كذلك عن مكانة يوسف السامية في مصر:

- نمودیم تمکین یوسف بسی      جواو در زمین نیست دیگر کسی  
- بود هر کجا رای کامش بود      مراد دل از تمامش بود

والمعنى:

- وقد مكننا ليوسف كثيراً      فلم يكن مثله في الأرض شخص آخر  
- وتحقق له كل ما يريد      وتم له منا مراد قلبه  
والشاهد هنا: هو استفادة الشاعر من قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

ومنها كذلك قوله على لسان يوسف في مواجهة نسوة مصر وامرأة العزيز:

- مرا بند سنگین وزندان تنک      گرفتار بودن به کام نهنگ  
- از آن به که بفریدم اهرمن      ببرد بس آنگاه زمن  
- همی کید ایشان برایشان گمار      خدایا همه کید شان دور دار

ومعناه:

- إن القيد الثقيل والسجن الضيق      وابتلاعى بفم الحوت  
- خير لي من أن يخذعني الشيطان      وينقطع الله عندئذ عني  
- فوكل اللهم بهن كيدهن      وابعد اللهم كيدهن عني  
والشاهد هنا: هو اقتباس الشاعر لقوله تعالى ﴿قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

وكذلك قوله على لسان زليخا واعترافها بذنبها أمام الملك:

- که شاهها کنون گشت حق آشکار      سخنهاى باطل نیايد بکار

(١) القرآن الكريم س يوسف، آية رقم (٥٦)

(٢) القرآن الكريم س يوسف، آية رقم (٢٣)



ومعناه:

- أيها الملك الآن حصحص الحق ولا يجدى قول الباطل

والشاهد هنا: هو استفادة الشاعر من قوله تعالى:

قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (١)

وكذلك قوله عن مكانة يوسف من ملك مصر بعد أن فسر له رؤياه:

- نخستين كه باوى سخن كفت شاه جنين كفت كى يوسف نيكخواه

- تو امروز هستى دلم را مكين هميدون بملك من اندر امين

- گرامى ترير من ازجان من برتست بيدا وبنهان من

ومعناه:

- فتحدث إليه المسلك أولاً وقال يا يوسف الطيب الطوية

- أنت اليوم مكين لدى قلبى وأنت الآن أمين فى ملكى

- وأنت أعز على من روى وسيكون معك سرى وعلنى

والشاهد: فى هذه الأبيات هو استفادة الشاعر من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ

أَتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٢)

كذلك قوله على لسان يوسف موجهها حديثه لاختوته بعد أن عفا عنهم:

- چنين كفت يوسف عليه السلام كه برداشتيم اين عتاب وكلام

- اكر چند تان بد بزشتى بسيج كنون بر شما سرزنش نيست هيچ

- شما را از اين نيست درتن گناه كه بود آن سراسر بحكم الاله

والمعنى:

- هكذا قال يوسف عليه السلام لقد تغاضينا عن هذا العتاب والكلام

(١) القرآن الكريم، س يوسف، آية رقم (٥١)

(٢) القرآن الكريم، س يوسف، آية رقم (٥٤)

- ولو أنه كان عندكم سوء القصد فالآن لا تثريب عليكم أبداً  
 - انتم لا ذنب لكم في كل ما جرى فقد كان كل ذلك بحكم وقدر الله  
 والشاهد هنا: هو اقتباسه قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ  
 الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١)  
 "في معنى الآيات بالأبيات" (٢)

منها ما ورد على لسان الشاعر في نهاية المنظومة:

- از آدم درون تا که نفع صور جنین بود خواهد ز حکم غفور  
 - نژاید کس الا که مرده شود بخاک سیه در سیرده شود  
 - چنین کرد یزدان مادر جهان جنین است حکم خدائی روان  
 - هر آنکس که بید شود ز آدمی نمانید فراوان بروی زمی

والمعنى:

- هكذا يكون من حكم الغفور من آدم حتى وقت النفخ في الصور  
 - لا يولد شخص الا ويموت ويودع في التراب الأسود  
 - هكذا فعل ربنا في الحياة الدنيا وهكذا حكم خالق الأرواح  
 - فكل من يولد من بنى آدم لا يبقى كثيراً في الدنيا

\*\*\*\*\*

(١) سورة يوسف آية رقم (٩٢)

(٢) واحد من جملة الصناعات البلاغية وذلك بأن يقول الشاعر بيتاً يكون معناه قريباً من قول الله عز وجل كما جاء في محكم كتابه قوله تعالى "ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم" سورة طه - آية ٥٥.. ومنه قول الرودكى شاعر السامانيين المشهور:

- چنان خاک سرشتی بزیر خاک سوی بنات خاک وتواند میان خاک آکین

ومعناه:

- كما كنت عجينة من الطين فانك ستصير تحت التراب فانك من التراب

- وستكون محاطاً به.. وهو من قوله تعالى " اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" سورة النساء - آية ٢٨

(عمر الرادويانى ، ترجمان البلاغة، ت د. محمد نور الدين، ص ١١٢)

هذا وإذا كانت رحلتنا مع فنون البلاغة في المنظومة قد طالت قليلاً فإن ذلك راجع إلى حرص شاعرنا على أن يزين شعره ويحسنه بألوان البديع وفنونه المختلفة حتى يضمن لمنظومته نوعاً من الرواج الشعبي يضاهي رواج الشاهنامه وغيرها من قصص الفرس القديم التي شاعت وذاعت بين الناس في تلك الحقبة من الزمن.. ولذلك طالعنا في المنظومة كثير من الصور الجمالية التي تفيض رقة وعضوبة تعبر عن جمال ذوق ورقة طبع.. ومن تلك النماذج تلك الصورة التي يصف فيها الشاعر جمال يوسف على لسان زليخا قائلاً:

- نكوئی سباه وشاهش توئی      زمین آسمان است وما هس توئی  
- بسر سجده خورشید ترا      شود بنده مه تخت عاج ترا  
- زعشق توای دلبر سیم تن      جحیم است وجیحون دل وجشم من

ومعناه:

- الحسن جيش وانت مليكه      والأرض سماء وانت ملكها  
- والشمس تسجد لتاجك      والقمر غلام لمرشك العاجي  
- وبسبب عشقك أيها الحبيب الفضي الجسد      قلبي جحيم وعيني جيحون

ومنه كذلك قول زليخا عن نفسها في محاولة منها لاقتناع يوسف بوصالها:

- زیدار من ماه رشك آورد      زعشقم همی سنك اشك آورد  
- بهر كشور زمن آكهی است      ستاره رخ روشنم راهی است

ومعناه:

- أن القمر ليفار من رؤيتي      ويسبكي الحجر من عشقي  
- في كل اقليم من اقاليم الدنيا السبعة يعرفونني      والنجم طريق لضياء وجهي

\*\*\*\*\*

ويضاهي ذلك وصفه لوجه زليخا وما به من حسن وجمال ومنه قوله:

- بسرخی مراورا زكوهر نسب      بشیرینی اورا زشكر لقب

- بزير لبش در ستاره نهان      چو خورشيد بد بر ستاره عيان  
- زنج چون يکى سيب کرد از بلور      اگر سيب رويد ز تابنده حور  
- ميان زنج دريکى کرد جاه که      از جاه يوسف نبد کم بجاه

ومعناه:

- ولها فى الحمرة من الجوهر نسب      ولها فى الحلاوة من السكر لقب  
- وتحت شفيتها نجمة خفية      كأنها الشمس فوق النجم عيانا  
- وذقتها تفاحة مستديرة من البلور      إذا كان التفاح ينبت من الحور الوضاء  
- وفى وسط ذقنها صنعت نونه      أقل اتساعا من بئر يوسف

\*\*\*\*\*

إضافة إلى ما تقدم فإنه يُحمد لهذا الشاعر نجاحه إلى حد بعيد فى التعبير عن الدوافع الخفية والنزعات النفسية والمواقف والعواطف الإنسانية لأبطال منظومته، وذلك إلى الحد الذى دفع مجتبى مینوی إلى الإشادة به من هذه الناحية، وذلك رغم حملته الشديدة على المستوى الأدبى لهذه المنظومة.. وفى ذلك يقول مینوی: "إنه كثيرا ما يصادفك - وأنت تطالع هذه المنظومة - أبياتاً جيدة الصياغة ومضامين شعرية جيدة ولطيفة جداً"<sup>(١)</sup>. كما يذهب خيامبور نفس المذهب ويرى أن المنظومة تحوى مواضع كثيرة بلغ فيها الشاعر شأواً بعيداً فى رقة الطبع وسلامة الذوق<sup>(٢)</sup>.

هذا ويجدر بنا فى نهاية هذا الفصل أن نعرض لمجموعة من اللوحات التى أبدعت فرشاة الشاعر رسمها وتظليلها بالظلال الفنية المناسبة معتمداً على الصناعات البلاغية التى يجيدها..

اللوحة الأولى: هى التى يظهر فيها يعقوب معاتباً خاله لابان على ارساله ابنته ليا بدلا من راحيل رغم اتفاهه معه على الزواج براحيل، فاكتشف ليلة العرس أنه تزوج بليا. ويصف الشاعر ذلك قائلاً:

(١) مجتبى مینوی: فردوسى وشعراو ص ١٢١

(٢) خيامبور: يوسف وزليخا ص ٢١

- قال أيها الخال العطوف  
 - فإنه لا شبيه لك في القول والفعل  
 - والآن فإنني أسألك عن سر خفي  
 - كنت تملك في يدك زهرة يانعة  
 - وكان لزهرك وربيعك طراوة ورائحة  
 - وقد مال قلبي بشدة إلى تلك الزهرة  
 - فحدثتك وطلبت منك الزهرة  
 - فقبلت طلبي ووعدت باعطائي الزهرة  
 - ولم تعطني زهرتي اليانعة في النهار  
 - وعندما أظلم الليل قلت خذ الزهرة  
 - وكنت أضعها طوال الليل على كفي  
 - وعندما صار الليل نهارا ونظرت إليها عيني  
 - كأن في يدي إكليل الربيع

(۱) - چنین گفت کای مهربان خال من  
 - بگفتار و کردار پارتو نیست  
 - رسم کنون از تو راز نهانست  
 - بدستت گلی داشتی آیدار  
 - بهار و گلت هر دو بهابوی ورنک  
 - دل ببدان گل گرائید سخست  
 - گشادم زبان و از تو کل خواستم  
 - پذیرفتی من کسه بدهی کلیم  
 - ندادی کل آیدازم هر  
 (۲) - چو شب تیره شد گفتیم کل بکیر  
 - همه شب هسمی داشتیم در کفم  
 - چو شب روز شد کرد چشم نگاه  
 - که در دست من بود دسته بهار

همایون بسیدار توفال من  
 بجز نسیمی و رای کار تونیست  
 مرا حکمت آن بهاید گفت  
 بدست دگر دستة از بهار  
 چنان هجکس نهاید بچنک  
 چنان چون دل شهریا ران بتخت  
 ببدان گل هسمی رنج دل کاستم  
 که دید نش بودی مرا دلسفروز  
 که دید نش بودی مزاد لسفروز  
 پذیرفتم از تو کل دل پذیر  
 زشادی سوگفتی هسمی بشکفم  
 نه کل بد بدست من ای نهکخواه  
 شکفتی خجل ما ندیم و شر مسار

- فقل ما معنى هذا الوضع  
 - فقد كان عهدى معك على راحيل  
 - فلم تكن ليا فى خاطرى مطلقا  
 - انك لم تفعل هذا العمل بغير حكمة  
 - وعندما ما سمع لا بان الحكيم  
 - ضحك وقبل بين عينيه وقال له  
 - إننى فعلت ذلك لأنها أكبر البنات  
 - فألقيت عن عاتقى عبئها أولاً  
 - وليس من الحكمة أن تظل الكبيرة فى البيت  
 - فقال يعقوب يا صاحب الفكر الطيب  
 - ومنذ آدم إلى عهدنا هذا  
 واغسل عن قلبى الصدا بماء الوفاء  
 فلماذا كان التغيير والتبديل منك  
 فماذا رأيت حتى جعلتها زوجتى  
 واننى اثق انك غير ناكث للعهد  
 هذا الكلام الطيب من يعقوب  
 يا أصل الدين والعقل<sup>(١)</sup>  
 ومن الواجب احترام حق الكبار  
 وهذا ليس رأيا ضعيفا أمام العقل  
 وتخرج الصغيرة قبلها  
 لا يعلم أحد غيرك هذا الأمر الطيب  
 لم يصنع أحد عملا أفضل من هذا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

ومن اللوحات التى أجاد الشاعر رسمها واتسم فيها برقة الطبع وسلامة  
 الذوق، والتى اجمع النقاد على تفوقه فيها على نفسه. تلك اللوحة التى يتحدث  
 فيها عن أحزان يعقوب، والتى يبدوها بحديث يعقوب إلى قميص يوسف ونختار  
 منها الأبيات التالية:

- چه معنیست این حال با من بکوی  
 - مراباتو بیهمان بر احویل بود  
 - که لیا نهد هیچ در دفترم  
 - تو بی حکمت این کار کرده "نه"  
 - زیمتوب چون لاین برهنر  
 - یخندید و بر چشم وی بوسه داد  
 (٢) بدان کردم این کومهین دخترست  
 - فکندم حق وی زکردن نخست  
 - نباشد نکویه سخانه درون  
 - چنین گفت یعقوب کای باک مفرز  
 - از آدم درون تا بسدین روزگار  
 بسآب وفا زنگم از دل بششوی  
 چرا از تو تغییر و تبديل بود  
 چه دیدی که کردی ورا همسرم  
 یقینم که زنهار خورده نه  
 شنید این سخنهاى همچون شکر  
 به وگفت کسای مسایه دین و داد  
 حق مهتران سخت واجب ترست  
 بنزد خرد نیست این رای سست  
 شد بیشتر کهتر ازوی بیرون  
 بجز ندند کس این کار نفرز  
 بسندید ترزین نکردند کار

- واستمر يعقوب في البكاء والصراخ والنحيب<sup>(١)</sup> حتى أنه أثار عطف الشيطان عليه  
 - واكتأب قلبه من جراء ذلك  
 - وقال أيها القميص الجافى إنك لم تخرج من عندي وحدك  
 - وبما أنك لم تذهب من عندي وحدك فلماذا أتيت وحدك بدونه  
 - والآن فما دام يوسف قد رحل عني فلن يكون لي روح ولا جسد  
 - فيا حسرة ويا أسفا على قلبي وروحي قد أسودتا بدونه كما أسودت حياتي  
 - ويا حسرة على وجه ابني الجميل الذي بدونه تقطعت أوصالي

تم ننتقل بعد ذلك إلى اللوحة الثالثة والأخيرة، والتي أجاد الشاعر رسم ظلالها فكانت خير تعبير عن حزن يوسف على ما ألم به من جور إخوته وظلمهم وحقدهم. وها هو يشتكى لأمه في قبرها قائلاً:

- فيا أماه يا من ولدتنى ووفيت صحتى حقها  
 - لقد فصمت قلبك عن حبي وتركتينى ذليلاً مسكيناً  
 - لقد اضطرب حالي بعدك واثمرت شجرتى الشوك بدل الورد  
 - انظري كيف انقلب حظى وصار نهاري المضى ليلاً حالكا

---

(١) در آمد بفریاد و بانگ و غریو  
 فتادش بدل در بدایتسان غرنک  
 - چنین گفت کیبى وفا بپیرهن  
 - چواز بیش چشم تنها شدی  
 - کنسون چونکه شد یوسف من زمن  
 - دریغنا دریغنا دل و جان من  
 - دریغنا نکوروی فرزند من  
 - ای مادررا ای که زادی مرا  
 - دل از مهر من زود برد اشتی  
 - مرا بی تو شوریده شد روزگار  
 - مرا بخت من چون نکونسار شد  
 بدانسان که برو بخشود دیو  
 که از درد او خون چکانید سنک  
 نه تنها بیرون رفتی از پیش من  
 ابی او بستننها جرا آمدی  
 نه جان باد هرگز مرا ونه تن  
 که بی اوسیه کشتت سامان من  
 که بسکست بی او همه بند من  
 از این داد صحت بدادی مرا  
 مرا خوار و بیچاره بگذاشتی  
 در ختم بجای گل آورد خار  
 فرزندم روزم شب تار شد

- إن الإخوة العشرة الذين كانوا متفقين صاروا جميعاً خصوما وأعداء لى
- ولم يلحقهم منى أى اذى وتهيباً كل منهم لقتلى
- ونفضوا كل حب وصلة وأخذوني بالحيلة من أبى<sup>(١)</sup>

هذا ومما يعاب على هذا الشاعر - رغم اجتهاده الجيد فى فنون البلاغة المختلفة - وجود بعض الأبيات وبها تنافر بكلماتها،<sup>(٢)</sup> وكان عليه أن يتجنب ذلك قدر الامكان حتى يكون كلامه فيها فصيحاً. ومن ذلك قوله واصفاً مرض ملك مصر:

- چو سال ششم شد شنید      مکه شاه بیفتاد وبیمار گشت وتباه
- ومعناه: فى السنة السادسة      سمعت ان الملك مرض وساء حاله
- وكذلك قوله فى وصف جمال جسد زليخا:

- دو عارض بسان سوسن ستان      بسوسن در آویخته ارغوان

ومعناه:

- عارضان مثل روضة السوسن      وقد تدلى الأرجوان من السوسن  
كما نعيب عليه كذلك جنوحه إلى التكرار<sup>(٣)</sup> فى بعض صور الوصف التى تحفل بها القصة. ومن ذلك قوله على لسان يوسف وهو يتوسل لآخوته فى الصحراء ليخففوا عنه عذاب وقسوة العطش:

- |                                   |                           |
|-----------------------------------|---------------------------|
| - مراده برادر كه هم سریدند        | يكايك بیدانیدش ودشمن شدند |
| - نه آن كه از من آزار شان بود هیچ | كرفتنند مركشتم را بس هیچ  |
| - همه مهر و بیوند برهم زدند       | به نهرنكها از بدر بستند   |

(١) هو عبارة عن ثقل الكلام على اللسان أثناء النطق. ويعد عيباً من عيوب التركيب اللفوى إذ أن حرف الشين الذى اعتصمت به أوائل كلمات البيت الأول وكذلك حرف السين فى البيت الثانى جملاً البيتين ثقيلاً النطق. ويذكر أحمد الشايب أن أساس الأسلوب البليغ أن تكون العبارة خالية من أساس الاضطراب الصوتى والخشونة، وبذلك تجد الكلمات مطردة متناسقة الحروف والكلمات. (أحمد الشايب : الأسلوب، ص ٢٠٠)

(٢) يرى ابن رشيق أن للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها. وأن أكثر ما يقع التكرار فى الألفاظ دون المعانى، وهو فى الألفاظ دون المعانى أقل فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً - وهو ما نراه فى أبيات الشاعر عن عطش يوسف - فذلك الخذلان بعينه.

(أبو الحسن ابن رشيق القيروانى: العمدة، ج ٢، ص ٧٢، ٧٤ - القاهرة ١٩٢٤م)



- بنزدیک روبیل مسکین دوید بدو گفتم جانم سوی لب رسید  
 - نه بایم درست ونه دل بجای فتاده دل وآبله گشته بای  
 - سختی بجانم رسیده استکار شمارانه شرم است نه زینهار  
 - رسیده بلب جانم از درد وتاب شد آرزومند یکنقطره آب

والمعنى:

- فهرع متذللًا إلى روبيل وقال له إن روحى بلغت شفئى  
 - فلا قد ماى قادرتان ولا القلب ساكن قلبى متعب وقدماى متورمتان  
 - واشتد الخطب وضائق روحى وأنتم لا حياء ولا خلاق لكم  
 - إن عقولكم مختلفة وقلوبكم فاسية وإنكم سوف تقتلونى بلا ذنب  
 - إن روحى وصلت شفئى من كثرة الألم والعذاب وأصبحت فى أشد الحاجة إلى قطرة ماء  
 ومن أمثلة التكرار الأخرى التى عمد إليها هذا الشاعر قوله على لسان يوسف  
 مخاطبًا أخاه، وفيه يقول:

- همى بينيم تيره روز ودزم سیه کرده بر من بلا ستم

ومعناه:

- أنت ترانى أسود اليوم وحزينا وقد سوّده على البلاء والظلم  
 وبعد أربعة أبيات يكرر نفس الصورة السابقة عن سواد يوم يوسف قائلاً:  
 - جنين روز بر من سياه کرده اند بمن زند گانى تبه کرده اند

ومعناه:

- إنهم قد سودوا النهار على هكذا وأفسسوا حياتى

ومن صور التكرار الأخرى التى تطالعنا فى هذه المنظومة تلك الصورة التى  
 يتحدث فيها الشاعر عن نعم الله على يوسف قائلاً:

- زهر علم کرد ایزدش بهره ور رسانیدش ایزد بکنج وگهر  
 - بهر کار قادر خد ایست وبس ندارد بدین هرکسی دست رس  
 - خدایست قادر بکار اندرون ولی اکثر الناس لا يعلمون  
 - جهاندار علم فراوانش داد ابا علم بسیار فرمانش داد  
 - نکوئی کنند آن کسی راجزا که جز خوبکاری ندارد روا

ومعناه:

- وأعطاه الله نصيباً من كل علم وأوصله الله بالكنز والچوهر  
 - والقادر على كل شيء هو الله ولا يقدر على ذلك كل إنسان  
 - والله قادر على كل شيء ولكن أكثر الناس لا يعلمون  
 - وخصه الله بالعلم الكثير وحببناه بالعلم الكثير  
 - فكل من يصنع المعروف لا جزاء له إلا المعروف

\*\*\*\*\*

إضافة إلى ما تقدم من نقد وجهناه لأسلوب الشاعر في المنظومة فإنه يعاب عليه كذلك استخدام فن الاغراق في صورة لا تتفق والواقع التاريخي المعروف عن أبطال قصته وما ارتبط بهم من أحداث. كأن يصور يوسف عليه السلام بطلا عظيماً ضخماً الجثة شديد القوة يكاد يفوق في قوته رستم بطل الشاهنامه المعروف، حتى أنه يرفع عمودين من حجر الرخام طولهما ستون قدماً كانا على الأرض مثل سفينة على الماء فاقتلعهما ذلك الملك السعيد الموفق ورماهما بقوة مسافة عشرين قدماً حتى تزلزلت منها أرض مصر<sup>(١)</sup>. وفي موضع آخر من القصة نراه يصف قصر العزيز وقبته الرخامية وقد صار جنة تضاهي جنة الرحمن بل إنه يجنح إلى الغلو الممقوت فيقول "جنة بمعنى جنة الله"<sup>(٢)</sup>.

(١) - بدستی دوگانی زسنگ رخام درازیش بیموده ام شصت کام  
 - برون زمین جونکه کشتی درآب بکنند آن همایون شه کامیاب  
 - بیند اخت با هول تاپیست کام کزان خیره گشتند خلقی تمام  
 (٢) - یکی قبه اندر میان سرای بهشتی بمعنی بهشت خدای

كما نعيب عليه مسيرته لأصحاب الإسرائيليات فيما زعموه من أن اسحق ابن إبراهيم عليهما السلام هو ذبيح الله ونسى الحقيقة التاريخية التي أكدها القرآن الكريم من أن إسماعيل عليه السلام هو المقصود بذلك..

\*\*\*\*\*



## الفصل الثالث

### منظومة عبد الرحمن الجامي

تحتل قصة يوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامي منزلة طيبة بين قصص الحب الفارسية، كما أن لها مكانة مرموقة بين كتب القصص التي تدور حول الحب الصوفي. إذ لم يقتصر أثرها على سواها في الأدب الفارسي بل تعداه إلى آداب الشعوب الإسلامية وبخاصة الترك والهنود<sup>(١)</sup>.

وقد نظمها الجامي في البحر الوافر<sup>(٢)</sup>، وبدأها بالحديث عن العشق:

- إن القلب الخالي من ألم العشق ليس قلبا

والجسد الذي لا يورقه القلب ليس إلا ماء وطينا

- فحول قلبك من العالم صوب مواجيد العشق

فإن عالم العشق عالم لطيف

---

(١) خيامبور: يوسف وزليخا ، ص٤٤ ، تبريز ١٩٦٠م

(٢) ألف الجامي هذه القصة عام (٨٨٨هـ) وهو في السبعين من عمره وقد مها هدية إلى السلطان حسين بايقرا حاكم خراسان آنذاك . ومجموع أبياتها أربعة آلاف بيت في بعض النسخ ، وفي نسخ أخرى ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون بيتا وقد نقلها إلى العربية الدكتور عبد العزيز مصطفى بقوش وقدم لها بدراسة عن القصة بين كل من الجامي والفردوسي وكذلك قصة خسرو وشهرين عند نظامي الكنجوي..

- فلا خلا من أحزان العشق قلب آدمى

ولا كان فى العالم قلب بدونه<sup>(١)</sup>

فكن أسير العشق فإن الفكرة من ذلك هى أنه حرفة كل الواصلين  
- فلا يدير الفلك إلا جنون العشق والدنيا تفص بالفتنة من ضوضائه  
- فكن أسير العشق تصر حرا وأملأ صدرك بأحزانه تصبح سعيداً<sup>(٢)</sup>

ولقد تطرق الشاعر إلى الحديث عن خلق العالم بأسلوب مبنى على فكرة وحدة الوجود<sup>(٢)</sup> الحق هو الوجود المطلق لا يوصف سواء بوجود حقيقى، وهو يحتوى على كل الموجودات فى ذاته، والحق أيضاً هو الخير المطلق، كذلك الجمال هو صفة من صفات الخير.. وينطلق الجامى إلى الحديث عن خلق العالم المادى، والخلق فى نظر الشاعر أساسه التجلى. وتستند هذه الفكرة على الحديث القدسى الذى يكثر الصوفية من ترديده وهو: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف».. لقد كان الله قبل خلق الزمن وحده يفيض جلالاً وبهاء لم تشهد عين. هنالك كان اشراق الجمال المطلق، ولم تكن قد خلقت عين لتتظر إلى هذا الجمال الذى يفوق الوصف، ولا كان هناك قلب يهتز وجدا بشهود كماله. كان الجمال وحده. ولم يكن هناك من يرى ولا من يعشق، لكن الجمال، مهما كانت صورته يرغب فى التجلى فالوجه الجميل يضيق بالحجاب ويجب أن

(١) دل فارغ زبرد عشق دل نبيست	بى درد دل جزآب وگل نبيست
ز عالم رويت آورد درغم عشق	که باشد عالمى خوش عالم عشق
- غم عشق از دل کس مبادا	دل بى عشق در عالم مبادا
(٢) - أسير عشق شو کاند يشه اينست	همه صاحب دلان رابيشه اينست
- فلك سر کشته از سود اى عشقت	جهان برفتنه از غوغاى عشقت
اسير عشق شو که آزاد باشى	غمش برسینه نه تا شاد باشى

الترجمة نقلا عن: د. عبد العزيز مصطفى: الترجمة العربية ليوسف وزليخا ص ٩٨، مصر ١٩٧٤م.

(٢) وحدة الوجود؛ يقول أبو الوفا التفتازانى عن ذلك ما نصه: «تصوف وحدة الوجود هو التصوف المبنى على القول بأن ثمة وجوداً واحداً فقط هو وجود الله أما التكثر المشاهد فى العالم فهو وهم على التحقيق، تحكم به العقول القاصرة، فالوجود إذن واحد لا كثرة فيه ويعبر عنه ابن عربى بقوله: «سبحان من خلق الأشياء وهو عينها»

عن: أبو الوفا التفتازانى؛ مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١٩٩، مصر ١٩٧٩م

يرى.. وهكذا إذا جالت في الخاطر فكرة طيبة فهذه لا تود أن تبقى محتجبة عن العين، بل تتشد التعبير عنها باللفة أو بغيرها من مظاهر الفن. ذلك لأن التجلي من صفات الجمال المطلق، وما هذه المظاهر الجمالية إلا لمحات منه، فالعالم الحسى إذن نشأ من نزوع الجمال المطلق نحو التجلي<sup>(١)</sup>.

فالمنطلق الأساسى لمنظومة الجامى هو الحب الصوفى.. على أن الروايات المختلفة لقصة يوسف لم تخل من بعض الصور التى تصلح منطلقاً ومجالاً للشعر الصوفى.. ومن ذلك ما روى عن كعب الأحبار<sup>(٢)</sup> عن تجلى جمال يوسف منذ بداية الخلق: إن الله تعالى مثل لأدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الأنبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه فى الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف، مرتديا برداء الكرامة، مقمصا بقميص البهاء وفى يده قضيب الملك، وعن يمينه سبعون ألف ملك، وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الأنبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس، وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال، وتحول معه حيثما حال، فلما رآه آدم قال: الهى من هذا الكريم الذى أتحت له بحبوحه الكرامة، ورفعته الدرجة العالية فقال آدم هذا ابنك المحسود على ما أتيته يا آدم انجله. فقال آدم: قد نحلته ثلثى حسن ذريتى. ثم إن آدم ضم يوسف إلى صدره وقبله بين عينيه، وقال يا بنى لا تأسف فأنت يوسف. فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال ثلثين وقسم بين العباد الثلث. وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره وتنفخ فيه من روحه، قبل أن يصيب المعصية. وكان الله قد أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم

(١) محمد كفاى : فى الأدب المقارن : ص ٢٣٩ وما بعدها . بيروت ١٩٧٢ .

(٢) كعب الأحبار : هو كعب بن مانع بن عمرو بن قيس ونسبه يكنى أبا اسحق. كان فى حياة النبى رجلا وكان يهوديا عالما بكتبهم ، حتى كان يقال له كعب الحبر وكعب الأحبار . وكان اسلامه فى خلافة سيدنا عمر وقد سكن المدينة وغزا الروم فى خلافة عمر ثم تحول فى عهد سيدنا عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص. وكان عنده علم بثقافة أهل الكتاب وكتبهم كما كان له حظ من الثقافة الاسلامية ورواية الأحاديث .. روى عن النبى ، ولكنه مرسل لأنه لم يلق النبى ولم يسمع منه ، وعن عمر ، وصهيب ، والسيدة عائشة ، وروى عنه من الصحابة أبو هريرة ، وابن عباس وبقية العلماء . وقد أثنى عليه العلماء وترجم له الحافظ بن حجر فى الإصابة وتكاد تتفق كلمة النقاد على توثيقه

محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : ص ١٤٤

خلقه . فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام . ثم لما تاب عليه وهبه  
 ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه .. وذلك أن الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه  
 قادر على ما يشاء فأعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحداً من  
 الناس، ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا . وكان يخبر بالأمر الذي يرى في المنام أنه  
 سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الأمر . علمه الله ذلك كما علم آدم الأسماء  
 كلها فكان حسن يوسف كضوء النهار<sup>(١)</sup> .

وقد اتخذ الجامي من هذه المادة منطلقاً للقصة في منظومته فبدأها بالحديث  
 عن اشراق جمال يوسف كشمعة أضاءت خلوة الغيب، احترق بها قلب آدم، كما  
 تحترق الفراشة: "إن تجلى حسن يوسف وهو بعد في عالم الذر واشراق الحسن  
 أمام آدم خلال الغيب المحجب صور صوفية لقيت صداها في مفتتح قصة يوسف  
 كما صورها الجامي، ويصف الجامي ظهور يوسف من عالم الغيب بقوله:

.. ظهر يوسف في الصلب الثامن	فأبقى جماله دنيا بأسرها في حسرة منه
.. وقد كان ليعقوب احد عشر ابنا عدا يوسف	ولكن يوسف سكن شفاف قلبه
.. فمنند ولدت له أمه	ووجهه يضارع قمر السماء
.. وهو نجم ارتفع من برج اسحق	فاضضاءت طلعتة وجه الدنيا
.. وهو واحد من الشقائق أطلت برأسها من	حديقة يعقوب فكان منها جرحه وبلسمه <sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) محمد كفاي : في الأدب المقارن : ص ٢٢٩ وما بعدها .

.. بهشتم بهشت واضح كشت يوسف	بانند از وی جهان در تاسف
.. بنسرت بیرون ز يوسف یازده داشت	ولی یوسف مہمان جاننش ره داشت
.. جو یوسف بر زمین آمد ز مادر	برخ شد ماء کردون را برابر
.. برآمد اختری از برج اسحق	ز روی او منور چشم آفاق
.. علم زد لاله از بساغ یاقوب	از وهم مرهم وهم داغ یاقوب

(٢) الترجمة العربية نقلا عن ترجمة الدكتور عبد العزيز بقوش يوسف وزليخا ص ١٠٨ ، ١٠٩ .



ينتقل الجامى بعد ذلك إلى الحديث عن زليخا، فيبدأ بذكر نسبها إنها كانت ابنة ملك عظيم لبلاد المغرب يدعى طيموس. هذه الفتاة الناعمة الجميلة تعيش فى ظل وارف من السعادة تلعب فى القصور مع رفيقاتها خالية القلب، لم تعرف الحب ولا أحزانه.. لكنها ترى فى منامها - ذات ليلة شاباً رائع الحسن يفوق جماله كل جمال بشرى، فما كاد بصرها يقع عليه حتى عشقته، وقد أدى هذا إلى انبثاق جذوة الحب فى فؤادها، ووصولها إلى ما يمكن أن يوصف بجنون العشق.

- فأصبحت أسيرة لحسن سيرته ورقة شمائله بمائة قلب لا بقلب واحد  
- وأضرمت ناراً فى صدرها بسبب طلعتة فاحرقت بها متاع صبر قلبها(١)

بهذه الطريقة جمع الجامى بين بطلى القصة منذ البداية فلم تبق زليخا غير عارفة بيوسف إلا حين جاء إلى مصر أسيراً أو بيع فى سوق النخاسة، بل هى بشرت به فى منامها وعشقتة بكل روحها.

وفى السحر عندما أتت وصيفات زليخا إليها راكعات ساجدات فتحت عينيهما ولم تجد من ذلك الفتى ذى الوجه الطيب أثراً، فكادت تذوب جوى وحزناً واشتياًفاً. كانت تكلى بحب يوسف ولسان حالها يقول:

- لقد اختطفت قلبى دون أن تخبرنى عن اسمك أو تذكر لي علامة علي مكان اقامتك  
- ولا أدري ممن استفسر عن اسمك ولا أين كى أسأل عن مقامك  
- فلو كنت ملكاً فخبرنى عن اسمك ولو كنت قمراً فأين منزلك(٢)

وتسر زليخا أمرها إلى وصيفتها الحاذقة المجرية التى كانت تعرف من مكنونات العشق أشياء كثيرة. وأدركت المريية بحسن بصيرتها ما كانت تعاني منه الفتاة، فاستفسرتها إلى أن جعلتها تفصح عن مكنونات صدرها موضحة لها الرؤيا والعذاب الذى تعيش فيه. واستطاعت المريية أن تخفف عنها وطأة العذاب

(١) زحسن صورت ولفظ شمائل اسهرش شد بيكدل نى بصد دل

زدويش آنشى در سينه افروخت .. وازآن آنش متاع صبر دل سوخت

(٢) نقلا عن الترجمة العربية : عهد العزيز بقوش : يوسف وزليخا ص١٢١.

بكلمات لطيفة رقيقة وأملتها بأن تكون لها النجاة وأن تبلغ غايتها. فهدأت زليخا، ولكن وجد الحب كان متمكنا من قلبها. وفي الليلة التالية ظهر ذلك الفتى الجميل لزليخا في منامها، فتبدل قصارى جهدها لتعرف شيئاً عنه " وراحت تسأله(١):

- خبرنى من أى أسرة فى الأصل أنت بما لك من الحسن والجمال  
- فقال لها: إننى من سلالة آدم خلقت من الماء والتراب  
- وأنت تدعين أنك تعشقينى فلو أنك صادقة فيما تقولين  
- فأرعى حق صبرى ووفائى واحتمى برجائى بالألتزجى  
- فقلبى بدوره أسير شراكك وصرت هدفاً لجراح عشقك

ويظهر الفتى لزليخا فى منامها للمرة الثالثة، فتتوسل إليه أن يخبرها باسمه وموطنه بعد أن تسبب حلمها الثانى بإصابتها بالجنون فقيدها أهلها بسلاسل من ذهب خوفاً عليها. وفى هذه المرة يخبرها الفتى بأنه عزيز مصر وأن مقامه مصر. هذا الخبر يسعدها. فلما استيقظت من نومها إذا بالحياة قد عادت إليها وشفيت من جنونها وتحررت من قيودها الذهبية، وعادت إلى مرحها مع رفيقاتها. إلا أن عقلها وقلبها كانا يعيشان فى حلم بقاء العزيز(٢).

وتمضى القصة فتصور ذبوع خبر عشق زليخا فى كل الأمصار والبقاع، وأسرع كثير من الملوك إلى بلاط أبيها لخطبتها منه حاملين معهم الهدايا والتحف والذخائر الثمينة. ولما كثر رسل من يريدون خطبتها كان سؤال زليخا هل بينهم أحد قدم من مصر؟ وإذا لم يكن هناك رسول من مصر فلا حاصل لى من هذا

(١) عبد العزيز بقوش : يوسف وزليخا، الترجمة العربية ص ١٢٥.

- بگويبا اين جمال و دلستانى که دراصل از كسدانى خاندانى  
- بگفتار از ثراد آدم من زجنس آب و خاك عالم من  
- كنى دعوى كه هستم برتو عاشق اكبر هستى در اين گفتار صادق  
- حق مهر و وفائى من نكهدار به بن جفتى رضائى من نكهدار  
- مسراهم دل بدمام تست در بنند زداغ عشق تو هستم نشان مند

(٢) المرجع السابق : ص ١٢٩ و ص ١٤٠.

الجمع».. ثم دخل عليها والدها وأطلعها على حقيقة الأمر، إلا أنه لم يتعرض للحديث عن المصريين، فأسرعت من أمامه يائسة تبكي حظها.. ويسعى الأب الحنون إلى تحقيق حلم ابنته بعد أن علم بسر حزنها، فأوفد وفدا خاصا إلى بلاط عزيز مصر محملا بالهدايا والتحف وأخبره بأن لديه بنتا تتلأأ كالشمس خطبها ملوك الأرض لكن قلبها معلق بمصر وترابها وعزيزها.. فسر العزيز من ذلك وتملكت الفرحة قلبه.

وهنا تصوير جميل للشاعر، فمثل هذا العجوز لم يكن ليحلم بمثل هذا التكريم والاعجاب. ويأمر بتجهيز موكب كبير مكون من ألف جارية وغلّام محمل بالآف الهدايا إلى "طيموس" الذي يلقاه بالاحترام والمودة والاكرام ويسلم ابنته إلى رئيس الوفد مصحوبة بمربيّتها وحاشيتها.

وعلى مشارف مصر يخرج العزيز بحراسه وغلّمانه وجواريه ومفنياته وقيانه لاستقبال موكب زليخا.. وكانت زليخا فى شوق بالغ لرؤية العزيز وبلغ شوقها حدا طلبت معه من وصيفتها:

- اصنعى لى حيلة لألقى عليه نظرة فإنى لا أطيق الصبر بعد ذلك<sup>(١)</sup>

فتحايلت الوصيفة وفتحت شقا فى جدار الخيمة نظرت منه إلى عزيز مصر. لكن ما أن أبصرت عينا زليخا عزيز مصر حتى تأوهت باكية متأثرة برؤية هذا العجوز الفانى قائلة:

- يا ويلاه لقد حدث لى أمر عجيب فقد هوى على جدار ثقيل حملة<sup>(٢)</sup>

- ليس هذا هو الذى رأيته فى المنام وتحملت هذه الآلام بحثا عنه

ذلك أنها كانت تسعى إلى حبيبها الجميل الذى أسقمها حبه السنين الطوال، وما أقساها من خيبة أمل حين تلقى ذلك الشيخ الهرم مكانه. لكن صوتا ينجى قلبها فيمنحها نوعا من السكينة:

---

(١) علاجى كن كه يك ديدار بهنم كزين بس صبر را دشوار بهنم  
المرجع السابق ص ١٥٨

(٢) كه واويلا عجب كاريم افتاد بسسرننا برده ديواريم افتاد  
- نه آنست اينكه من در خوابد بدم بسجست وجوش اين محنت كشهيدم

- إن مراد قلبك ليس عزيز مصر ولكنه لا يتحقق بدونه (١)  
- فيمكنك عن طريقه رؤية جمال الحبيب وعن طريقه يمكنك الوصول إلى مرادك

تم وعدتها الملائكة في إلهامها بأن يد العزيز لن تمتد إليها فهدأت بالآ  
وارتاحت نفسا على أمل أن تلقى الحبيب الحقيقي في مصر.

وفي السحر أخذ عزيز مصر زليخا وأركبها في الهودج، وتحرك الموكب إلى  
مصر بينما جحافل الجيش تحرسها ميمنة وميسرة. ويحسن المصريون استقبالها،  
ثم تحمل إلى قصر العزيز حيث تعيش محاطة بكل مظاهر الجاه والغنى، لكن  
قلبها يبقى معلقا مشغولا بحبيبها.. وكانت تتاجى الفلك قائلة (٢).

- أيها الفلك ماذا تضر لي على هذا النحو ولماذا تكن لي الهلع والاضطراب  
- لست أدري ماذا صنعت بك فتلقى بي هكذا في الألم والمتاعب (٣)  
- فتارة تأسرني بيد الجنون وتطلق عقالي بالتمقل أخرى (٤)  
- وما دام قد ثبت يقينا أنك سبب نكبتى فمن العبث أن أبحث عن دوائى منك (٥)

وعلى هذه الحال يترك الشاعر زليخا وينتقل إلى مكان آخر بعيد إلى حيث  
يوسف في أرض كنعان حيث نسمع منه قصة حياة يوسف. وندخل معه بيت  
يعقوب فنرى يوسف يحظى وحده باهتمام الأب ورعايته وعنايته دون باقى اخوته  
فهو شجرة تجسدت فيها كل حياة يعقوب وآماله.. ويذكر الشاعر بعد ذلك أنه  
كان في بيت يعقوب شجرة تنبت غصناً له. وذات ليلة طلب يوسف من أبيه أن

---

(١) عزيز مصر مقصود دل نهست ولى مقصود بي او حاصل نهست  
- از او خواهي جمال دوستديدن و زاو خواهي بمقصودت رسيدن

المرجع السابق ص ١٦١

(٢) كه اي گردون مرا زينسان جه دارى چنين صبروني سامان جه دارى  
- از او خواهي تو من جه كردم كه افكندي چنين در رنج و دردم

(٣) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : عبد العزيز بقوش . ص ١٦٤

(٤) كه زديوانگي بنندم نهسادى كه از فرزانيگي بنندم گشادى  
چوشد از تو شكست خود درستم خطا كردم كه از تو جاره جستم

(٥) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : عبد العزيز بقوش . ص ١٦١

يدعوا له ربه ليمنحه عصا لائقة به من الجنة. ويستجيب الله لدعاء يعقوب ويرسل ليوسف عصا خضراء من زبرجد. ويفرح يوسف لذلك بينما تشتعل نار الحسد والغيرة في قلوب اخوته.. وذات ليلة كان يوسف نائما قرب أبيه فإذا به يضحك ملء فمه وهو في النوم، وأدرك ذلك يعقوب فاندعش. ولما استيقظ سأله عن سبب ذلك. فأجاب بأنه رأى في المنام أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا قد سجدوا له تجليلا وتعظيماً.. فأمره يعقوب أن يخفي هذه الرؤيا عن إخوته حتى لا يزدادوا كيدا له.. لكن يوسف ينسى ذلك ويحكى رؤياه لا خوته، فيزدادون حقدا عليه وحسداً له. فاتفقوا على أن يدبروا حلية للخلاص منه. واستقر الرأي فيما بينهم على البحث عن بئر بعيد يلقونه في غيابه.. وتواطئوا فيما بينهم على أن يقنعوا آياهم باصطحابه معهم للنزهة ولما حملوه بعيداً في الصحراء بالغوا في قسوته وإيذائه ثم ألقوه في قاع الجب.

وظل يوسف في قاع الجب ثلاثة أيام بعد أن تركه اخوته وانصرفوا عنه.. وفي اليوم الرابع مرت بالبئر قافلة أرسلت واردها إلى البئر، وحينما أدلى دلوه تعلق فيه يوسف وخرج إلى سطح الأرض بدرا منيرا ملاً الأرض نوراً وضياء..

فحملة الوارد فرحا إلى أصحابه. لكن اخوته - الذين كانوا يرقبون الموقف من بعيد - حضروا وتحلقوا حوله وبدأوا يساومون حول شراء يوسف، وياعوه بثمن بخس لأرباب العير. وحملة مالك بن ذعر إلى مصر فرحا سعيدا بهذه الصفقة الرابعة ولما سمع ملك مصر بمقدمه السعيد أرسل العزيز لاستقباله وخرج المصريون جميعا وهم يتطلعون للفوز بلقاء يوسف. وبلغت المساومات على شراء يوسف حدا لا قبل للمصريين به من قبل حتى استعد الجميع لبذل كل ما لديهم من مال ومتاع لشرائه. وعسكر الناس على شاطئ النيل لرؤية يوسف وهو يستحم من وعثاء السفر ويصف الشاعر ذلك قائلاً:

- وأخذ المتفرجون يصيحون من كل جانب  
- قائلين يا الهى من هذا الكوكب المبارك؟  
- وظلت حسان مصر مطرقات برؤسهن  
- حقًا حينما تظهر الشمس المضيئة

ضاربين أكف الحيرة<sup>(١)</sup>  
الذى يخجل القمر والشمس معا  
وأخذن يقرآن فى لوحة كلمات نسخهن  
فلا حيلة للسهى سوى الاحتجاب<sup>(٢)</sup>

أما زليخا فكانت - من شدة حزنها - فى مكان قصى خارج المدينة تتفرج على جمال الطبيعة. وعندما عادت إلى البيت وجدت حشدا من الناس أمامه فسألت عن سبب ذلك، فقيل لها إن غلاما أحضر القصر وهؤلاء الملأ جاؤا مزدحمين لرؤيته. فدخلت زليخا ورفعت ستار الحجرة فوقعت عيناها على يوسف فصرخت باكية وهى تقول:

- إن هذا الغلام الذى رأيت فى ذلك الجمع<sup>(٣)</sup>  
- إنه قبلة روحى فى الدنيا  
- وقد طلع على وجه الحبيب فى النوم  
- إن حملى اليوم أثقل من الجبل  
- فلقد أضاعت عيني منه

وسمعت أوصافة من أهل مصر  
وروحى فداء له فهو حبيبى  
وكان هو الذى انتزع الصبر من روحى  
ولا أدرى ماذا سيكون عليه أمرى اليوم  
وأصبح هذا البيت روضه منه<sup>(٤)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) زهيرت كف زنان أهل نظارا  
- كه يارب كهست اين فرخنده اختر  
- بتان مصر سرد دريش ماندند  
بلى هرجابود مهر آشكارا

فغان برد اشتند ازهر كناره  
كه هم ماه است از آن شرمنده خور  
ز لوحش حرف نسخ خویش خواندند  
سهارا جزنهان بودن چه يارا

(٢) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : عبد العزيز بقوش . ص ٢٠١

(٣) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : عبد العزيز بقوشى . ص ٢٠٢

(٤) در آن مجمع غلامى را كه دیدى  
- ز عالم قبله كاه جان من اوست  
- بخوابم روى زيبا اوى نمود است  
ز كوه افزون بود درياز من امروز  
- كه اين دیده گسردد روشن زاوى

زاهل مصر وصف او شنیدى  
فدايش جان من جان بآن من راست  
شكيب از جان شد اويود است  
نبدانم چون شود كار من امروز  
كه اين خسانه گسردد گسشن از اوى

ويمضى الشاعر قائلاً إن الناس قد تهافتت على رؤية يوسف والمساومة على شرائه، إلى أن بلغ الخبر زليخا فساومت أضعافاً مضاعفة على كل ما عرضه الآخرون، ودفعت زليخا ثمن يوسف مما كان لديها من جواهر ولآلئ ثمينة وهكذا تخلص يوسف من ربة مالك، وشكر ربه على ما تفضل عليه به من اعتاقه من ربة العبودية. وانتقل إلى بلاط الملك وألبس أفخر الثياب من الخز والديباج وهنا يوقف الشاعر سياق القصة ويدخل فيها قصة فتاة عالية النسب، بارعة الجمال، وافرة المال، جعلت منها هذه الصفات فتاة معتدة بذاتها. ولقد أحببت هذه الفتاة يوسف لما سمعت من أخباره لكنها أرادت أن تظهر تفوقها عليه في الجمال والبهاء، فارتدت أفخر الثياب، وخرجت في موكب مهيب تحيط بها حاشية أنيقة المظهر، وقصدت إلى الميدان الذي عرض فيه يوسف للبيع، وحين وصلت إلى حيث تجمع الناس لم تجد من يلتفت إليها، بالرغم مما كانت عليه من جمال وجسارة فالأعين كلها متجهة إلى يوسف مأخوذة بجماله. وما أن وقع نظرها عليه حتى بهرها حسنه فتوجهت إليه تحدثه قائلة:

- يا من يكتمل بك شأن الجمال  
- ومن الذى جعل شمس جبينك لامة  
- وأى فننان أبدع صورتك  
- ومن الذى خط قوس حاجبك  
من الذى زين جمالك بهذا الحسن  
حتى استمدت هالة القمر نورها من جبينك  
وأى بستانى زين سورتك  
ومن الذى ربط ذؤابتك برياط منير<sup>(١)</sup>

فأجابها يوسف قائلاً:

- إنى من صنع ذلك الصانع  
- وما الفلك إلا نقطة من قلم كما له  
وأنا قانع بقطرة من بحر<sup>(٢)</sup>  
وما الدنيا إلا برعم من بستان جماله

(١) - بگفت ای توکار نیکوی راست  
- که لا مع ساخت خورشید جبهنت  
- کدامین خامه زن نقش تو برداخت  
- که زد پرکار طاق ابروت را  
(٢) - بگفتا صنعت آن صناعم من  
- فلك يك نقطة ازكلك كمالش  
بدين خويى جمالت را كه آراست  
كه آمد خر من مه خوشه جبهنت  
كدامين باغبان سروتوار است  
كه داد اين بسند كنيتوت را  
كه از بحرش برشمى قانمم  
جهان يك غنجه ازباغ جمالش =

- والشمس مضيئة من نور حكمته والفلک فقااعة من بحر قدرته  
- كان جمالا منزها من تهمة العيب مخفيا في حجب الغيب واستاره

ويستمر الحوار بينهما فيحدثها يوسف عن فضيلة التواضع، وقهر النفس حتى تخلت هذه الفتاة عن غرورها ونفضت يديها عن مالها، وزهدت في الجاه وبنت لها غرفة متواضعة على شاطئ النيل حيث قضت عمرها في عبادة الله الواحد القهار.

ونعود مع الجامى إلى قصر زليخا ونعيش معها سعادتها بيوسف وملازمتها له ليل نهار. فقد أصبح شغلها الشاغل تطعمه وتسقيه وتعتنى به وتلبسه أفخر الثياب. فإذا تتوجت الشمس بتاج المشرق الذهبى زينت مفرقه بتاج آخر<sup>(١)</sup>، ثم هى تسمع منه قصته مع إخوته وحكاية البئر ومصاعبه ومحنته فيه. وهكذا يربط الجامى بين يوسف وزليخا بهذا الأسلوب القائم على ارتباطها الروحى به قبل مشاهدتها إياه.

وذات ليلة يطلب يوسف من زليخا أن يعمل برعى الغنم ليسير بذلك على النهج الذى سار عليه من سبقه من أنبياء الله. وتستجيب زليخا لرغبته وتأمّر عمالها بتسليمه قطيعا من الأغنام ومراقبته من بعيد حتى لا يصاب بمكروه..

ومع الأيام يزداد جمال يوسف بعد أن اكتملت رجولته فتحن زليخا إلى وصاله بعد أن ملك حبه زمام قلبها وعقلها، وراحت تتفنن فى ابتكار الحيل لتفوز بعشقه ووصله. ويصف الجامى ذلك:

- وقلبت أوجه البـحث

- وتحقق مرادها بالقبل من ياقوته

= زنور حكمتش خورشيد تابهى

- جمال بود باك از تهمت عيب

(١) - جواز زرد تاج كردى خسرو شرق

(٢) - بان آورد روى جستجورا

- زلعل او ببوسه كام گيبرد

- زليخا وصل را ميچست چاره

- زليخا بود خون ازديده ريزان

لتضم ذلك القمري الوجه فى أحضانها<sup>(٢)</sup>

وتفوز بالطمأنينة من احتضان سروره

زبحر قدرتش گردون حبابى

نهفته درحجاب يردة غيب

بتاج ديگرش آراستى فرق

كه آرد در كنار ما مروا را

زسروش با كنار آرام گيبرد

ولى ميگرد از آن يوسف كناره

ولى ميپود يوسف زاو گريزان



- كانت زليخا تبحث عن حيلة لوصاله      ولكن يوسف كان يتحاشاها  
 - كانت زليخا تسكب الدمع من عينيها      ولكن يوسف كان يهرب منها

\*\*\*\*\*

ونمضى مع الجامى وهو يصور لنا إعراض يوسف عن زليخا وما سببه هذا الإعراض لزليخا من سقم ونصب وتعب وألم وعذاب، وحزن أودى بها إلى ذبول ورد خديها واسودت الدنيا فى عينيها، وكان حديثها يدور دائماً حول الألم والعذاب والسهاد، وراحت تلوم نفسها قائلة:

- يا من جرك شأنك إلى الفضيحة      ومن جنون عشقك اشتريت غلاما بالذهب  
 - انت ملكة على عرش الجلال      فلماذا تقامرین بالعشق مع عبدك  
 - فاطلبى معشوقا يكون ملكاً مثلك      فالملك لا يليق إلا بملك مثله  
 - ومما هو أعجب من المعجب      أنه يدير رأسه لوصالك  
 - ولو علمت نسوة مصر بحالك      للحق بك مئات من لومهن  
 - ولسحبن السنة الطعن على      ولا شرن بأصابهن عليك مثل القمر الجديد<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*\*

ويمضى الجامى فيصف لنا كيف تعددت حيل زليخا للظفر بوصال يوسف فمرة تبعث بيوسف إلى البستان وبصحبتة مائه من الجوارى العذارى الحسان ليختار منهن من يروقه حسنهما. وتبذل كل فتاة مما لديها من فنون الهوى لاسعاده فلعل إحداهن تظفر بإعجابه فتأخذ زليخا مكانها إذا ما جن الليل لكن يوسف يقاوم فتنتهن وحيلهن والأعيبهن، بل ويحول الفتيات إلى عابدات تائبات مؤمنات بالله.. ولما فشلت تلك الحيلة عادت زليخا إلى وصيفتها الماكرة لتدبير حيلة أخرى

(١) - كه ای کارتو برمسواي كشيده      زسودای غلام زر خــــریده  
 - توشاهی بر سریر سر فرازی      چرا با بنده خود عشق بازی  
 - بمعشوقی چو خود شاهی طلب دارد      كه شاهی رابود شاهی سر آوار  
 - عجب ترآنكه ازعجبی كه درد      بومل چون توشی سرد رنیارد  
 - زنان مصر كر دانند حالت      رسانند از ملامت صد ملامت  
 - زبان طمنه بر من گشائهد      چو ماه نوبانگ شتم نما بند

علها تنجح هذه المرة وتقر بوصول يوسف. فطلبت المربية من زليخا مبلغاً من المال وأمرت المهندسين فشيّدوا لها قصراً جميلاً كالجنان يضم سبع مقصورات تؤدي كل منها إلى الأخرى، وقد زينت جدرانها وأرضياتها وأسقفها بصور زليخا ويوسف في أوضاع غرامية تثير الفتنة، فإذا أدخلته إلى هذه المقصورات وأجلسته إلى جوارها، فهو إن حول وجهه عنها أبصر صورته معها وقد احتضن كل منهما الآخر: «إذ حين ترى العين يشتهي القلب». وبعد أن تم تشييد هذا القصر المرمري الجميل بغرفة السبع ونقوشه الفاتنة، اصطحبت زليخا حبيب قلبها يوسف إلى داخل القصر ومضت به من مخدع لآخر وهو يزداد صدوداً وإعراضاً حتى أغلقت سبع<sup>(١)</sup> أبواب دونه. وبعد أن أعيتها الحيل ألقت بنفسها على السرير وقالت له:

- يا وردى الوجه تطلّع إلى وجهي وانظر إلى بعين اللطف  
 - فإن الشمس لو رأت وجهي لاستمدت ضوء ما منى مثل القمر  
 - إلى متى تسرك محنتي فتفلق عن وجهي عين الرحمة  
 - وعلى هذا النحو تألم قلبها كثيراً وأظهرت شوق قلبها إلى يوسف<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

ونمضى مع يوسف لنرى ما فعله مع زليخا إلقاء لفتنتها، فنراه وقد خفض بصره إلى الأرض، لكنه يرى صورته مع زليخا في وضع غرامي آخر، فيحول بصره نحو الحائط فيرى مشهداً مماثلاً، فيرفع رأسه إلى أعلى فتقع عيناه على مشهد آخر قد نقش على السقف. ويعتصم يوسف النقي الذيل بعصمة النبوة وبحرصه على ألا يرتكب معصية، وتساله زليخا قائلة:

(١) يبدو تأثر الجامي هنا بما ورد في أغلب كتب التفسير حول عدد الأبواب التي أغلقتها زليخا، إذ يجمعون على أنها سبعة أبواب. وفي ذلك يقول الفخر الرازي: «غلت سبعة أبواب ثم دعتني إلى نفسها»

كما يقول ابن كثير: «وغلقت الأبواب وكانت سبعة أبواب»

الفخر الرازي: تفسير الرازي، ص ١١٩، ج ٥، مصر ١٣٠٨هـ

بن كثير: تفسير ابن كثير ج ٢، ص ٤٨٠، مصر ١٣٤٦هـ

(٢) - كه ای گل رخ بروی من نظر کن      بچشم لطف سوی من نظر کن  
 - اگر خورشید روی من ببیند      جو ماه از خرمین من خوشه جنید  
 - مرآت‌اکی در این محنت یسنندی      كه چشم رحمت از رویم ببندی  
 - بدینسان درد دل بسیار کردی      بیوسف شوق دل اظهار کردی

- لا اعرف ماذا يمنعك عن هذا العمل حتى لا تقدر ان تمضى معى لحظة حلوة<sup>(١)</sup>  
 - فأجابها: إن ما يمنعنى عن ذلك شيئان  
 - فحين يعرف العزيز هذه الخصلة السيئة  
 - ويجرد السيف على النحو الذى تعرفينه  
 - ومما أسوءه من خجل ذلك الذى يقع على الزناة عقوبة يوم القيامة

وهنا تجيبه زليخا مشجعة بأن لا يخشى العزيز لأنها ستسقيه كأسا تسكره إلى يوم القيامة وتسلمه للمنام الأبدى، ثم تسلمه مقاليد الخزائن والدر والجواهر ليتوب بها عن ذنبه وينال من الله العفو والمغفرة. لكن يوسف يرفض كل ذلك قائلا لها<sup>(٢)</sup>:

- كيف أحصل على عفو ربي برشوة وليس باستطاعة مخلوق شكر نعمه  
 - فكيف يقبل رشوة فى الفجران من لا يأخذ اجرا من أحد على منح الحياة

ومع هذا الاصرار من يوسف تهدده زليخا بأنها ستقتل نفسها. إلا أن ذلك لم ينصرف يوسف عن عزمه، فهرب منها، فأسرعت زليخا تعدو خلفه لتمسك به. فأدركته عند الباب وجذبتة من قميصه فتمزق من الخلف.. وألفى يوسف سيده العزيز عند الباب، فكتم عنه ما حدث من زليخا، لكنها تعلن إتهامها ليوسف بمحاولة الاعتداء عليها فى فراشها وهى نائمة. وهنا يشتد غضب العزيز على يوسف. لكن الحق ينطق طفلا رضيعا فيشهد على براءة يوسف، خاصة وأن قميصه قد من دبر.

وحينئذ ينهال العزيز على زليخا لوما وتوبيخا، ويطلب منها استغفار خالقها لكن الخبر سرعان ما شاع فى المدينة، ولا كته السنة نسوتها فى كل مجلس

(١) ندانم ما نعت زين مصالحت جيست  
 - بكفتا مانع من زآن دو جيز است  
 - عزيزاين كج نهادى جون بداند  
 - برهنه كرده تيغ آنسان كه داني  
 - زهى خيجلت كه جون روز قيهامت  
 (٢) - خدای من كه نتوان حق كزاريش  
 - بجان دادن جو مرد ازكس نكهرد  
 كه نتوانى بمن يك لحظة خوش زيست  
 عتاب ايزد وقهر عزيز است  
 بمن صد محنت و خواری رساند  
 كشد از من لباس زند كاني  
 كه افتد سرزنا كاران غرامت  
 برشوت كى شود آمرز كاريش  
 در آمرزش كسجا رشوت بنهرد

ومنتدى. إلى أن بلغ مسامع زليخا. فأعدت للأمر عدته، وأقامت حفلاً دعت إليه النسوة من علية القوم، وأعطت كل واحدة منهن برتقالة وسكيناً وأدخلت عليهن يوسف وهو في أبهى زينة وجمال. فلما طلع عليهن طلوع البدر في السماء:

- غشيتهن الحيرة من جمال وجهه وظلمن من الحيرة كجسد بلا روح<sup>(١)</sup>
- وحين رأت كل واحدة منهن نفسها في تلك الحالة وتمنت أن تقطع برتقالتها
- لم تفرق بين البرتقال وبين يديها وشرعت في قطع يدها<sup>(٢)</sup>

وبعد أن حدث لنسوة مصر ما حدث، اعتذرن لزليخا، ورحن إلى يوسف بعد ذلك طالبات منه أن يبادل زليخا الوصال. لكن يوسف العفيف يرفض كل ذلك ويقبل على ربه معتاداً به من مكرهن. ولما يئسن منه رجعن لزليخا مشيرات عليها بسجنه وردعه. واستصوبت زليخا رأيهن وذهبت لتوها إلى العزيز شاكية باكية افتضاح أمرها وهوان شأنها بين الناس. واضطر العزيز إلى إرسال الفتى العبرى البرئ إلى السجن.

وفي السجن يرقد يوسف حزيناً، لكنه سرعان ما يتذكر خالق الأكوان، فيعود إلى العبادة والاستغفار وشكر الله على انقاذه من محنة النساء وكيدهن "إن كيدهن عظيم" وتتدم زليخا على ما فعلته بيوسف وتضيق بها الحياة، حتى هُت لها القصر العظيم وقد تحول إلى سجن موحش، فراحت في بكاء ونحيب ممطرة دموع الندم ليل نهار. لكن لوعتها كانت تشتد ولهيب شوقها يزداد اشتعالاً، الأمر الذي جعلها تشرع في بهيم الليل الدامس مع وصيفتها إلى السجن لتلقى نظرة على يوسف. وصارت سلوتها بعد ذلك أن تنظر من نافذة قصرها المطل على سجن يوسف ذارفة دموع الأسى والندم.

\*\*\*\*\*

- (١) - زليبا شكل أو حيران بما ندند ز حيرت چون تن بیجان بما ندند
- جوهریک رادر آن دیدار دیدن تمننا شد ترنج خود بریدن
- ندانسته ترنج از دست خود باز زدست خود بریدن کرد آغاز

(٢) - تأثر الشاعر هنا بقوله تعالى: "وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم" آية ٢١، ٢٠ «س يوسف».

قصة يوسف فى السجن هى ذات القصة المعروفة فى القرآن الكريم فها هو يوسف فى السجن يقضى نهاره وليله فى العبادة والدعوة إلى وحدانية الله الواحد القهار، ثم إنه يعبر الرؤيا لرجلين أحدهما ساقى الملك والثانى صاحب طعامه ويصدق التعبير، وتمر الأيام ويرى ملك مصر رؤياه التى روعته وفشل منجموه وعرافوه فى تفسيرها فيسرع ساقيه إلى السجن ويطلب من يوسف تعبیر رؤيا الملك، ويعود إلى الملك حاملا تعبیر يوسف لرؤياه. فيطلب الملك يوسف إلى حضرته، لكنه يأبى ذلك حتى تتحقق براءته من فرية النسوة قائلا:

- فى هذا البيت لا تأتى الخيانه منى ولا يصدر عنى سوى الصدق والأمانة(١)

وهنا يأمر الملك باحضار النسوة اللاتى حضرن مأدبة زليخا وعلى رأسهن زليخا نفسها. "وينتهى الأمر باعتراف الجميع بذنبنهن وما مجنته أيديهن فى حق يوسف الطاهر البرئ(٢).

- وقالت النسوة أيها الملك السعيد الحظ والعرش والتاج أكثر سعادة بك  
- إننا لم نر من يوسف غير الطهارة ولم نسر إلا العزة والشرف

وقالت زليخا(٣):

- ليس ليوسف ذنب ولكنى ضللت الطريق فى عشقه  
- وطلبته فى البداية لوصلى فلما رفض تحقيق رغبتى طردته من أمامى

ويسعد الملك لبراءة يوسف فيصدر أمره باحضاره فى عربة ملكية وحينما يمثل فى حضرته يزداد إعجابه به واكباره لطهارته وصدق نبؤته فيأمر بتتصيبه عزيزا لمصر. وتدير شئون البلاد المالية للخروج بها من وطئة القحط والمجاعة بسلام.. وراح يوسف يعمل بجد وإخلاص لخدمة مصر ومليكها. فلما رأى الملك ذلك منه

(١) - درآن خانه خيانت نه آمد زمن  
(٢) - زنان گفتند که ای شاه جوان بخت  
- يوسف ما بجز باکی نديديم  
(٣) - بگفتا نيست يوسف را گناهی  
- نخست او بوصل خویش خواندم  
بجز صدق و امانت نآمد ازمن  
بتوفرخنده ترهم تاج وهم ثخت  
بجز عز و شرف تاکی نديديم  
منم در عشق اوگم کرده راهی  
جو کام من نداد ازيش راندم

منحه حكم مصر وأجلسه مكانه على عرشها الذهبى وخلع عليه فى عزة وجلال تاج الملك الذهبى.

وتمضى الحياة بيوسف فى حكم مصر بالعدل والمحبة ولم تنقضى فترة الا ويتوفى قطفير - زوج زليخا - وتعيش زليخا بعده فى وحدة قاسية وقد تملكها حب يوسف وأصبح شاغلها الشاغل رغم أنها لم تعد تلك الحسناء الخالصة للاسماع والألباب. فقد ذهب عنها جمالها ومالها وأبيض شعرها وذهب نور عينيها<sup>(١)</sup>. واستقر بها المقام فى كوخ من الغاب على قارعة الطريق. وذهبت عنها الدنيا بكل مباحها وفتنتها، ولم تبق لها إلا اسمها الذى كان يمنحها شيئاً من الراحة والطمأنينة. وكانت تقضى يومها فى ترقب حس الذاهبين والغادين وهم يتخذون الطريق نحو بلاط يوسف ملك مصر.. وفى كل مرة تسمع صوت حوافر الخيل كانت تهرع إلى قارعة الطريق عليها تستمنع بسمع صوت يوسف، ولكنها كانت تعود أدراجها حزينة يائسة. وعندما كان يمر يوسف كانوا يخبرونها بأنهم لم يروه، وكان موقفها منهم موقف المستغيث، وكانت تقول<sup>(٢)</sup>.

- أقول لكم لا تسمعوا فى خداعى ولا تخفوا مقدم الحبيب عنى

وتتعدد محاولات زليخا لا سماع يوسف صوتها أثناء مروره على طريقها لكن محاولات تضيق هباء وتذر الرياح صوتها بين وقع حوافر خيله ونفير حراسه. فيتمزق قلبها أسى وحسرة وتعود إلى كوخها كاسفة حزينة.. وفى نوبة يأس تقوم إلى صنمها فتحطمه بعد أن ادركت فى نهاية الأمر أن الصنم الذى كانت تعبده لم

---

(١) يبدو تأثر الجامى هنا جلياً بما ورد فى كتب التفسير عما انتهى إليه شأن زليخا من إعتلال صحتها وفقدانها لبصرها وذهاب جمالها فقد تأثر بما أورده القرطبي نقلاً عن وهب بن منبه حيث قال: "وذلك أن زليخا ماتت زوجها ويوسف فى السجن وذهب مالها وعمى بصرها على بكاء "يوسف" القرطبي: تفسير القرطبي ص ٢٢٤٢

(٢) تأثر الجامى هنا بما أورده بعض المفسرين عن وهب بن منبه فى وصف مواكب يوسف وما كانت عليه من حسن وبهاء وقوة وجاه يقول ابن كثير: "وكان يوسف يركب فى كل أسبوع مرة فى موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه، فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشئ، ثم قيل لها لا تفعل، فربما ذكر بعض ما كان معك من المراودة والسجن فيسئ إليك، فقالت: أنا أعلم بخلق حبيبي منكم، ثم تركته حتى إذا ركب فى موكبه فنادت بأعلى صوتها "سبحان من جعل الملوك عبداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٦٦٦

ينفعها في محنتها هذه ولا في غيرها من الأمور. فقد سألتها مراراً أن يعيد إليها بصرها وأن يجعل يوسف يستجيب لها وينظر إليها، لكن بغير جدوى. وارتاحت نفسها وهدأت روحها بعد أن رأت أجزاء الصنم مهشمة أمام ناظريها. وتوجهت ضارعة إلى الله طالبة غفرانه ورحمته:

- تضرعت ومرغمت وجهها في التراب وبكت في حضرة الله الجليل<sup>(١)</sup>

وما فتأت زليخا تعيد المحاولة تلو الأخرى حتى أكرمها الله في النهاية فاسمع يوسف صوتها ولحظتها أمر يوسف فحملت إلى قصره، ولما لم يعرفها يوسف قالت له:

- أنا التي حين رأيت وجهك اخترتك من بين كل أهل الدنيا<sup>(٢)</sup>

- وأفنيت شبابي حزناً عليك وأصبحت في هذه الشيخوخة كما ترى

- واحتضنت أنت سطوة الملك ومرة واحدة نسيتني

ولما سمع يوسف ذلك بكى بكاء شديداً وقال لها:

- اين شبابك وجمالك فقالت ضاعا في وصالك

- فقال لها كيف ذهب نور عينيك فقالت من كثرة ما غرقنا في الدماء بعدك

- قال ولم تقوس سروك اللطيف فقالت لقد ذاب من مشقة هجرتك

- فقال اين ما كان لك من الذهب والفضة واين ما كان لك من إكليل وتاج

- فقالت إن كل من تحدث عن حسنك ونثر الجواهر على رأسى من وصفك

- نثرت من الذهب والرأس تحت قدميه وكأ فأتته بنثر الجواهر<sup>(٣)</sup>

(١) - تضرع كرد ورو بر خنك مالميد

(٢) - بگفت آنم كه جون روى توديدم

- جوانى برغممت برىباد دادم

- گرفتى شاهى دولت در آغوش

(٣) - بگفتا كو جوانى وجمال

- بگفتا چشم توى نور جونست

- بگفتا آن زر وسيمى كه بودت

- بگفت از حسن توهر كس سخن راند

- زسرو زر درنثار باش كردم

بدر گاه خدای بياك نالميد

ترا از جمله عالم برگزیدم

بدین بهیرى كه ميبهینى فتادم

مرا بکسباركى كردى فراموش

بگفت از دست شد دوراز وصال

بگفت ازيس كه بى تو غرق خونست

بفرق تاج وديهمى كه بودت

زو صفت برسر من گوهر افشاند

بگوهر باشش بباداش كردم

وبعد هذا الحوار يرق لها قلب يوسف ويسألها عن حاجتها بعد أن أقسم بأنه لا يرد لها طلباً. فسألته زليخا أن يعيد لها جمالها وشبابها وبصرها. فدعى يوسف ربه فرد عليها نور عينيها وجمالها وعاد إليها شبابها وتحولت قامتها المقوسة إلى ألف مستقيم يحاكي السرو في جماله.. وفاق جمالها كل جمال. ثم عاد يوسف يسألها إن كان لها حاجة أخرى فقالت:

- لا مراد لى إلا أن أكون فى الخلوة معك ويكون لى وصالك<sup>(١)</sup>

فأطرق يوسف بعد هذا الحوار، فإذا بجبريل ينزل عليه موحياً بما يلي:

- إننا لما رأينا عجز زليخا وسمعنا عرض حاجتها عليك

- أنقذنا قلبها من خنجر اليأس وعقدنا لك عليها بأعلى العرش

\*\*\*\*\*

ويمضى الجامى قائلًا بأن يوسف أقام حفلاً ملكياً دعى إليه الملوك والأمراء وعقد على زليخا وسط سعادة الجميع<sup>(٢)</sup>، ثم بعث بها إلى مقامه الخاص وفى الليل بقيت زليخا تنتظر يوسف فى خدرها إلى أن طلع عليها يوسف كالبدر فجلس بجوارها ينقش القبلات على فمها ويحتسى ياقوتها ويمضغ عنابها ولم تدم هذه السعادة طويلاً، فقد تحول قلب زليخا إلى حب الجمال الالهى<sup>(٣)</sup>.. فما كان من يوسف إلا أن أقام لها معبداً تقضى فيه الأيام الباقية من عمرها فى عبادة الله الواحد القهار..

---

(١) - مرادى نهست كفتا غير زنيهم كه در خلوتك ووصلت نشينم  
- كه ما عجز زليخا راکه ديديم بتو عرض نيارش را شنيديم  
- دلش از تيغ نوميدى بخشستم بتو بالاي عرشش عقد بستيم

(١) تائر الجامى هنا بما آورده القرطبي حين قال: "ثم زفت إليه فقام يصلى ويدعو الله ، وقامت واره فسأل الله أن يعيد إليها شبابها وجمالها وبصرها حتى عادت أحسن مما كانت يوم راودته إكراماً ليوسف عليه السلام لما عف عن محارم الله القرطبي : تفسير القرطبي ص ٢٤٢٣."

(٢) تائر الجامى هنا بما آورده القرطبي وغيره ونقرأ فى القرطبي ما نصه: "وفيما يروى أن الله ألقى فى قلب يوسف من محبتها أضعاف ما كان فى قلبها فقال لها: ما شأنك لا تحبيننى كما فى أول مرة؟ فقالت: لما ذقت محبة الله تعالى شغلنى ذلك عن كل شيء"

المرجع السابق ص ٢٤٤٤



وتنتهى القصة بوفاة يوسف، فيتملك الأسى قلب زليخا وتموت حزنا عليه.  
ويتبع الجامى قصته بفصول متعددة من الشعر التعليمى.. ولا غرابة فى ذلك  
فالصوفية يقصدون من القصص مغازها..

\*\*\*\*\*



## الفصل الرابع

أوجه الشبه والاختلاف بين منظومة الجامى

والأخرى المنسوبة للفردوسى

لاحظنا فيما سبق أن القصة المنسوبة للفردوسى قد ركزت اهتمامها بصورة أساسية حول يوسف، وتناولت أحداث القصة تناولا يتفق مع ما أورده الرواة من تفصيلاتها، تلك التفصيلات التى حفلت بها كتب التفسير وقصص الأنبياء... فإذا ما انتقلنا إلى قصة الجامى وجدنا أنه تناول القصة تناولا فنيا مغايرا للقصة الأخرى بحيث جعل يوسف وزليخا يتقاسمان بطولة القصة، فلم تعد زليخا مجرد شخصية من الشخصيات التى مرت فى حياة يوسف بل وجدناها فى قصة الجامى بطله الحقيقية، تهتم القصة بأحداث حياتها كما تهتم بيوسف. وقد اقتضى ذلك من الجامى كثيرا من الاختراع والخيال المحلق فالمادة القصصية التى جاء بها عن زليخا تكاد تكون فى أهم جوانبها من وحي خيال الشاعر. أما بالنسبة لشخصية يوسف فقد حذف الجامى - كما مر بنا فى تسلسل السياق - كثيرا من التفصيلات التى اهتمت بها المنظومة المنسوبة للفردوسى، وبخاصة تلك التى وردت حول أسلافه وصباه ونشأته الأولى وعلاقته باخوته ورحلاتهم بين مصر وأرض كنعان.

ومن الفروق الجوهرية بين المنظومتين أن الجامى ركز على فكرة الحب الذى جمع بين يوسف وزليخا وصور هذا الحب بأسلوب صوفى، وجنبها كثيرا من الصفات الحسية التى رأيناها فى المنظومة المنسوبة للفردوسى.

فالمنطلق الأساسى لمنظومة الجامى هو الحب الصوفى<sup>(١)</sup>، ولذلك كان اختراعه لكثير من الأحداث التى تخدم منطقته. ومن ذلك مثلا - الرؤى الثلاث لزيخا والتى لم ترد فى أى من الكتب والمصادر التى تناولت القصة الأساسية. فزيخا ترى يوسف فى منامها قبل أن تراه بالعين المجردة ترى شابا رائع الحسن، يفوق جماله كل جمال بشرى، فما كاد بصرها يقع عليه حتى عشقته وأدى ذلك إلى انبثاق جذوة الحب فى قوادها ووصولها إلى جنون العشق، وللمرة الثانية يظهر ذلك الفتى الجميل لزيخا فى منامها، فتبذل قصارى جهدها لتعرف شيئا عنه، فيخبرها بأنه إنسان وأنه يبادلها الحب. وهذا الحلم الثانى يصيب الفتاة بالجنون فيقيدها أهلها بسلاسل من ذهب خوفا عليها. ويظهر الفتى لزيخا فى منامها للمرة الثالثة، فتتوسل إليه أن يخبرها باسمه وموطنه، فيخبرها الفتى بأنه عزيز مصر.. فيسعددها هذا الخبر، وتثوب إلى رشدها وتشفى من جنونها. ويعيش عقلها وقلبها فى حلم بقاء عزيز مصر.

وهكذا أراد الجامى أن يصور بطلة القصة بطريقة أكثر تفصيلا مما وجد فى التراث القصصى الذى كان بين يديه. وربما كانت زيخا فى نظر الشاعر رمزا للنفس التى تسعى لبلوغ الطهر والنقاء والمحبة، فتتعثر بها شهواتها واحلامها، وتظل فى كفاح وسعى حتى يتحقق لها النقاء بالحب الحقيقى. وتذكر أن ما كانت تعانيه من أشواق دافعها الشهوات لم تكن هى المحبة المنشودة. وقد جعلها الجامى طالبة للجمال الأكمل تحلم به وتسعى إليه وتطلبه، ولكنها لا تصل إليه إلا حين يتحقق لها الطهر والنقاء وتبلغ آسمى حالات الصفاء. هذا الرمز الذى يمكن استخلاصه لا يسبب أى ضعف للأداء القصصى. فالقصة تربط فى براعة بين البطلين منذ حلم زيخا الأول وحتى صار يوسف عزيزا لمصر<sup>(٢)</sup>. فقد ظلت مقيمة على حبها لفتى أحلامها الأول، ثم إنها تظل عذراء مع زوجها طوال حياتها. وهذا قريب من الزواج الصوفى الذى عزاه الصوفية إلى شخصية ليلى فى الأدبين الفارسى والتركى.

(١) الحب الصوفى هو الذى يتخذ فيه المحب موضوع حبه من الذات الالهية أو الحقيقة العلية ويتحدث فيه عن الحب المتبادل بين الله والإنسان أو بين الحق والخلق على حد تعبير الصوفية أنفسهم.

مصطفى حلمى : الحب الالهى فى التصوف الاسلامى : ص ٥ مصر ١٩٦٠

(٢) القنيمى هلال: الأدب المقارن : ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، مصر ١٩٧٧م.

وتظل العاطفة قوية لدى زليخا، كما تظل ليوسف نظراته الصوفية حتى يعلم بوقوع زليخا في حبه، وأنها وقد عميت وهرمت تقيم في كوخ من اليراع تستمع إلى وقع سنابك حصان يوسف على الطريق. فيدعو الله أن يرد لها شبابها وبصرها. ويستجيب الله له... ثم لا يلبث بعد زواجه أن يمل نعيم هذه الدنيا، فيسأل الله أن يعجل برحيله إلى دار النعيم فتموت زليخا حزنا عليه.

ولنفس هذا السبب خلق الجامي شخصية جديدة في القصة هي شخصية "بازغة" وهي فتاة عالية النسب، بارعة الحسن، وافرة الجمال والمال. وقد جعلت منها هذه الصفات فتاة معتدة بذاتها.. وقد أحببت هذه الفتاة يوسف لما سمعته عن وصفه لكنها أرادت أن تظهر عليه تفوقها في الجمال والبهاء. فارتدت أجمل ما عندها من ثياب وخرجت في موكب وأناقة لا قبل لأحد بها.. وحصدت إلى الميدان الذي عرض فيه يوسف للبيع. وحين وصلت إلى حيث تجمع الناس لم تجد أحدا يلتفت إليها. فالكمل تسمرت أعينهم إلى حيث النور الذي انبعث من قمرى الوجه يوسف. وما أن وقع بصرها عليه حتى بهرها حسنه. ثم أفاقت وأخذت تحادثه: "يا من يستقيم بك أمر كل ذى حسن، من ذا الذى زينك بمفاتن هذا الجمال، من ذا الذى جعل شمس جبينك تتألق، وأى مصير بارع أبدع قلمه فى نقشك، وأى بستانى تعهد شجرة سروك حتى اقتبست هالة القمر نورها من جبينك. فأجابها يوسف: "أنا صنعة صانعى وقطرة من بحره كافية لخلقى، وما الفلك إلا نقطة كماله، وما العالم إلا برعمة من حديقة جماله وقد أشرقت الشمس بنور حكمته، وما السموات إلا حباب من بحر قدرته(١).

ويمضى يوسف فيحدثها عن فضيلة التواضع وقهر النفس حتى تخلت هذه الفتاة عن غرورها ونفضت يدها عن مالها، وبنيت لها غرفة متواضعة على شاطئ النيل حيث قضت بقية عمرها فى عبادة الله الحق. وهذا هو ما ينادى به الشاعر

(١) - بكفت ای از تو کار نیكوى راست  
 - كد ماين خانه ز نقش تو برداخت  
 - بكفت صنعت آن صانعم من  
 - فلك يك نقطة از كلك كمالش  
 - بدين خوى جمالت راکه آراست  
 - كدامين باغبان سروتو آراست  
 - از بحرش برشهى قانعم من  
 - جهان يك غنجه از باغ جمالش

فى بداية قصته بعدم التخلّى عن العشق ولو كان مجازا لأنه يصل بالإنسان فى نهاية المطاف إلى الحقيقة. ومن ثم فقد حققت شخصية بازغة "هدف الشاعر من الوصول إلى تلك الفكرة".

وإذا عدنا إلى بطل القصة "يوسف وزليخا" لوجدنا أن الجامى قد حاول استخدام مهارته الفنية فى الربط بينهما فى عالم الواقع بعد أن ربط بينهما فى عالم الخيال والرؤى والأحلام. وهكذا نراه يجلس زليخا مع يوسف لتسمع منه حكاية محنته مع إخوته حين القوه فى الجب، فتدرك أن ذلك الأمر كان له صدها فى نفسها حين وقع. وتبلغه بأنها شعرت حينذاك بحزن عميق لم تعرف له سببا. وحين أخبرها يوسف بمحنته فى الجب أدركت أنها كانت قد استشعرت الحزن ساعة كان يعانى يوسف آلام الوحدة فى أعماق الجب.

ولما كانت الغاية من القصة فى شعر الجامى هى "الوصال بين الحبيبين" فقد حذف الجامى - كما مر بنا فى تتابع الأحداث - كثيرا من الأحداث التى وردت عن القصة فى التوراة والقرآن الكريم، وخاصة تلك الأحداث المتعلقة باحزان يعقوب ورحلات أولاده الثلاث إلى مصر، مركزا على الأحداث التى تجمع بين شمل الحبيبين والتى انتهت بزواجهما، ثم تحول زليخا عن يوسف إلى الحب الالهى، والذى أصبح يوسف فى عالمه ذرة من الذرات. وقد برع الجامى فى تصوير تلك المواقف، وبلغ الذروة فى هذا الفن.

لكننا نأخذ على الجامى عدم اهتمامه الكافى بالحبكة الفنية للقصة، وتطويرها ودفعها نحو ذروة درامية لها تنتهى إلى الحل أو "الخاتمة". ومثالا على ذلك نراه بعد الحديث عن ولادة يوسف عليه السلام وسعادة يعقوب بذلك - نراه يقطع ذلك الخيط ليتحدث فى موضوع آخر هو شخصية "زليخا" التى كان يتحول المغرب بشروق شمس جمالها وعند تعدد خطابها. وكان من الأنسب له متابعة الحديث عن حياة يوسف وسعادة يعقوب به والانتقال من ذلك إلى حدث آخر يخدم تسلسل السياق ويتفق مع منطق التطور الدرامى للأحداث، كما فعل نظيره صاحب القصة المنسوبة للفردوسى. فقد شغل الجامى نفسه بإبراز حرارة الحب

ولهيب الشوق بين يوسف وزليخا، كما شغل نفسه بعرض آرائه في حياة الصوفي وزهده وآرائه في الحب الصوفي والجمال الروحي، واتخاذ طريقاً للوصول إلى الله عن طريق التأمل والتفكير. ولقد ذهب لتحقيق هذه الفكرة<sup>(١)</sup>. مذاهب شتى، فهو تارة ينصح ابنه بأن يظل أعزب لأن العزوبة خير من الزواج "إذا استطعت أن تنام بدون قرين مثل المسيح عيسى، فلا تعط كنز التجرد عن يد بدون مقابل وخير أن تحرم العين نور الراحة من أن تقاسم مضجعتك إحدى الحور، والرقاد فوق الرماد الساخن من اتون الحمام خير من الرقاد بجانب امرأة على سرير لين". ونراه تارة أخرى يكتب الحكايات التي يشرح فيها رأيه في العشق: "سمعت أن مريداً طلب من شيخه العون في إرشاده، فقال له الشيخ إذا لم تكن قد ثقلت خطاك في طريق العشق فاذهب واحب ثم عد إلينا، إذ بدون كأس خمرة المعنى فلن يستطيع امرؤ تذوق جرع المعنى، لكن لا تمكث طويلاً أمام المجاز، واعبر سريعاً ذلك الجسر، فإذا أردت أن يوضع رحلك في منزل الوصال فلا ينبغي أن تقف على رأس الجسر"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحكايات وغيرها كانت على حساب باقى أحداث القصة كما وردت في القرآن الكريم وكتاب التوراة وكتب التفسير وكتب القصص الإسلامى. وكان يمكنه الاستفادة من الأحداث التي وقعت ليعقوب بعد فراق ولده، وأنواع الابتلاءات والالام التي عاشها، وتوظيف هذه الأحداث داخل الاطار الصوفى للقصة بما يخدم بناءها الفنى..

وفي المقابل.. نرى صاحب القصة المنسوية للفرد وسى، وقد استفاد من كل هذه الأحداث ووظفها التوظيف الدرامى اللازم - على نحو ما أسلفنا عنه القول - مما دفع قصته إلى مركز متقدم عن قصة الجامى في مجال البناء الفنى..

(١) الغنيمى هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية : ص ٢٠٧ مصر ١٩٦٠م.

(٢) - شنيدم شد مريدى پيش ميرى  
 - بكفت اربا نشد در عشقت از جاى  
 - كه بى جام مى صورت كشيدين  
 - ولى بايد كه در صورت نمائى  
 - چو خواهى رخت در منزل نهادن  
 كه باشد در سلوكش دستكبرى  
 پرو عاشق شوانكه پيش من آئى  
 نيارى جرعه معنى جشيدن  
 وزين پل زود خسود را بكذرائى  
 نيبايد : برسرهل ايستاندن

وقد لاحظ ذلك خيامپور في دراسته لقصة الجامى، ومن ذلك قوله: "تتميز أحداث هذه المنظومة بالايجاز بالقدر الذى تتميز به المنظومة المنسوبة للفردوسى بالاطناب، ولهذا ضعف الجانب الفنى والقصصى فيها(١).

لكن ذلك كله لا ينال من القيمة الأدبية الرفيعة التى بلغتها منظومة الجامى فى عالم الأدب، مما جعلها بحق - درة لامعة فى سماء القصص الصوفى فى الأدبين الفارسى والتركى(٢).

هذا.. ومن السمات المشتركة بين المنظومتين انتشار الاسرائيليات وتأثر الشعارين بها فى سياق المنظومتين.. وربما كان ذلك راجعاً إلى وحدة المصادر لدى كل منهما فكلاهما نقل من القرآن وكتاب التوراة، وكتب التفسير المختلفة وكتب القصص الإسلامى.. لكن الجامى كان أقل من سابقة تأثراً بالاسرائيليات.. وكان سبب ذلك راجعاً إلى حرص الجامى على استبعاد كثير من الأحداث التى وردت فى القرآن الكريم.. بينما حرص صاحبنا الآخر على الاستفادة من كل الأحداث التى تدور حول أسرة يعقوب.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن وحدة المصادر - تلك - كانت سبباً لظهور بعض السمات المشتركة فى أسلوب الأداء الفنى عند كل من الشعارين. وتأكيداً لهذا الزعم فإننا نقدم شاهداً مشتركاً لأحد المشاهد فى المنظومتين. وليكن ذلك المشهد الذى يتحدث فيه الشاعران عن ذلك المنظر الحزين الذى يقف فيه يوسف باكياً متألماً مما لقيه من عذاب واذلال على يد اخوته العشرة. وها هو يقف بجوار البئر مناجياً طيف يعقب الحزين.

يقول الجامى فى وصف هذا المشهد:

- فلما يئس منهم صرخ مستغيثاً فكان يزرع من دم عينيه الشقائق على وجنتيه(٣)

(١) خيامپور : يوسف وزليخا ص٢٥.

(٢) خيامپور : يوسف وزليخا ص٢٥.

(٣) - چوشد نوميد زيشان ناله برداشت  
- كهى در خون كه درخاك ميخفت  
- كجائى اى بدر آخر كجائى  
- بيا بنكر كنيزك زاد كان را  
زخون ديدم بر كل لاله ميكاشت  
زانده دل صد جاك ميكفت  
ز حال من جنين غسافل چرائى  
ز راه عقل ودين افتاد كانرا=



- فمرة يفرق في همه وأخرى يتمرغ في التراب  
- أين أنت يا والدي أين أنت  
- تعالي وانظر أبناء الأمة  
- تعالي تر في أي حال أنا  
- لقد أذلت عزيزك بيديك  
- وألقيت بي في قبضة القساة  
- وانظر ماذا يصنعون بتوأم قلبك  
- فالوردة التي ترعرعت في رياض روحك  
- ذبلت هكذا ظمأ واستلبت نضرتها  
- والفصن المدلل في الجنان  
- اسقطته على الأرض رياح الظلم  
- والبدر الذي كان ينير ليك  
- أصابته يد الفلك بالأذى  
- وظل على هذه الحال ثلاثة فراسخ  
- ومنه اللين ومنهم جهامة الوجه

= - بیا بنکر مرا تا درجه حالم  
- عزیز خویش را خود خوار کردی

نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : ت، عبد العزيز بقوش ص ١٨٦ ، ١٨٧

= - بیا بنکر مرا تا درجه حالم  
- عزیز خویش را خود خوار کردی  
(٢) - مرادر جنك بيمهران فكندي  
- كه بيا كام در دل جه دارند  
- كلي كز روضه جسانت دمبید است  
- چنان از تشنكي بيتاب مانده  
- نهال نياز برورده بهشتي  
- چنان از ياد جور افتاده برخاك  
- مهی كزری شبت را نور بودی  
- رسيدش از فلك زا نسان و بياي  
- بد بنسان بود حالش تاسه فرسنگ  
- از نر می از ايشان سخت روی

بسدست این حسودان بیا یالم  
بسدست دشمنان افکار کردی  
غزالی در کف کمر کان فکنندی  
حق الطاف تو چون میگزاردند  
بروباران احسانت جکبید است  
که نی زنگ انسدرونی آب مانده  
که در بستان نسرای عمر کشتی  
کز جوید بلندی خار و خاشاک  
ز ظلمت های دوران دور بودی  
که جوید لسمه نورا از هلالی  
از او صلح وزان سنکین دلان چنک  
از او گرمی وزا بستان سرد کوشی

تابع الترجمة العربية للدكتور بقوش ص ١٨٧ .

- إلى أن وصلوا فجأة إلى حافة البئر  
- ولما هموا بدفع ذلك البدر الوردى الطلعة  
- استجار من ظلمهم مرة أخرى  
- لو فهمها الحجر لاستحال من حرقتها  
- بيد أنه كلما اشتد توسل ذلك الصوت  
- وماذا أقول مما اجترموه من ظلم  
فتوقفوا عند حافتها  
فانهم أسعدوا ذلك البئر التعس  
وأجهش في البكاء والأنين  
أرق من الشمع نعوومة  
زادت قسوة قلوبهم  
إن قلبي لا يصدق ما فعلوه (١)

\*\*\*\*\*

ويصف صاحب المنظومة المنسوبة للفردوسى نفس المشهد بقوله: -

- فسلكوا الطريق إلى داخل الوادى  
- وعندما رأى يوسف البئر تمزق قلبه  
- فانفجر في البكاء والعمويل  
- وعندما رأى ذلك الطفل البرئ البئر  
- وشق من العيون سيلا من الدم  
- وقال: السلام عليك أيها الأب  
- وانقطع أملى عن رؤية وجهك  
- واغلقوا عيني دون النظر إليك  
ووصلوا في النهاية إلى قرب البئر  
وقطع الأمل من قلبه نهائيا  
وزاد صسراخه وأنسينه  
تضرع وقلبه يتقطع الماء (٢)  
وخرج القلب المتألم من عينيه  
إن شأنى مع الدنيا قد شارف نهايته  
كما قطعت قدمى عن السير فى جادتك  
وعلمونى آية الفراق

(١) - كه ناكه برسرسر جاهى رسيد ند  
- جوایشان دفع آن كل جهره مه را  
- دكر بازاز جفا شان داد برداشت  
- كه كران سنك را معلوم كشتى  
- ولى آن سازتيز آهنگ ترشد  
- جه كويم كزجفا ایشان جه كردند

نقلا عن ترجمة د. عبد العزيز بقوش : يوسف وزليخا الجامى ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) - بوادى درون برسرسر فتند راه  
- جو جه ديد يوسف دلش كشت جاك  
- غر يويدن وزارى اندر كرفت  
- جسوجه ديد آن بساك تن  
رسيد ند فرجام نزديك جاه  
اميد از دل خویش ببريد باك  
زهر كونه نسوحها برسرفت  
بناليد و بكر يست برخو يشتن =

- وأشعلت بي الدنيا نيران المنية فأحرقت كليتنا أنا وأنت  
 - وذهب شبابي وروحي هباء فليكن لك صبر الآن على مماتي  
 - إنك لا تعرف ماذا صنع بي الدهر وكيف قست الدنيا على جسدي  
 - إنك تظن أيها الأب أنني سعيد الحظ مشغول في اللهو واللعب مع الأخوة المشرة  
 - أيها الوالد السعيد إنني لست سعيداً في اللعب

وأنظر في قاع البئر تجدني أرشف في اغلال الحبل

- واغسل يدك وقلبك مني إلى يوم الحشر

وإذا كنت تبحث عني فابحث في قاع البئر(۱)

- فقد أخذني اخواني منك بالحيلة وأقسموا بأغلاظ الايمان  
 - على أنهم سوف يحافظون على محافظتهم على الروح  
 - انهم الآن يفصلون روحي عن جسدي وينقضون بذلك كل ايمانهم  
 - ومادمت حيا أيها الأب فلا تثق بإيمان بعد هذا  
 - فليس في قلوبهم نور الرحمة وكل ايمانهم كاذبة  
 - فيا حسرة أنني اغتررت بالقسم فجئت إلى الصحراء مع الأعداء  
 - فإن الذي يسقط الماء عليه في بيته يستطيع أن يتدبر الأمر جيداً  
 - فيا أسفاً! لقد أخرجني العدو من البيت ولهذا صرت عاجزاً  
 - كان يوسف يقول هكذا وتضرع بمثل هذا الكلام وكان ينثر الدمع من عينيه

= - كشاد از ره دیدگان سبیل خون  
 - چنین گفتم بسرود باش ای بدر  
 - کسسته شد آمیدم از روی تو  
 - زدیدار تو چشم من دو ختنند  
 (۱) - جهان آتش مسرك من برفروخت  
 - جوانی وجانم شداز من بباد  
 - ندانی که با من زمانه چه کرد  
 - بننداری ای باب نيك اخترم  
 - من ای باب فرخ نه در بازیم  
 دل ودست تساحشر از من بشوی  
 زچشمش دل خسته آمد برون  
 که کار من آمد زکیستی بسر  
 بریدند بسای من ازکوی تو  
 مر آیت دوری آموختند  
 مرا و ترا ای بدر هر دو سوخت  
 بمسرك من اکنون ترا صبر باد  
 جهان باتن من چه زهار خورد  
 که بساده برادر بسببازمی درم  
 بسببین در بن چه رسن بازیم  
 وکسر جوئیم در بن چاه جوی=

- ومع كل تلك التضرعات والتوسلات سحبهوه بذلة ومهانة  
 - هكذا سحبهوه مسكيننا وذليلا إلى ذلك البئر  
 - لا وجه للنجاة، ولا أمل في احد ولا مفنيث إلا الله(١)

\*\*\*\*\*

ولكى يتضح لنا أكثر مدى اعتماد الشاعرين على بعض كتب التفسير وما حوته من اسرائيليات فإننا نورد ما ذكره الطبري في تفسيره عن الموقف السابق، حيث يقول: " فأرسله معهم فأخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما برزوا به إلى البرية، واظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيمًا فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الاماء"(٢)...

كما تعكس لنا تلك اللوحة السابقة بروز بعض السمات والخطوط المشتركة في كلتا المنظومتين، إلا أن تفوق الجامي وذوقه الرفيع كان أظهر للعيان، فهو صانع ماهر وفنان صادق يعرف كيف يختار اللفظة المعبرة والموحية ويعرف كيف يضعها في موضعها المناسب من الجملة الشعرية، وكيف يوزع الظلال ويضفي عليها هذا الطابع الصوفي، فهو حين يتحدث عن يوسف، لا يتحدث عن بشر من بني

بحيلت مرا بستند ندای بدر	= زدست تو اخوان من سر بسر
که دار ندم امروز همتای جان	- بخوردند سوکنند های کران
همی خورده سوکنند ها بشکنند	- زتن جانم اکنون جدائی دهند
ازین بس بسوکنند شان استوار	- مدار ای بدر تاتو باشی مدار
بود یاک سوکنند ها شان دروغ	- که شان نیست در دل زرحمت فروغ
که باد شمنان سوی دشت آمدم	- درینجا بسوکنند غره شدم
تواند بتدبیر کردن صواب	- کس کش در افتاد در خانه آب
ازیر جنین کار من بینواست	- درینجا مرادش من ازخانه خاست
همیکرد خون ازدود پیده نثار	- همیگفت ازاینسان سخنهاى زار
بدان زادی وسوگواری همی	- کشید نش ایشان بخواری همی
کشید نش اورا بدان جا همار	- چنان مستمند وچنان خاکسار
نه جزایزد ش. هیچ فریادرس	- نه روی رهائی نه امید کس

(٢) الطبري : تفسير الطبري : ج١٢ ص ٨٩.

الإنسان، وإنما يتحدث عن غصن مدلل لطيف زرع في الجنان ووردة ترعرت في رياض يعقوب وروتها أمطار إحسانه حتى أسقطتها على الأرض رياح ظلمة عاتية، وهو بدر كان ينير ليل يعقوب بمنأى عن الفلك حتى أصابته يد ذلك الغادر الحاسد. وألقته في البئر، فسعد ذلك البئر الموحش بيوسف البدر المنير. وهكذا نرى هذه اللوحة الجميلة المتناسقة الألوان والظلال خالية من المحسنات المتعارف عليها، ومن ترادف الألفاظ وتكرار الصور، وهو ما عهدناه في اللوحة الأخرى المنسوبة للفردوسى.

وتتصل نقاط الاختلاف بين الشاعرين لتشمل طريقة كل منهما في بناء الشخصيات ودور كل شخصية في تطوير أحداث القصة.. وقد أسلفت القول في الحديث عن بطل القصة "يوسف وزليخا"، وجاء الدور الآن للحديث عن الشخصيات المساعدة.

وفي البداية نتحدث عن شخصية المريية:

أولاً: في المنظومة المنسوبة للفردوسى:

تظهر هذه الشخصية في تلك المنظومة في منتصف أحداث القصة، وذلك حينما تعى زليخا الحيل للفوز بعشق يوسف ووصاله، فتلجأ إلى المريية التي تصحها ببناء قصر المرايا، وتقوم هي نفسها بالإشراف على ذلك البناء وتزيينه ثم تهيأ لزليخا فرصة لقاء يوسف منفردين في ذلك القصر.. وتقع هذه الأحداث في تسعة وسبعين بيتاً.

ثانياً: في منظومة الجامى:

تطالعنا هذه الشخصية مع بداية أحداث القصة، وذلك حينما تحكى لها زليخا حلمها الأول وتسألها المشورة فيما ألم بقلبها من عشق طيف حبيب لا تعرف له إسماً ولا نسباً ولا موطناً. فهي ليست امرأة عادية كباقي النساء المحيطات بزليخا، وإنما هي كما يصفها الجامى بقوله:

- مريية ساحرة على قدر كبير من الالمام بالعشق<sup>(١)</sup>

- خبيرة بطرق العشق إذ كانت عاشقة تارة ومعشوقة أخرى

(١) - ازان جملة فسونكر داية داشت كه نزنسونكرى سرمايسة داشت

- فهى تصل المعشوق بالعاشق  
- وهى بذكائها ودهائها تدرك  
وتخاطب زليخا بقولها:

- أنا أعرف يقينا أن قمرًا قد طلع على سبيلك  
- فلو كان ملكا فى السماء  
- فإنى أسسبح وادعسوا  
- ولو كان شيطانا هائما فى الجبال والغابات  
- واتلسو التمسوا ويند  
- ولو كان من جنس الأدميين  
فقولى من يكون ذلك القمر  
وسبكت ذاته من نور القديسين  
إلى أن أحضره من السماء إلى الأرض  
فإنى أجعل قراءة العزائم عملى وحرفتى  
لتسخيره وأضعه فى زجاج وأجلسه أمامك  
فإنى أريح خاطرك فى الحال<sup>(١)</sup>

ثم تظهر هذه الشخصية مرة أخرى بعد انتقال زليخا إلى مصر، فحين رأت سيدتها فى شوق لرؤية عزيز مصر نراها "بكل مكر واحتيال تثقب ثقبا ضيقا فى تلك الخيمة يشبه فى ضيقه عين الخيام.

ثم هى تبنى لزليخا قصرا من سبع غرف وترتب لقاء الحبيبين فى هذا القصر ليتحقق لسيدتها الفوز بلقاء الحبيب خفية عن أعين الحساد، ويصف الجامى ذلك بقوله:

- يا من طلبت منك العون مائة مرة  
- فلتساعد ينى مرة أخرى وأنظرى  
- واسعى نحوه من أجلى وكونى  
وكنت مخلصا لى فى كل عمل  
إلى احزانى وأرفعيها عنى  
لسانى عنده وخبريه عنى

(١) - برآء عاشقى كار آزموده  
- بهم وصلت ده معشوق وعاشق  
- يقين دائم كه زد مسا هى ترا راه  
- اكر برآسمان باشد فرشته  
- بتسبيح ودعا خواتم خيانش  
- اكر باشد يسرى اذركوه وبهشه  
- به تسخيرش عزائم ها بخوانم  
- دگر باشد جنس آدمى زاد  
(٢) - بكفت أى از تو صد يا ريم بوده  
- مرا يكبار ديكور يارى كن  
- قدم ازتسارك من كن بسويش

كهى عاشق كهى معشوق بوده  
موافق سزارتا موافق  
بكسوروشن مراتا كيست آن ماه  
زنور قديسان باشد سرشته  
كه آرم بزرزمين از آسمانش  
عزائم خوانيم كسارست وليشه  
كنم در شيشه وبيشت نشانم  
بزودى سزوم ازوى خاطرت شاد  
بهر كارى هوا داريم بوده  
زعم خسواريم غم خواري كن  
زيان من شو واز من بسويش

ولما عجزت زليخا عن تحمل فراق يوسف بعد أن أدخل السجن بسببها نراها تصحب مريبتها ليلا لتشاهد جمال يوسف، وتتكتم مريبتها كاتمة أسرارها" خبر زيارتها عن الجميع خوفاً على سمعة سيدتها بعد أن سبق ولا كتبها السن الجميع بعد افتضاح أمرها مع يوسف.. وهكذا نرى الجامى يولى دور المربية عناية أوفى ومساحة أكبر من رقعة العرض، فهي تستغرق من أبيات المنظومة مائتى بيت.

(ب) الاخوة العشرة : فى المنظومة المنسوبة للفردوسى:

تزداد المساحة التى يحتلها هؤلاء الإخوة اتساعاً فى هذه المنظومة. ويأتى دورهم فى بداية الأحداث متفقاً مع دورهم الذى ورد فى التوراة ثم فى القرآن ثم نقابلهم بعد ذلك وهم يترددون بين مصر وكنعان فى رحلتهم الثلاثية حينما عم القحط أرض كنعان، ثم حينما احتجز يوسف بنيامين، ثم هم يصطحبون آل يعقوب للإقامة فى مصر. وفى نهاية القصة يوزع يوسف بينهم الملك ويخلفه أحدهم على عرش مصر، وتقع هذه الأحداث فى ألف وخمسمائة بيت.

ثانياً : فى منظومة الجامى:

يحتل الأخوة العشرة رقعة ضيقة من مساحة العرض فى هذه المنظومة. فنحن نراهم على مسرح الأحداث مرة واحدة فى بداية المنظومة، وذلك حينما حسدوا يوسف وأجمعوا أمرهم فيما بينهم على القائه فى الجب، ثم وهم يبيعونه لأصحاب القافلة. وتقع هذه الأحداث فى مائه وسبعين بيتاً.

ثالثاً: شخصية يعقوب فى المنظومة المنسوبة للفردوسى:

تلعب هذه الشخصية دوراً رئيسياً فى هذه المنظومة، حتى أنها تحتل الجزء الأول من أحداث القصة. فالشاعر يتحدث عنه فى بداية المنظومة واصفاً ما حدث بينه وبين أخيه عيصا، وفراره إلى الشام وزواجه من ابنتى خاله لا بان ليا وراحيل". ومن خلال ذلك يتحدث عن ولادة يوسف وحب يعقوب له وإيثاره على باقى اخوته. كما يتحدث عن رؤى يعقوب ورؤى يوسف وتفسير يعقوب لهذه الرؤى وتحذير يوسف من ابلاغ اخوته بمضمونها.. كما يتحدث الشاعر عن أحزان يعقوب على فقد يوسف وصراعه مع أبنائه واقامته بيتاً للأحزان، ثم يتحدث عن

استقباله لأعرابي حمل له رسالة من يوسف وكرامه ودعائه لهذا الاعرابي، كما يذكر رسائله إلى عزيز مصر أيام المجاعة ونصائحه لأولاده أثناء تنقلهم بين الشام ومصر. إلى أن قدم إلى مصر مع أسرته واستقر به المقام هناك، وجمعه شمل يوسف وزليخا بالزواج إلى أن وافته المنية ودفن طبقاً لوصيته بأرض كنعان، وتقع هذه الأحداث في ألف وأربعمائة وعشرين بيتاً.

شخصية يعقوب في منظومة الجامي: -

على نحو ما مر بنا في تحليل دور الأبناء العشرة، فإن شخصية يعقوب تلعب دوراً محدوداً في بداية أحداث المنظومة، حيث يقتصر الحديث عنه في تصوير فرحه بولادة يوسف وخوفه عليه وإيثاره على باقي إخوته. والصراع بينه وبين أبنائه حول حمله إلى الصحراء وبذلك ينتهي دور يعقوب وإسهامه في أحداث القصة. وتحتل هذه الأبيات خمسين بيتاً من أبيات المنظومة.

وإذا كان الجامي قد صبغ منظومته بلون صوفي خالص فإننا نزعّم أنه وجد "بداية" لمثل هذا اللون في المنظومة المنسوبة للفردوسي. فقد سبق أن مر بنا في الحديث عن زليخا تحولها عن حب يوسف إلى حب الله رغم كل ما حدث منها في الفترة الأولى من حياتها مع عزيز مصر قطفير للفوز بحب يوسف ووصاله. وبعد أن من الله عليها بعودة شبابها وجمالها بعد ما كانت عليه من شيخوخة وعجز وهوان.. ونحن نعتقد أن الجامي قد استفاد من هذه النبتة الصوفية في هذه المنظومة فتعهدا بالعناية والرعاية بما لديه من مهارة في هذا المجال، حتى كبرت ونمت وصارت دوحة صوفية وافرة الظلال على هذا النحو من الجمال والحسن والبهاء الذي ظهرت به في عالم الأدب الصوفي الرفيع.

وإذا كانت هذه البرعمة الصوفية التي ظهرت في المنظومة المنسوبة للفردوسي قد بدت غير مكتملة النضوج، فإننا نعتقد أن ذلك راجع إلى طبيعة العصر الذي زرعت فيه "القرن الخامس الهجري" فلم يُعرف أحد من شعراء هذا العصر بهذا اللون من الشعر، وكل ما وصلنا عن هذه الفترة من هذا اللون من الأدب هو ما ذكره أستاذنا المرحوم محمد كفاي في تعليقه على التحول الذي أصاب زليخا



واتجاهها إلى حب الله وذلك في المنظومة المنسوبة للفردوسى. ومن ذلك قوله :  
 "إننا نجد تصويراً لهذه الفكرة الصوفية في كتاب منسوب للإمام الغزالي يدعى  
 "مكاشفة القلوب" وفيه يقول الإمام الغزالي في باب العشق: "الحب عبارة عن (١)  
 ميل الطبع إلى الشيء الملتذ، فإذا تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقاً ألا ترى أن  
 زليخا بلغ بها محبة يوسف أن ذهب مالها وجمالها، وكان لها وقر سبعين جملاً  
 وقد انفقتها كلها في محبة يوسف. وكل ما قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة  
 تغنيه حتى لم يبق لها شيء. وكانت تسمى كل شيء باسم يوسف. وقد نسيت كل  
 شيء من فرط العشق، وإذا رفعت رأسها إلى السماء رأت اسم يوسف مكتوباً على  
 الكواكب. وروى أنها لما آمنت وتزوجت به انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت  
 إلى الله تعالى. وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فلما أن عرفته  
 فما أبقت محبته محبة سواء" هذه الكلمات تعبر عن الصورة المتطورة لقصة  
 يوسف". وقد ظهرت بوادرها في ختام المنظومة المنسوبة للفردوسى حيث صور  
 زهد زليخا في يوسف بعد زواجها منه (٢).

ونمضى في زعمنا السابق قائلين بأن الجامى لم يخترع شخصية "بازغة" من  
 تلقاء نفسه، وإنما هو قد رأى شبيهاً لها في المنظومة المنسوبة للفردوسى في  
 شخصية "روحة" وهي امرأة قبطية منحها الله الشهرة والتوفيق والجمال والمال،  
 وكانت جميع أمورها موفقة وكانت أبا عن جد موفقة وعظيمة، ولم يكن هناك  
 أحسن منها في العصر، وهكذا كانت بجمالها ومالها مساوية لزليخا (٣) ثم يذكر  
 لنا بعد ذلك صاحب المنظومة المنسوبة للفردوسى أن هذه المرأة قد جاءت إلى  
 الميدان الذي كان يعرض فيه يوسف للبيع، وقد قَدِمَتْ في أبهة وجمال واشتركت  
 في المساومة على شراء يوسف أمام عزيز مصر، ويستكمل الحديث عنها قائلاً:

(١) ورد نفس هذا التعريف للحب الصوفى في كتاب آخر للغزالي هو "أحياء علوم الدين... الغزالي: إحياء علوم  
 الدين: ج١، ص ٢٥٤٨ القاهرة ١٢٥٧هـ.

(٢) محمد كفاي: في الأدب المقارن: ص ٣٢٩، ٣٤٠.

(٣) - زنى بـود قـبطى ورا روحه نام  
 - همش نيكوئي بود وهم خساسته  
 - نيا برنيا مهتر وكا مكار  
 - جنان بد بخوبى وكنج وهنر  
 كه يـزدان ورا داده بـدنام وكـنام  
 زدولت هممه كـارش آراسـته  
 نـبـد مهـتر ازوى روزكار  
 كـجا با زليخا همى سودسر

- وسمعت أن روحه الطيبة زادت على العزيز المعادل  
- وظل العظماء كلهم مندهشين ومتحيرين من روحه(١)

وهكذا يتضح لنا من الأبيات السابقة عن شخصية "روحة" أن الجامي قد أخذ  
الخطوط العريضة لرسم شخصية "بازغة" من شخصية "روحة"، ولكنه أعطاها  
أبعادها الكاملة لتصبح على هذا المستوى من النضوج الفني الذي بدت عليه في  
قصته.. وقد يرد على هذا الزعم بأنه ربما استقى الجامي فكرته عن شخصية  
"بازغة" من كتب القصص وشروحات المفسرين التي تناولت القصة. لكننا نرد عليه  
قائلين بأن أيا من هذه الكتب - على كثرتها - لم يرد فيه إشارة عن مثل هذه  
الشخصية..

وعلى أي الأحوال فلقد كان لدى الجامي القدرة الفائقة ليبعث الحياة في المادة  
القصصية التي وجدها بين يديه بتجديد الأسلوب وإحياء اللغة بطريقة سهلة  
وعلى أعلى مستوى من الجودة الفنية. في وقت كان معاصروه يقلدون النماذج  
السابقة عليهم تقليدا أعمى. لكن الجامي بز أقرانه بتفوقه على النماذج السابقة  
لعصره...

\*\*\*\*\*

---

(١) - شنيديم كه آن روحه خوب نهبز  
- زروحه همه مهتر بر سر  
بهفزود برداد كمتر عزيز  
بهاندند بهوش وأسيمه سر

# **الفصل الخامس**

## **منظومات يوسف وزليخا**

### **الموجودة في إيران**

**قصة يوسف وزليخا**



كان لقصة يوسف وزليخا التي نسبت للفرودسي ثم القصة الصوفية الجميلة التي نظمها عبد الرحمن الجامي في القرن التاسع الهجري كان لهما تأثيرهما العظيم على شعراء إيران فراح الجميع ينهلون من منابعهما الثرية الفياضة... وخاصة منظومة عبد الرحمن الجامي، حتى بلغ عدد الآثار الموجودة لهذه القصة في إيران - والى نسجت على منوال منظومة الجامي ستة منظومات... نوجز الحديث عنها فيما يلي:-

١. منظومة يوسف وزليخا : ناظم هروي (م ١٠٨١هـ)

كتبها الشاعر ناظم هروي بامر عباس خان شاملو الذي كان حاكما على خراسان في عهد الملك عباس الثاني سنة (١٠٥٢-١٠٧٧هـ). واستمر الشاعر في العمل بها من سنة (١٠٥٨-١٠٧٢هـ). وعدد أبياتها خمسة آلاف بيت \_ ويقول خيامبور إن هذه المنظومة تقليد لمنظومة الجامي. ونسخ هذه المنظومة كثيرة في إيران ما بين خطية ومطبوعة<sup>(١)</sup>.

٢. منظومة يوسف وزليخا آذر بيكدلي (م ١١٩٥هـ):

لطفى على آذر واحد من كتاب وشعراء القرن الثاني عشر الهجري ومؤلف الكتاب المشهور "آتشكده". كتب منظومته في حدود سنة (١١٥٢هـ). وعدد أبياتها حوالي اثني عشر ألف بيت من الشعر.. ولهذه المنظومة مجموعة من النسخ الخطية في إيران في مكتبة الحاج حسين آقا نخنجواني تحت رقمي ٢٥٦٠ و ١٢٥٩.. وهذه المنظومة مثل منظومة ناظم هروي من حيث الوزن والمضمون تقليد لمنظومة الجامي مع اختلاف بسيط. لكن قيمتها الأدبية خير من سابقتها فقد تحمل الشاعر سنوات طوال في نظمها وتقيقها<sup>(٢)</sup>.

٣- منظومة يوسف وزليخا شعلة كلبا يكاني: (م ١١٦٠هـ)

ملا مهدي كلبايكاني المتخلص بـ "شعلة" واحد من شعراء القرن الثاني عشر الهجري. وقد وردت ترجمة عن حياة هذا الشاعر في كتاب "رياض الجنة" تأليف

(١) خيامبور : يوسف وزليخا ، ص٣٩- ٤١.

(٢) خيامبور يوسف وزليخا : ص٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥.

محمد حسن زنوزى المتخلص بفانى، والذي كان من معاصرى كلبا يكانى. ولهذه المنظومة نسختين خطيتين: الأولى : موجودة فى مكتبة مجلس الشورى بطهران تحت رقم ١٢٠٤ بالدفتري رقم ١٥٠٤٥. أما النسخة الثانية فهى من مقتنيات المكتبة الخاصة بالحاج محمد آقا نخنجوانى نسخها شخص يدعى على محمد انجدانى سنة (١٢٨٢هـ). والنسخة الأولى تحوى فى حدود ستة آلاف بيت. أما النسخة الثانية فتحوى ثلاثة آلاف بيت.. وهذه المنظومة مثل سابقتيها تقليد لمنظومة الجامى. ولكنها تقل عن سابقتيها من الناحية الأدبية والفنية<sup>(١)</sup>.

٤- منظومة يوسف وزليخا : جوهري تبريزى: (م ١١٩٤هـ):

ميرزا بابا تبريزى المتخلص بـ "جوهري" هو ابن الحاج كاظم تبريزى والذي كان واحداً من فضلاء وشعراء القرن الثانى عشر الهجرى. وقد أورد زنوزى ترجمة عن حياته وشعره فى كتابه "رياض الجنة". ولهذه المنظومة نسخة خطية فى المكتبة الخاصة بالحاج حسين آقا نخنجوانى تحت رقم ٢٦٩٧ وقد نسخت سنة (١٢٥٦هـ). ومجموع أبياتها ألف وثلاثمائة وواحد وعشرين بيتاً. وتحتل المنظومة مرتبة متوسطة من ناحية وزنها الأدبي<sup>(٢)</sup>..

٥- منظومة يوسف وزليخا: شهاب ترشيزى: (م ١٢١٥ و ١٢١٦هـ):

هذه المنظومة واحدة من أربع مثويات يضمها ديوان ميرزا حبيب الله ترشيزى المتخلص بـ "شهاب" .. والمثويات الأخرى هى : "بهرام نامه" و"خسرو وشيرين و"مراد نامه" .. ويقول الشاعر أنه كتبها فى ثلاثة أشهر. وتحوى هذه المنظومة ألف ومائة بيت من الشعر. ويوجد نسخة خطية لهذه المنظومة فى مكتبة مجلس الشورى بطهران تحت رقم ١٢٠٥ بالدفتري رقم ١٧٨٢٤ .. وفى مقدمة القصة يمدح الشاعر حاكماً باسم "خسرو خان" كما يهدى له القصة. ويعترف الشاعر صراحة بأن منظومته تقليد لمنظومة جامى<sup>(٣)</sup>..

(١) خيامهور يوسف وزليخا : ص ٤٥ إلى ص ٥٠.

(٢) خيامهور : يوسف وزليخا من ص ٥٠ إلى ص ٥٤

(٣) خيامهور : يوسف وزليخا من ص ٥٤ إلى ص ٥٦

هي آخر المثنويات الفارسية الموجودة في إيران عن قصة يوسف وزليخا إلا أنه لم يرد في كتب التذاكر شيء عن حياة مؤلفها، خاصة وأنه يرد في كتب التذاكر أربعة باسم "خاوري"، هم: «خاوري سمناني ميرزا محمد اسماعيل خاوري مازندراني ومحمد باقر خاوري هروي وميرزا معصوم خاوري كوزه كناني»، إضافة إلى خاوري شيرازي الذي ورد اسمه في كتاب "حديقة الشعراء" كمؤلف لديوان "بيكي" وذلك سنة (١٢٦٧هـ).. وهؤلاء الخمسة من شعراء القرن الثاني عشر الهجري. إضافة إلى ذلك فإن المؤرخ "تريبيت" يذكر في كتابه: "دانشمندان آذربيجان" (١٧٥) شاعراً آخر باسم خاوري على أنه أحد مؤلفي قصة يوسف وزليخا. ولكنه لم يحدد اسمه بالكامل ولا من أي بلد كان.. هذا ويستفاد من آخر بيت في المنظومة أن الشاعر نظم قصته سنة (١٢٤٠هـ) واستغرق حوالي ستة أشهر في نظمها. وبلغ مجموع أبياتها أكثر من ألف بيت. وتوجد نسخة خطية لهذه المنظومة في مكتبة الشاعر محمد بهار تحت رقم ٤٨٢٥<sup>(١)</sup>..

(١) أما منظومات يوسف وزليخا التي إند ثرت فهي على النحو التالي:

- ١- يوسف وزليخا : أبو المؤيد البلخي (وردت عنه ترجمة فيما سبق) -٢- يوسف وزليخا المنسوبة للبخاري (وردت ترجمة عنه في البحث) -٢- يوسف وزليخا عميق بخاري: مؤلفها من شعراء السلطان سنجر السجوقي (٥٤٢م) -٤- يوسف وزليخاي مسعود هروي المقتول بأيدي المغول سنة (٦١٧هـ) -٥- يوسف وزليخاي مسعود دهلوي (٨٢٦م) -٦- يوسف وزليخاي آذر طوسي (٨٦٦م) -٧- يوسف وزليخاي مسعود قمي (٨٩٠م) -٨- يوسف وزليخاي تدروي ابهرى المقتول في هندستان (٩٧٥هـ) -٩- يوسف وزليخاي موجي بدخشاني (٩٧٩م) -١٠- يوسف وزليخاي محمد بك سالم تبريزي وكان يعيش بين سنة (٩٢٠-٩٨٢هـ) -١١- يوسف وزليخاي مير تقى الدين أوحدي بلياني (١٠٢٠هـ) -١٢- يوسف وزليخاي قيم شيراز المعاصر لشاه جهان سنة (١٠٢٧-١٠٦٨هـ) -١٢- يوسف وزليخاي ملاشاه بدخشاني المولود في دهلي سنة (١٠٨٧هـ وعاش حتى سنة ١١٦٠هـ) -١٥- يوسف وزليخاي ميرزا محمد نامي اصفهاني (١٠٢٤م) -١٦- يوسف وزليخاي شوكت قاجار نظمها سنة (١٢٢٢هـ) -١٧- يوسف وزليخاي حشمت : من شعراء عهد فتحعلي ملك قاجار سنة (١٢١٢-١٢٥٠هـ) -١٨- يوسف وزليخاي جنيد الله حاذق هروي نظمها سنة (١٢٣٩هـ) -١٩- يوسف وزليخاي ملا عبد الصمد كاتب بلخي وكان يعيش حتى سنة (١٢٨٨هـ) -٢٠- يوسف وزليخاي ملا محمد شريف المتخلص بشيرين (لا يعرف عنه شيء لا مولده ولا وفاته).

نقلا عن خيامپور: يوسف وزليخا من ص ٦٠ - ص ٨٠





## خاتمة الدراسة

هكذا اتضح لنا من خلال هذه الدراسة الاهتمام الكبير الذي حظيت به قصة يوسف منذ وردت في التوراة وحتى اليوم سواء في مجال النثر أو الشعر، وما داخلها من اسرائيليات منذ بدأ الاشتغال بتفسير القرآن.. كما ظهر كذلك أن المنظومة المنسوبة للفردوسي قد نالت هي أيضاً قدراً كبيراً من اهتمام علماء الفارسية على اختلاف اجناسهم في الشرق والغرب على السواء. وأن هذا الاهتمام كان مرده الاختلاف الحادث حول مدى صحة نسبتها لشاعر الفرس العظيم أبي القاسم الفردوسي.

وقد أصبح واضحاً من خلال هذه الدراسة أن هذه المنظومة قد نسبت خطأ للفردوسي وأن هذا الخطأ ناتج عن افكار وردت في مقدمتين اوردهما هرمان ايته في بداية منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسي والتي نشرها (١٩٠٨م) وكذا ما ورد في ديباجة بايسنقر لاحدى نسخ الشاهنامه...

وقد انتهت إلى هذه النتيجة مستندا إلى عاملين أساسيين:

الأول: الدراسة القيمة التي قام بها مجتبي مینوی للمقدمات السالفة الذكر. فقد بينت هذه الدراسة مدى الخلط الذي وقع فيه كثير من العلماء الذين تعرضوا لدراسة هذه القضية، وأخذوا بما جاء بها من معلومات حول سفر الفردوسي إلى العراق واتصاله باميرها وتأليفه قصة يوسف وزليخا نزولاً على رغبته.

الثاني: الدراسة التي قمت بها لأسلوب الشاعر في تناول هذه القصة موضعاً الخصائص الشعرية لها، بالإضافة إلى الموازنة بين مقتطفات من شعر هذه المنظومة وأشعار من الشاهنامه.. وما تبين لي من الاختلاف البين والواضح بين الأسلوبين بحيث لا يمكن أن يكون مؤلف القصتين واحداً.

وأما في مجال المقارنة بين هذه المنظومة ومنظومة الجامي فقد تبين أن مؤلف هذه المنظومة قد تفوق على الجامي في مجال البناء الفني للقصة وبرع فيما يسمى "بالحبكة الدرامية" لها. كما كان موفقاً إلى حد كبير في تصوير عواطف وانفعالات أبطاله وكان ذلك راجعاً إلى اهتمامه بمتابعة الأحداث المتعلقة بكل

شخصية من شخصيات القصة.. فى حين تفوق الجامى فى التناول الشعرى وطريقة الصياغة الشعرية مما دفع منظومته إلى قمة أدبية عالية الشأن رفيعة المستوى.

كما اتضح من الدراسة أن الجامى قد تأثر بالفكرة الصوفية التى وردت فى المنظومة الأخرى والتى تمثلت فى تحول زليخا عن حب يوسف إلى الحب الالهى، ووجد فيها بداية استفاد منها فى تأليف منظومته وصبغها بهذا اللون الصوفى بما لديه من مهارة وبراعة فى هذا اللون من الشعر، حتى غدت منظومته درة لامعة فى سماء الشعر الصوفى الفارسى..

هذا وبالله التوفيق،،،،

القاهرة

مدينة نصر

العاشر من شهر محرم ١٤٢٩هـ

الثامن عشر من شهر يناير ٢٠٠٨م



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ منهم الحاج صبرى  
عبدالواحد مدير المطابع بالهيئة العامة للكتاب لما أنعم عليه الله من حلم  
وصبر وأناة وخلق عظيم وعمل فى صمت وحب وود وتعاون طيب مع  
المتعاملين مع الهيئة فجزاه الله عنى وعن أسرته خير الجزاء ومتعته بالصحة  
والعافية وطول العمر

إنه نعم المولى ونعم المجيب

المؤلف

د/رمضان متولى



## المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ١- ابن كثير: أبو الفدا إسماعيل بن كثير  
تفسير القرآن العظيم، مصر ١٢٤٦هـ
- ٢- أبو سعد: أحمد أبو سعد  
فن القصة، بيروت ١٩٥٩م
- ٣- أبو السعود: محمد بن أحمد بن مصطفى العمادى  
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مصر ١٢٨٩هـ
- ٤- ابن الأثير: أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الكريم الشيبانى  
الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٧٨م
- ٥- الألوسى: أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسى  
روح المعانى، طبع المطبعة المنيرية بالقاهرة
- ٦- بدوى: أمين عبد المجيد بدوى  
القصة فى الأدب الفارسى، القاهرة ١٩٦٤م
- ٧- بدوى: مترجم مع صادق نشأت  
قابوس نامه، القاهرة ١٩٥٨م

- ٨ - بقوش: عبد العزيز مصطفى بقوش  
قصة يوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامى، القاهرة ١٩٧٤م
- ٩ - البندارى: الفتح بن على بن محمد  
الشاهنامه للفردوسى، القاهرة ١٩٣٢م
- ١٠ - البيرونى: أبو الريحان البيرونى  
الآثار الباقية عن القرون الخالية، لندن ١٨٧٩م
- ١١ - التفتازانى: أبو الوفا الغنيمى التفتازانى  
مدخل إلى التصوف الإسلامى، القاهرة ١٩٧٩م
- ١٢ - تيمور: محمود تيمور  
فن القصص، القاهرة ١٩٤٥م
- ١٣ - الثعالبي: أبو منصور بن محمد  
غرر أخبار ملوك الفرس، طهران ١٩٦٣م
- ١٤ - الثعلبى: أبو اسحق احمد النيسابورى  
قصص الأنبياء، مصر ١٩٧٨م
- ١٥ - جمعه: بديع جمعه  
روائع الأدب الفارسى، القاهرة ١٩٨٣م
- ١٦ - حاجى خليفة: مصطفى عبد الله القسطنطى  
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، القاهرة ١٩٦٤م
- ١٧ - حسين: عبد القادر حسين  
فن البديع، القاهرة "لم تذكر سنة الطبع"
- ١٨ - حلمى: مصطفى حلمى  
الحب الالهى فى التصوف الاسلامى، القاهرة ١٩٦٠م

- ١٩ - الحموى: ياقوت الحموى  
معجم الأدباء، بيروت ١٩٦٤م
- ٢٠ - الخشاب: يحيى الخشاب وصادق نشأت  
تاريخ بيهقى، القاهرة ١٩٥٦م
- ٢١ - الخشاب وعزام: المقالات الأربع - النظامى العروضى - مصر، ١٩٤٩م
- ٢٢ - الخطيب: عبد الكريم الخطيب  
الفن القصصى فى منطوقه ومفهومه، القاهرة ١٩٥٢م
- ٢٣ - ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون  
المقدمة، طبع دار الشعب المصرية بالقاهرة (غير مكتوبة سنة الطبع)
- ٢٤ - خلف الله: محمد خلف الله أحمد  
الفن القصصى فى القرآن الكريم، القاهرة ١٩٦٥م
- ٢٥ - الخورى: سعد الخورى  
أقرب الموارد فى صحيح العربية والشوارد، بيروت ١٩٨١م
- ٢٦ - الدينورى: أبو حنيفة الدينورى  
الأخبار الطوال، القاهرة ١٩٦٠م
- ٢٧ - الرازى: فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر  
مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الرازى، القاهرة ١٣٠٨هـ
- ٢٨ - ابن رشيق: أبو الحسن بن رشيق القيروانى  
العمدة، القاهرة ١٩٣٤م
- ٢٩ - الزييدى: السيد محمد المرتضى  
تاج العروس، بيروت ١٩٦٩م

- ٣٠ - زعيتر: عادل زعيتر  
مجالى الإسلام، القاهرة ١٩٥٦م
- ٣١ - الزمخشري: محمود بن محمد  
الكشاف عن حقائق التنزيل، القاهرة ١٩٦٦
- ٣٢ - زيدان: عفاف زيدان (مترجمة)  
زين الأخبار للكرد يزي، القاهرة ١٩٨٢م
- ٣٣ - الساداتى: أحمد محمود الساداتى  
تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم (طبعة الألف كتاب)
- ٣٤ - السباعى: السباعى محمد السباعى  
النثر الفارسى، القاهرة ١٩٧٨م
- ٣٥ - الشابى: على الشابى  
الأدب الفارسى فى العصر الفزنوى، تونس ١٩٦٥م
- ٣٦ - الشايب: أحمد الشايب  
الأسلوب، القاهرة ١٩٧٦م
- ٣٧ - شاهين: عبد الصبور شاهين  
الظاهرة القرآنية، القاهرة ١٩٥٨م
- ٣٨ - شلبى: أحمد شلبى  
مقارنة الأديان "اليهودية"، القاهرة ١٩٦٦
- ٣٩ - شهبة: محمد أحمد أبو شهبة  
الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، القاهرة ١٩٧٣م
- ٤٠ - الشواربى: ابراهيم أمين الشواربى "مترجم"  
تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، القاهرة ١٩٥٤م



- ٤١ - الشواربي: "مترجم"  
 حدائق السحر فى دقائق الشعر للوطواط، القاهرة ١٩٤٥م
- ٤٢ - الاصفهاني: حمزة بن حسن الاصفهاني  
 تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت ١٩٦١م
- ٤٣ - الطبرى: محمد بن جرير الطبرى  
 جامع البيان فى تنزيل القرآن، القاهرة المطبعة الميمنية
- ٤٤ - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، طبع بريل ١٩٦٤م
- ٤٥ - عبد ربه: السيد حافظ  
 بحوث فى قصص القرآن، بيروت ١٩٧٢م
- ٤٦ - العتبي: محمد بن عبد الجبار العتبي  
 تاريخ يمينى، نسخة خطية، لا هور ١٨٩٧م
- ٤٧ - العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل  
 كتاب الصناعتين، القاهرة ١٩٧١م
- ٤٨ - الفزالي: ابو حامد الفزالي  
 إحياء علوم الدين، القاهرة ١٣٥٧هـ
- ٤٩ - كاشف الغطاء: محمد بن الحسين بن كاشف الغطاء  
 أصول الشيعة، القاهرة ١٩٥٨م
- ٥٠ - الغنيمي: محمد الغنيمي هلال  
 الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، القاهرة ١٩٦٠م
- ٥١ - الغنيمي هلال: الأدب المقارن، القاهرة ١٩٧٧م
- ٥٢ - الغنيمي هلال: النقد الأدبى الحديث، القاهرة ١٩٧٩م

٥٢ - فكرى: على فكرى

أحسن القصص، القاهرة ١٩٥٨م

٥٤ - الفيروزابادى: محمد بن يعقوب

تتوير المقباس فى تفسير بن عباس، القاهرة ١٩٥١م

٥٥- القرطبى: محمد بن أحمد الأنصارى

الجامع فى أحكام القرآن، القاهرة ١٩٢٩م

٥٦ - قطب: سيد قطب

فى ظلال القرآن، بيروت ١٩٧٢م

٥٧ - كفافى: محمد عبد السلام كفافى

فى الأدب المقارن، بيروت ١٩٧٢م

٥٨ - المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين المسعودى

مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة ١٩٦٤م

٥٩ - المسعودى: التتبيه والاشراف، القاهرة ١٩٣٨م

٦٠- ابن مسكويه: أبو على الخازن أحمد بن مسكويه

تجارب الأمم وتعاقب الهمم، القاهرة ١٩١٥م

٦١ - نجم: محمد يوسف نجم

القصة فى الأدب العربى الحديث، بيروت ١٩٦١م

٦٢ - نجم: فن القصة، بيروت ١٩٥٦م

٦٣ - ندا: طه ندا

دراسات فى الشاهنامة، الاسكندرية ١٩٥٤م

٦٤ - ابن النديم: أبو الفرج محمد بن اسحق النديم

الفهرست، طبع المطبعة التجارية بالقاهرة

- ٦٥- نور الدين: محمد نور الدين عبد المنعم  
دراسات فى الشعر الفارسى، القاهرة ١٩٨٦م
- ٦٦ - نور الدين: "ترجمة ودراسة"  
ترجمان البلاغة "الرادويانى"، القاهرة ١٩٨٧م
- ٦٧ - وافى: على عبد الواحد وافى  
الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الاسلام، القاهرة ١٩٦٤م
- ٦٨ - وهبة: مجدى وهبة  
معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، بيروت ١٩٨٤م
- ٦٩ - الهوارى: أحمد إبراهيم الهوارى  
نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث فى مصر، القاهرة ١٩٨٣م
- ٧٠ - القرآن الكريم:
- ٧١ - كتاب التوارى: طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة
- .....
- ثانيا: المراجع الفارسية
- ١ - الأنوى: أبو نصر مسعود الأنوى  
أنيس القلوب، نشر مجتبى مينوى، انقرة ١٩٦٠م
- ٢ - آذر: لطفى على آذر  
آتش كده، بو مبي ١٨٩٨م
- ٣ - برنیا: حسن برنیا  
ایران پاستان، طهران ١٩٣٢م
- ٤ - بهار: تقى بهار  
سبك شناسى، طهران ١٩٦٩م

- ۵ - جامی: نور الدین عبد الرحمن جامی  
یوسف وزلیخا، بومبی ۱۹۳۹م
- ۶ - خانلری: برویز ناتل  
فرهنگ ادبیات فارسی، طهران ۱۹۶۴م
- ۷ - خانلری: «ناشر و محقق»  
یوسف وزلیخا ازیک تفسیر قرن ششم، طهران ۱۹۵۳م
- ۸ - خیامپور: عبد الرسول خیامپور  
یوسف وزلیخا، تبریز ۱۹۶۰م
- ۹ - ده خدا: علی اکبر ده خدا  
لفت نامه، طهران ۱۹۵۶م
- ۱۰ - ربیکا: یان ربیکا  
دراسة عن البحر المتقارب فی الأدب الفارسی  
بحث ضمن کتاب هزاره فردوسی، طهران ۱۹۴۴م
- ۱۱ - ربیکا: تاریخ ادبیات ایران ت عیسی شهابی، طهران ۱۹۷۵م
- ۱۲ - زاده: تقی زاده  
مقام و پیشه و مایه فردوسی - بحث ضمن کتاب هزاره فردوسی
- ۱۳ - شفق: رضا زاده شفق  
فرهنگ شاهنامه، طهران ۱۹۷۲م
- ۱۴ - شفیع: محمود شفیع  
دانش و خرد فردوسی، وطهران ۱۹۷۱م
- ۱۵ - صفا: ذبیح الله صفا  
حماسة سرائی در ایران، طهران ۱۹۵۴م

- ۱۶- صفا: ذبیح الله صفا  
تاریخ ادبیات ایران، طهران ۱۹۷۲م
- ۱۷- علوی: برزك علوی "مترجم"  
حماسة ملی در ایران - تلدکه، طهران ۱۹۴۸م
- ۱۸- عوفی: محمد عوفی  
لباب الألباب، لیدن ۱۹۰۶م
- ۱۹- فردوسی: أبو القاسم الفردوسی  
الشاهنامه، بومبی ۱۲۷۲هـ
- ۲۰- فروزانفر: بدیع الزمان  
سخن و سخنوران، طهران ۱۹۷۱م
- ۲۱- فروغی: محمد علی فروغی  
مقالات فروغی دربار شاهنامه فردوسی، طهران ۱۹۶۲م
- ۲۲- فضل الله: رضا فضل الله  
بزوهش در اندیشه فردوسی، طهران ۱۹۷۴م
- ۲۳- قزوینی: حمد الله مستوفی  
تاریخ کزیده، لندن ۱۹۴۹م
- ۲۴- قلی خان: رضا قلی خان  
مجمع الفصحاء، طهران ۱۸۹۲م
- ۲۵- ماسیه: هنری ماسیه  
أوصاف و مناظر طبیعت در شاهنامه "بحث ضمن کتاب هزاره فردوسی
- ۲۶- مینوی: مجتبی مینوی  
فردوسی و شعرا، طهران ۱۹۷۵م

٢٧- ندوشن: محمد على ندوشن

زندكى ومرك بهلوانان درشاهنامه، طهران ١٩٧٠م

٢٨- يغمائى: حبيب يغمائى

فردوسى وشاهنامه، او، طهران ١٩٧٠

٢٩- يونسى: ابراهيم يونسى

هنر داستان نوسى، طهران ٢٥٣٥. ش

٣٠- مجلة آموزش وبرورش: السنة التاسعة العددين ١١، ١٢

مقال عبد العظيم قريب

٣١- مجلة روزكارنو: السنة الثالثة، المجلد الخامس

مقال مجتبى مينوى عن الفردوسى ويوسف وزليخا

٣٢- مجلة دانشكدهء: ادبياه تبريز السنة الرابعة عشر، العددين ٥، ٦

مقال خيامپور عن يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى

٣٣- مجلة كاوه: السنة الثانية، العدد الثانى، الدورة الجديدة

مقال تقى زاده عن الفردوسى

٣٤- مجلة دانشكدهء ادبيات طهران: العدد الثالث

مقال الأستاذ مجتبى مينوى

٣٥- يوسف وزليخا: ازيك تفسير فارسى قرن ششم: باهتمام ونشر برويز ناتل

خانلرى، طهران ١٩٢٧م

٣٦- ازخزاين تركية: باهتمام ونشر مجتبى مينوى، انقرة ١٩٦٠م

\*\*\*\*\*

ثالثاً: المراجع الأوربية:

- 1 - Rieu "Charels rieu" Catalogue of the Persian Manuscripts in the Persian Musseum, 11, Londone, 1881.
- 2- Rieu "Charles Rieu: Supplement to the Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum, oxford 1895.
- 3- Ethe, yousif and zolikha, Firdausi of tus, Ocford 1908.
- 4- Catalouge of the Persian and Arabic Manuscripts in the Oriental Library at Bankiepose .Vol .II (E.D .Ross Calcutta B.10).
- 5 - Catalogue of Persian Manuscripts in the library of the Indian Office .Vol .II (H.E .Oxford 1934).
- 6 - Jeorge Stimpson, A Bock about the Bible, U.S. - A 1945.
- 7 - H. H. Rowly From Goseph to Joshua, London 1951.
- 8- The Encyclopedia of Islam, Volume 2- London 1965.
- 9- Jourual of Royal Associte Society No (1) London 1974.





المؤلف في سطور

رمضان رمضان متولى

من مواليد محافظة الغربية سنة ١٩٤١م.

بدأ حياته العلمية والعملية مترجماً للغة الفارسية بدار الكتب المصرية.

بعد حصوله على درجتى الماجستير والدكتوراه اشتغل بتدريس اللغة الفارسية وآدابها بجامعة وهران بالجزائر.

عمل مترجماً للغة الفارسية بوزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ما يربو على العشرين عاماً.

اختتم حياته الوظيفية فى وظيفة (كبير مترجمين) بالتلفزيون العربى.





## المراجع فى سطور

السباعى محمد السباعى

من مواليد محافظة الغربية سنة ١٩٤١ م.

بدأ حياته العلمية والعملية منذ عين معيداً بكلية الآداب جامعة القاهرة بقسم اللغات الشرقية.

تدرج فى المناصب العلمية فتولى رئاسة قسم اللغات الشرقية ثم عمادة كلية الآداب جامعة بنى سويف.

له مؤلفات علمية عديدة فى اللغة والأدب والحضارة الفارسية.

شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية حول الدراسات الشرقية بالداخل والخارج.



## الفهرس

٥	إهداء.....
٩	مقدمة.....
١٢	الباب الأول.....
	الفصل الأول: «مصادر يوسف وزليخا فى التوراة والقرآن
١٥	الكريم».....
١٩	الفصل الثانى: المنهج القرآنى لقصة يوسف عليه السلام.....
	الباب الثانى: قصة يوسف بين القرآن الكريم والتوراة والإسرائيليات
٢٣	والأدب الفارسى.....
٢٥	الفصل الأول: مقارنة عامه للقصة بين التوراة والقرآن الكريم.....
٣١	الفصل الثانى: الإسرائيليات التى أدخلت على أحداث القصة.....
٣٩	الفصل الثالث: منظومات يوسف وزليخا الموجودة بين أيدينا.....
٤١	القسم الأول: الشاعر أبو القاسم الفردوسى.....
٥٣	القسم الثانى: سيرة الشاعر أبى القاسم الفردوسى.....
٥٩	القسم الثالث: مؤلفات الشاعر أبى القاسم الفردوسى.....
	القسم الرابع: دراسة موازنة للأراء التى أثيرت حول نسبة المنظومة
٦٩	للفردوسى.....
	القسم الخامس: عرض لأحداث القصة المنسوبة لأبى القاسم
١٠٣	الفردوسى.....
١٢١	الباب الثالث: القصة فى مجال التحليل الفنى.....

١٢٣	.....الفصل الأول: رؤية تحليلية للمنظومة المنسوبة للفردوسى
١٤٥	.....الفصل الثانى: أوجه البلاغة فى لغة المنظومة
٢٠٣	.....الفصل الثالث: منظومة عبدالرحمن الجامى
	.....الفصل الرابع: أوجه الشبه والاختلاف بين منظومة الجامى والأخرى
٢٢٥	.....المنسوبة للفردوسى
٢٤١	.....الفصل الخامس: منظومة يوسف وزليخا الموجودة فى إيران
٢٤٧	.....خاتمة الدراسة
٢٥١	.....المراجع
٢٦٢	.....المؤلف فى سطور
٢٦٥	.....المراجع فى سطور



## مناذير

### الهيئة المصرية العامة للكتاب

#### مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق  
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

#### مكتبة ساقية

عبد المنعم الصاوي  
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو  
من أبو الفدا - القاهرة

#### مكتبة مركز الكتاب الدولي

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

#### مكتبة المبتديان

١٣ ش المبتديان - السيدة زينب  
امام دار الهلال - القاهرة

#### مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

#### مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز  
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

#### مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة  
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

#### مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة  
ت : ٣٥٧٢١٣١١

#### مكتبة عربى

٥ ميدان عربى - التوفيقية - القاهرة  
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

#### مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى -  
الجيزة

#### مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة  
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

#### مكتبة رادوييس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة  
مبنى سينما رادوييس

## مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

## مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

## مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

## مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

## مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

## مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (١) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

## مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

## مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً

## مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

## مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

## مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصرية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

## مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

## مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

## مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠



**مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب**

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

[WWW.egyptianbook.org.eg](http://WWW.egyptianbook.org.eg)

E - mail : [info@egyptianbook.org.eg](mailto:info@egyptianbook.org.eg)







يحتل قصص الأنبياء منزلة فريدة بين مختلف فنون الآداب والمعارف وقد حظيت قصة يوسف عليه السلام بالجانب الأكبر من هذا الاهتمام. فقد وردت أخبار هذا النبي وقصته في أول الكتب السماوية وهو التوراة.. وآخرها وهو القرآن الكريم وانفردت فيه بطابع متميز حيث نطالع سورة يوسف محتوية على القصة كاملة..

وقد أهتم بها شعراء إيران منذ غروب الدولة السامانية (٣٩٠ هـ / ٩٩٩م) حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري يتعاقبون على نظمها حتى بلغ عدد الآثار المنظومة للقصة في اللغة الفارسية ثمانية وعشرين أثراً مما دفعنى إلى دراستها وتحليلها وتقييمها وعقد الموازنات بينها وخاصة المنظومة المنسوبة لشاعر إيران العظيم أبو القاسم الفردوسى والأخرى التى ألفها الشاعر الصوفى عبد الرحمن الجامى..

Bibliotheca Alexandrina



0669595

الهيئة المصرية العامة

١٠ جنيهات

ISBN# 9789774205193



6 221149 009127